بسم الله الرحمن الرحيم

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع ـ السنة الرابعة

أسرة التحرير

الإشراف العام
سماحة الشيخ
عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

الإشراف الإداري
الشيخ حسن المنصوري

رئيس التحرير
أ.د. عادل نذير بيري
جامعة كربلاء

مدير التحرير
أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي
جامعة كربلاء

سكرتير التحرير
علي طالب موسى

التنسيق والعلاقات
عمار رزاق الخزاعي

الإخراج الفني
صادق جعفر

الهيأة الاستشارية
سماحة السيد فاضل الجابري
الأستاذ طلال الكمالي
الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي
الدكتور زين العابدين موسى جعفر

هيئة التحرير
أ.م.د. محمد جعفر العارضي
جامعة القادسية
أ.م.د. حيدر عبد الزهرة
جامعة بغداد
م.د. فالح حسن الأسدي
جامعة بابل
م.د. انتصار راضي عليوي
جامعة الكوفة

المدقق اللغوي
أ.م.د. عبد الحسن العبودي
جامعة القادسية

ترجمة
سعد شريف طاهر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣

www.dar-alquran.org sadaalquran1@gmail.com

صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع ـ السنة الرابعة

محتويات العدد

الافتتاحية ٧

أبحاث ومقالات

١ الإقتباس و الإستشهاد بألفاظ ومفردات القرآن الكريم — أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري ٩

٢ تفسير الرسول للنص القرآني — د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ٤١

٣ التوحيدالعبادي من المنظور القرآني — نعمه النجار ٥٧

٤ الحروف المقطعة في القرآن الكريم — الشيخ ليث عبد الحسين العتابي ٧٥

٥ وقفات قرآنية مقارنة عند أمير ألمؤمنين التوحيد والعقائد انموذجا — د.حسام عدنان رحيم الياسري ٩٣

٦ التوجيه الدلالي لآيات الطلاق — د. عادل عباس النصراوي ١١١

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع ـ السنة الرابعة

٧	الطرائق والأساليب الإعلامية في القرآن لإيصال المعلومة إلى الآخرين	الشيخ ضياء بلاسم المصوري	١٣١
٨	موقف الذكر الحكيم من رؤية الله تعالى ج٢	الشيخ احمد المحمداوي	١٦٣
٩	وصف القلة والكثرة في القرآن الكريم	م.ماهر خضير هاشم	١٧٧
١٠	قراءة في رسالة جامعية	ا.م.د. احمد صبيح الكعبي	١٨٩

الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة
إنما تمثل رأي الكاتب

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد السابع - السنة الرابعة

شروط النشر

١- تنشر المجلة الأبحاث العلمية التي تعنى بالشأن القرآني، والملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها علميًا.

٢- يقدم البحث على ورق A4 بنسخة واحدة مع قرص مدمج CD.

٣- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة، ولا يقل عن (١٥) صفحة.

٤- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، وفي صفحة مستقلة، على أن يحتوي كل ملخص على عنوان البحث واسم الباحث.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى للبحث على (عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، عنوان الباحث أو الباحثين، جهة العمل، رقم الهاتف، البريد الإلكتروني).

٦- تكون هوامش البحث في نهايته وليس في أسفل كل صفحة.

٧- يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حال وجود مصادر أجنبية تكتب في ورقة خاصة.

٨- الأفكار التي ترد في الأبحاث تعبر عن رأي كاتبها.

٩- لا تعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

١٠- ترسل الأبحاث على البريد الإلكتروني للمجلة، أو تسلم إلى سكرتير التحرير في مقر المجلة الكائن في شارع السدرة، فندق دار السلام.

بسم الله الرحمن الرحیم
قل هو الله احد
الله الصمد
لم یلد و لم یولد
و لم یکن له کفوا احد
www.persianGFX.com

الإفتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغر الميامين

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ..... ثم السلام على قرّاء ((صدى القرآن)) ورحمة الله وبركاته

قال تعالى ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ، واحسب أن القرآن من أوضح مصاديق البصيرة والبصائر التي وضعها الله سبحانه وتعالى بين أيدينا ليحثنا على قراءتها وانعام النظر فيها بحثا ودراسة لنقف- في ضوئها- ليس على الحلال والحرام ، أو المعروف والمنكر، أو الحق والباطل أو... وحسب ، بل على حقيقة ما يجب أن تكون عليه أمام الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة ، لذا إنّ البحث القرآني هو إعادة دائمة لقراءة النص القرآني ، وإعمال الذهن فيه عملية حفر وتنقيب مستمرة في بواطنه التي لا تنقضي أسرارها، وتسبق كل بحث نيّة صادقة تكشف في مسيرة تحققها عن أفكار ورؤى هي بمنزلة هجرة وسياحة فكرية في أسرار القرآن التي لا تحتاج في عالمنا إلى وصفها ، وإنما تحتاج إلى وضعها في سياق حضاري يقود الأمة الإسلامية إلى حيث أراد الله أن يكون

وعلى أساس ما تقدم تدعو هيأة التحرير في مجلة(صدى القرآن) الباحثين الكرام ولاسيما الذين يتدبرون القرآن بحثا وعناية لان يعملوا أقلامهم في القرآن الكريم بحثا وتنقيبا عما يمكن أن يكون قراءة جديدة يكشف بها عن وعي جديد ولاسيما وهم

الافتتاحية

يتعرضون إلى ما يعتور مجتمعاتنا الإسلامية من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية هي من إفرازات ما تعيشه الأمة في هذه المرحلة الحضارية من تحديات في مختلف مستويات الحياة

وفي هذا العدد نضع بين أيديهم مجموعة قراءات علمية لموضوعات كان القرآن رائدها ، وهذه البحوث أنما تصف ريادة القرآن تلك على وفق منهج يسلكه الباحث وهو يرسم لنا ملامح التصور القرآني ، آملين أن نكون على العهد في تقديم المفيد والنافع للقارئ الكريم لنستثير فضوله قراءة وتأملا وبحثا

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

الإقتباس و الإستشهاد بألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور

أ٠د٠ محمد كريم إبراهيم الشمري

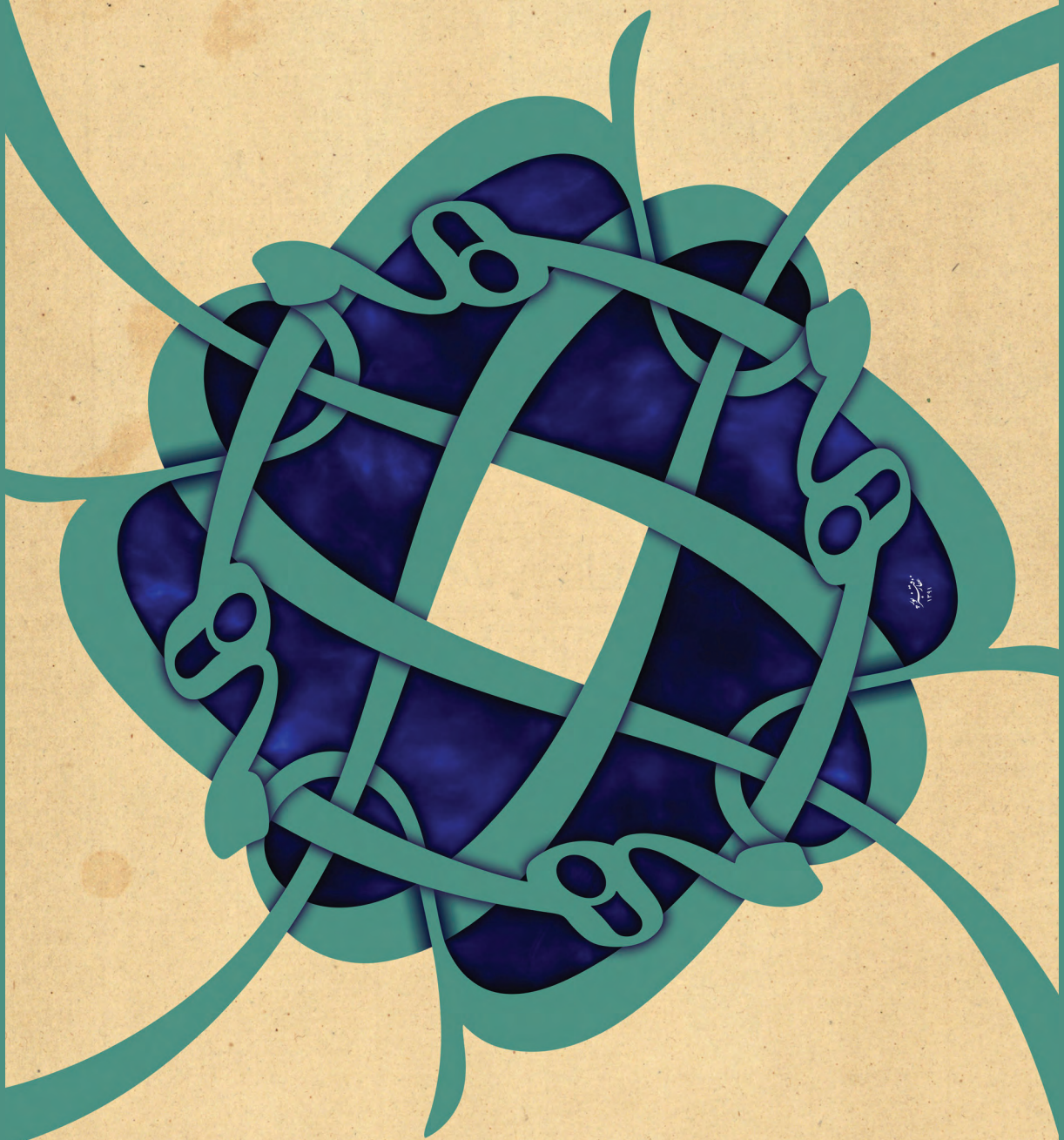

الخلاصة :

يهدف هذا البحث الى توضيح أسلوب متميز وفريد من أساليب الكتابة والتأليف في تراثنا العربي – الاسلامي ، التي انفرد بها كتاب :صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة: (تاريخ المستبصر)،لإبن المجاور البغدادي النيسابوري،المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م،وهو إدخال ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم في الكلام النثري ، عند عرض الحكايات والروايات والقصص والأخبار التي سجلها في كتابه ، سواء تلك المنقولة من المصادر وأفواه الرواة والمُحدثين ، او ربما كان ابن المجاور هو الذي أدخل تلك الألفاظ والمفردات القرآنية في صياغته لتلك الحكايات والروايات والقصص عند توثيقها وتدوينها، وهي عموماً تمثل لوناً من ألوان الكتابة النثرية التي تأثرت بألفاظ القرآن الكريم ومفرداته ،فضلاً عن الإقتباس منه؛ بهدف العبرة والدرس والموعظة ، انطلاقاً من قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ ١

المؤلف والكتاب :

يُنسب تأليف كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر، خطأً الى جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي المتوفى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، والمرجح ان مؤلفه الصحيح هو: أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري ، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

يزخر كتاب تاريخ المستبصر بثروة علمية متنوعة ، لغوية وأدبية واقتصادية واجتماعية ، تدل على ثقافته الواسعة وبُعد نظره وطول باعه ، من خلال تنوع معلوماته وغزارتها وتوزيعها على معلومات تاريخية وجغرافية وأثنوغرافية واقتصادية ، فضلاً عن رصده كثيراً من ظواهر الحياة المتنوعة في بلاد اليمن خصوصاً، وبلاد الحجازوالهند والديبول وجاوة وغيرها من البلدان التي زارها وسجّل لنا ملاحظاته عنها ، فكان شاهد عيان معاصر مدققاً لكثير من شؤون الحياة ، ونستدل من ذلك انه كان تاجراً يمتلك مركباً بحرياً

، طاف كثيراً من البلدان وزودنا بمعلومات وافية عنها ، وسجل لنا رواته ومحدثيه وأماكن لقاءاته بهم في متن كتابه .

يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً عن تاريخ اليمن والحجاز ، فيه معلومات تاريخية متناثرة ذات قيمة كبيرة عن تاريخ تلك البلاد وملوكها وأمرائها وقادتها ، خصوصاً الأيوبيين المتأخرين في اليمن وأوائل حكم الرسوليين وشرفاء مكة من بني قتادة ، وتعود أهميته الى ملاحظاته المباشرة عن الحياة العامة ، فقد تناول بغزارة التفاصيل المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، من عادات الزواج وشؤون الرقيق والمقاييس والنقود والملابس والضرائب الكمركية .

اهتم المؤلف بمدينة عدن اهتماماً خاصاً ومتميزاً ، فقد خصص لها أكثر من خُمس كتابه ، وأفرد لها خارطة خاصة عن طبوغرافيتها وأبرز معالمها ، وتحدث بتفاصيل نادرة وبوضوح عن نشاطها التجاري ومعاملاتها الاقتصادية ، وسجل لنا روايات وأساطير محلية خاصة بالمناطق التي زارها ، وتحدث عن أخلاق سكانها وعاداتهم وتقاليدهم .

وبمناسبة نشر هذا البحث العلمي عن كتاب تاريخ المستبصر ، لايسعنا إلا ان نجدد الدعوة المخلصة الصادقة حول إعادة تحقيق ونشر هذا الكتاب التراثي المهم ، لإعادة الاعتبار الى مؤلفه الحقيقي ابن المجاور البغدادي النيسابوري من خلال دراسة حياته دراسة علمية وموضوعية ، وتجدرالإشارة الى أننا ركزنا اهتمامنا العلمي الشديد المتواصل والمتكرر والمستمر على تحديد شخصية مؤلفه الحقيقي ، من خلال عدة أنشطة علمية انجزناها منذ أيام تتلمذنا لإنجاز أطروحة الدكتوراه عن عدن والى الآن ، وذلك من خلال الآتي :

١-اطروحة الدكتوراه التي قدمناها الى المجلس العلمي لكلية الاداب / جامعة بغداد ، وقد أنجزت وقدِّمت إلى قسم التاريخ عام ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، بعنوان : عدن / دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٧هـ / ١٠٨٣-١٢٢٩م ، على الصفحات : ٥١-٥٤(المقدمة - تحليل المصادروالمراجع) ،

٢- تم اعادة نشر هذا الموضوع بعد طبع الاطروحة في كتاب ،من منشورات مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة ،الطبعة

الاولى ، (البصرة ، ١٩٨٥م) ، ص ٣٥-٣٧ (المقدمة – تحليل المصادر) .

❖أعيد طبع الكتاب في جامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، (عدن، ٢٠٠٤م) ، ص ٤٢-٤٣ .

٣- بحث بعنوان : ((أضواء على مؤلف كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر)) ، مجلة الخليج العربي ، المجلد (٢٣) ، العدد (١-٢) ، إصدار مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، (البصرة ، ١٩٩١م) ، ص ١١٥-١٣٨ .

٤- محاضرة علمية قدمتها إلى أساتذة قسم التاريخ والآثار في كلية الآداب / جامعة عدن ، وهي المحاضرة الاولى في افتتاح الموسم الثقافي للقسم ، وذلك صباح يوم الاثنين ٢٠٠٢/١/٧م ، بعنوان : ((مصادر عن تاريخ اليمن الاسلامي منسوبة خطأً الى مؤرخين آخرين/ ثلاثة نماذج لإشكالية منهجية علمية)) ، وكان تاريخ المستبصر المصدر الاول ضمن تلك المحاضرة،فضلاً عن بحوثٍ علميةٍ أُخرى منشورة.

سيكون منهجنا في هذا البحث ذكرالنصوص التي وردت فيها ألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، من خلال حديثه أو روايته حكاية أو قصة أو حادثة ما ، ووضع خطوط تحت ألفاظ ومُفردات القرآن الكريم،ثُمّ نقوم بتخريج الآية القرآنية كاملة التي تضمنت المفردة واللفظ القرآني الوارد في كلام ابن المجاور النثري وتوثيقها في المتن ثُمّ في الهامش ، وعرض تلك الحكايات والقصص و الروايات وفق تسلسل ذكرها في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) ، على شكل

فقرات مرقمة بالتسلسل ,وكالآتي :

١

قال ابن المجاور (١) في افتتاح كتابه – بعد البسملة- : ((الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين ، وبسط الأرض وجعل فيها آيات للموقنين ، وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) .

بدأ ابن المجاور مقدمة كتابه البليغة هذه بحمد الله والثناء عليه ، وضَمّنها آيات مباركات من القرآن الكريم ، توحي باختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، ففي النص قال : ((رفع السماء عبرة للناظرين)) ، في كتابه العزيز ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾(٢) ، وفي قول ابن المجاور – عن الارض- : ((وجعل فيها آيات للموقنين))، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٥) .

أما قول ابن المجاور : ((وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) ، فلعل سبب اختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، كان ً بقوله تعالى في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، حول لفظ ومصطلح ومعنى المستبصر ومفرداتها ، مثل : الأبصار ، والبصائر ، من ذلك قوله عزّ وَ جَل : ((لاتُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم ...)) (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (٧) ,كما وردت كلمة (بصائر) في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (٨) ، مما يوضح ان المؤلف استوحى فكرة إختيار عنوان كتابه مما ورد في القرآن الكريم حول مفردة المستبصر ، وجمعها : المستبصرين ، أي أصحاب العقول والإدراك والفهم ، فضلاً عن مشتقات ومرادفات هذه المفردة – كما ذكرنا ، مثل : الأبصار ، البصائر ...لذلك ضمَّنَ ابن المجاور مقدمته ثلاثة ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم ، كما يتضح جلياً من تخريجنا لها في الآيات القرآنية الكريمة .

٢

في حديث ابن المجاور (٩) عن اشتقاق اسم مكة ، ذكرأن مكة سميت بهذا الاسم لأربعة أقوال ، أحدها أنها

مسافة يأتيها الناس من كل فج عميق ، فكأنها هي التي تجذبهم إليها .

وفي قول ابن المجاور حول اشتقاق إسم مكة إقتباس لما ورد عنها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١٠) ، ومازال الناس – الى يومنا هذا- يأتون الى مكة لأداء فريضة الحج ، فضلاً عن العمرة إلى بيت الله الحرام فيها، من كل أصقاع الأرض القريبة منها والبعيدة عنها ، فكأنها (مكة) أصبحت عامل جذبٍ واستقطاب لهم الى هذه الأرض المقدسة ، وهي ظاهرة خير مستمرة طوال أيام العام .

٣

تحدث ابن المجاور (١١) عن قصة حياة قسي بن منبه ، الذي اشتهر فيما بعد باسم : ثقيف ، واقترن اسمه ببناء مدينة الطائف ، مشيراً الى افتراقه عن النخع ، وهما (النخع وثقيف) رجُلان من قبيلة إياد بن نزار ، فاتجه ثقيف الى موضع قريب من الطائف ونزل فيه ، فاذا هو بجارية حبشية ترعى مائة شاة لمولاها ، فأسَرَّ طمعاً فيها ، أي أضمر (أخفى) أمراً تجاهها في داخله ، وقال : ((أقتلها وآخذ الغنم!))، ويبدو أن الجارية أدركت نواياه تجاهها ، فقالت له : ((ياهذا كأنك طمعت نفسك أن تقتلني وتأخذ غنمي)) ، فأجابها : نعم؛ لذا حذرته الجارية من مغبة عمله هذا

ونصحته بالذهاب الى مولاها عامر بن الظَرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو سيد أهل ذلك الوادي ، وطلب المساعدة منه ، وفعلاً ذهب ذلك الرجل إليه فأكرمه وزوّجه من ابنته ، فولدت له: عوف ودارس وسلامة وأقام بالطائف وغرس الكرم (العنب) ، وبنى المكان الذي سمي : الطائف ؛ لأنه طاف البلاد وسكن فيها .

ان عبارة ابن المجاور التي وردت في هذه القصة : ((فأسرَّ طمعاً فيها)) ، مستوحاة من ألفاظ القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا ﴾ (١٢) ، وقال عزوجل : ((كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ ﴾(١٣) ، فضلاً عن ورود هذه اللفظة في آيات قرآنية عديدة(١٤) ، ومعناها : أخفى وستر وأضمر في نفسه سراً .

٤

تحدث ابن المجاور (١٥) عن سيوف الصواعق ، فذكر انها ثلاثة وقيل سبعة ، وقال آخرون بل هي أربعة عشر سيفاً ، ضُربت أيام يافث بن نوح (ع) ، وأسهب في وصف تلك السيوف ، ثم تحدث عن أشهر أنواعها وهي اربعة أصناف : الصنعاني ويضرب في صنعاء ، وهو متقدم قصير لأنه سيف الرجّالة ، والكرماني قديم ضُرب أيام دولة ملوك العجم في كرمان ، والإفرنجي سيف طويل ؛ يُطولونه لأجل الفُرسان ، والهندي منه عدة أصناف ، قال ابن المجاور (١٦) : ((وأما السيوف في العالم فكثيرة الأصناف وتضرب في كل بلد وإقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا دون غيرهم وعرفوا من بين جنسهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)) .

عدَّ ابن المجاور هذه السيوف الأربعة : (الصنعاني والكرماني والافرنجي والهندي) من أرقى سيوف العالم وأعلاها درجة أي مرتبة متقدمة ، نظراً لما اشتهرت به من جودة الأداء وحُسن الصناعة ، فكانت مستوياتها متقدمة على

مثيلاتها الاخرى من السيوف ، وعُرفت أصناف تلك السيوف بقيمتها العليا وكثرة الطلب عليها ، مضمناً هذا الموضوع اقتباساً مماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١٧).

والدرجة هنا تعني مرتبة تفضيل شيء على شيء آخر ، كما هو الحال بالنسبة الى الرسل ، فضلاً عن أمور أخرى في الحياة ، كما ذكر ابن المجاور هنا أنواع السيوف ومراتبها وأصنافها ودرجاتها ، التي تميزت بارتفاع أي علووتفضيل بعضها على بعض ، وقد وردت اشارات واضحة عن هذه الامور في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (١٨) .

٥

ذكر ابن المجاور (١٩) انه وُجد في مدينة زبيد باليمن سطر مكتوب : بَدّلنا حمل دُرْ بحمل بُر (قمح) ومامسنا ضُر والله المستعان ، ووُجِدَ مكتوب أيضاً في مدينة أبي سيار من أعمال حران : طلبنا البُر بالدر (حجر كريم) فما وجدناه.

أشار ابن المجاور الى الاطلاع على كتابات فيها تبادل مادة الدُر بمادة القمح (الحنطة) ، ولعلها إشارة الى استخدام طريقة المقايضة في التبادل بين بضائع معروفة ، وفي النص الاول إقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ﴾ (٢٠) ، اما عبارة ، فهي إقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (٢١) .

٦

تحدث ابن المجاور (٢٢) عن شجر الكاذي ، وهو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل ، وهو ورد على هيئة الصَبرة التي تُزرع في العراق والهند ، لكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذو شوك خشن ، لم ينعقد ورقه إلا من برق البرق ، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة ، وان لم يكن البرق لم يكن منه شيء . وهذا شيء عجيب ، ويخلق مالاتعلمون .

ان وصف ابن المجاور لشجر الكاذي الذي ينبت ورقه ويكثر بسبب البرق ، يدل على قدرة الله عزوجل ومشيئته ؛ لذا عدّ ذلك أمراً عجيباً ، فاستشهد بمفردة من آيات الله سبحانه وتعالى ، هي أنه يخلق مالايعرفه الانسان ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾(٢٣) ، فضلاً عن آيات قرآنية عديدة تبين قدرة الله على الخلق ، فقد خلق الانسان والحيوان والنبات ، فضلاً عن ظواهر وشواهد كثيرة جداً في الحياة ، مثل : خلق السموات والارض والبحار والامطار والعواصف والرياح والحرارة والبرودة والبرق والرعد ... وغيرها من المعجزات والدلائل التي تبين آلاءه وقدرته سبحانه وتعالى .

٧

قال ابن المجاور (٢٤) : ((وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد ، فإن كان رابحاً طاب (٢٥)قلبه وإن كان خاسراً إغتم، فإن سافر في البر فهو من أهل ذات اليمين وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال . فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هَوْل العَرضْ الأكبر اللهم لاتناقشنا ياكريم !)) .

في هذا النص وصف وتصوير دقيق لحال الانسان عندما يخرج من البحر,هو أشبه بخروجه من القبر ، نظراً للخطورة والصعوبة التي يواجهها في البحر ، والفرضة أي دائرة إستيفاء الرسوم والمكوس (الجمرك) على البضائع التجارية,تتم فيها المحاسبة على الوزن والعدد ، وهي محاسبة عسيرة فكيف حال الانسان يوم القيامة بعد موته ومثوله أمام الله سبحانه وتعالى يوم المحشر؟ ، عندما يُحشر أي يُجمع الناس ويُحاسبون ويُساقون الى مصيرهم الأخير ، إما الى الجنة والخلود في دار النعيم وإما الى جهنم خالدين فيها أبداً ، جزاءً على أعمالهم ، وهذا

النص مستوحىً و مُقتبس من القرآن الكريم فيما يخص الحشر يوم القيامة والمحاسبة ، فضلاً عن ذكر ألفاظ ذات اليمين وذات الشمال ، فقد خصص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (القرآن الكريم) سورة خاصة ، هي سورة الحشر ،منها هذه الآية :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(٢٦) ، كما وردت مفردات الحشر ، يحشرهم ، تحشرون ، ...(٢٧) ، فضلاً عن ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في القرآن الكريم (٢٨) ، وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة فوائد عظيمة لاتحصى من العبر والدروس والمواعظ ، فضلاً عن تقويم مسيرة الإنسان في الحياة الدنيا ، من خلال تمييز الصالحين من الطالحين ، وبين أصحاب القيم والمثل والمبادىء الملتزمين بقواعد وأسس دينهم الحنيف ، وبين أولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا فابتعدوا عن الطريق القويم وسلكوا طريق الإثم والضلالة وأغواهم الشيطان ، فخسروا دورهم الإنساني في الدنيا ولم يوظفوا عقلهم في طريق الخير والعمل الصالح ؛للنجاة من الكبائر .

٨

أشار ابن المجاور (٢٩) الى تطور مدينة عدن واتساعها وانتشار العمارة والبناء فيها في عصر سلاطين بني أيوب ونوابهم عليها ، فقال : ((وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق)).

في النص اشارة وإقتباس من القرآن الكريم حول تطور مدينة مكة وكيف ان الناس كانت تقصدها من كل أرجاء المعمورة؛ لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام وممارسة التجارة فيها، وفي نص ابن المجاور هذا إقتباس من القرآن الكريم وتشبيه عدن بمكة في توافد الناس عليها للعمل في التجارة وفي البناء،وماصاحَبَ ذلك من توسع المدينة وانتشار العمارة والبناء فيها ، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ (٣٠) ، أي ان الناس أتوا الى مكة لأداء فريضة الحج من أماكن متباينة بعيدة وقريبة عن مكة ، فضلاً عن قدوم التجار العاملين في موسم الحج اليها وخلال أيام السنة باستمرار ، نظراً لموقعها التجاري ونشاطها في هذا المجال .

٩

انفرد ابن المجاور (٣١) بذكر العمل بجواز السفر بالنسبة الى المسافرين المغادرين ميناء عدن ، فضلاً عن الكفيل الضامن للمسافر ، إذ يقول : ((ولو أراد

بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قَدِرَ إن لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور ويُكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك . وان لم يكن له ضامن وإلا أخذ منادي [منادٍ] ينادي عليه في الأسواق : ان فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيىء يطالبه ! فإن ظهر عليه شيىء كفى الله المؤمنين القتـــال

وإن لم يظهر عليه شيىء خرج الى أي موضع شاء ، كما قيل في المثل : المفلس في أمان الله)) .

النص واضح جداً وصريح بخصوص استخدام جواز السفر والعمل به في مدينة عدن وميناءها ، بالنسبة للمسافر الخارج من باب البر أو باب البحر فضلاً عن الكفيل الضامن ، وبخصوص استخدام الكفيل الضامن للمسافر اذا ظهر عليه شيىء بعد سفره من ديون أو رسوم ...فالكفيل هو الذي يتكفل تسديد ماعلى المسافر ، أما بالنسبة الى الغرباء المسافرين ممن ليس لديهم كفيل

يعرفهم ، فالطريقة هي المناداة بسفر فلان بن فلان في الاسواق فكل من له عليه شيىء يطالبه به قبل سفره ، وقد يؤدي ذلك الى منعه من السفرإلا بعد أداء مابذمته من حقوق ، لذا استشهد ابن المجاور بقوله تعالى :﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ ، اي عدم الوقوع في مشكلات جراء سفره دون محاسبة وتدقيق ، أما من لم يظهر عليه شيىء فبإمكانه السفر الى أي مكان يشاء ، كما قيل في المثل : المفلس في أمان الله ، وقد وردت صيغة الإقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾(٣٢) .

١٠

وصف ابن المجاور (٣٣) أوضاع عدن أواخر العصر الأيوبي في اليمن وبداية عصر بني رسول بالفوضى والاضطراب ، وروى ان عدن تخرب سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م ، مستدلاً على ذلك بدخول أول أمراء بني رسول اليها وحكمها ، وهو نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي أشاع الرعب والخوف بين سكانها ، فضلاً عن سيطرته على مقدراتهم الاقتصادية وتحكمه بحياتهم ومعيشتهم ؛ بسبب احتكار بعض المواد التجارية وبيعها بأسعار عالية ، اذ يقول : ((وكانت الايام شبه أيام المحشر كل منهم ينادي أين المفر؟)) .

في نص ابن المجاور تشبيه بيوم المحشر ومايصاحبه من خوف ورُعب وهَول ، في ذلك المشهد الذي يقف فيه الانسان بين يدي الخالق العظيم ,ويجري تقويمه من خلال أعماله فتوزن حسناته مقابل سيئاته ، وماورد في هذا النص هو إقتباس من آيات القرآن الكريم ، في قوله عزوجل : ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ ﴾ . (٣٤)

١١

تحدث ابن المجاور (٣٥) عن مسجد الجَند وفضائله ، ومنها زيارة الناس له سنوياً في أول جمعة من شهر رجب ، وروى ان صفي الدين حاتم بن علي بن محمد بن المعلم ، أخذ أبرة مسمومة وغرز فيها خيطاً مسموماً ، وصار يغرز الابرة في جوانب البطيخة ويجرها والخيط معاً ، وجاء بها الى السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وهو قائم على بناية المنصورة فجلا سكيناً فوق البطيخة ليأكل منها ، فتناول منه سيف الاسلام البطيخة فقطع وأكل وشعر بالشر ، فقال لعلي بن حاتم : الله

المستعان على ماتصفون (٣٦) ، فقال له : كل يامولاي ماهو إلاّ خير ، وغاب الشيخ حاتم بن علي بن محمد بن المعلم من ساعته ، فأوجعه فؤاده ومات .

روى ابن المجاور عن عبد الله بن محمد ، قال انه كان يقرأ في النزع (اللحظات الأخيرة قبل موته) : ماأغنى عني ماليه❖ هلك عني سلطانيه ❖ خذوه فغلوه ❖ ثم الجحيم صلوه ❖ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه (٣٧) ,الى تمام الآية .

وروى ابن المجاور (٣٨) عن رجل من آل الصليحي قال : انه قرأ : الذي جمع مالاً وعدده ❖ يحسب أن ماله أخلده ❖ كلا لينبذن في الحُطمة ❖ ومأدراك ماالحطمة ❖ نار الله الموقدة ❖ التي تطلع على الأفئدة ❖ إنها عليها مؤصدة ❖ في عَمَد مُمددة (٣٩) ، وصار يكررها الى ان ماتَ ، وبقيت البناية على حالها الى وفاة الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب,فأعادَ الأراضي إلى أصحابها.

في رواية وفاة السلطان طغتكين بن أيوب ، إقتبس ابن المجاور بعض آيات القرآن الكريم في ثلاث سور ؛ بهدف العبرة والموعظة ، وكيف أن هؤلاء السلاطين أصحاب القوة والثروة يلاقون مصيرهم المحتوم وهو الموت ، وبذلك لاينفعهم مالهم الذي جمعوه بشتى الطرق والوسائل غير الشرعية ، بل سوف يخلدهم في النار ، فيندمون على ماجمعوا من تلك الأموال التي حرموا الناس منها وظلموهم شر الظلم ، بمصادرة حقوقهم وحرمانهم من أبسط مستلزمات العيش والحياة .

١٢

تحدث ابن المجاور (٤٠) عن صفة صنعاء وشهرتها بالفواكه والثمار المتنوعة ، وأضاف أن اهلها أي سكانها فيهم خليط من نسل العجم خرجوا من الحبوس والقيود في دولة يزدجرد بن شهريار بن بهرام ، ويقال كسرى بن قباذ مع سيف بن ذي يزن لتحرير اليمن من الأحباش ، ثم قال: ((وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور)).

وهذا النص فيه إقتباس من القرآن الكريم, في قوله عزوجل : ﴿ وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾(٤١) .أي أن تاريخهم مشهور مدون في كتاب مسطور ،أي في روايات منتظمة موثقة في صدور الناس وذاكرتهم ، ثم في المؤلفات المدونة على لسان الرواة وأهل الأخبار ؛ لتوضيح الصراع بين الفرس والأحباش من أجل السيطرة على بلاد اليمن ؛ للإفادة من موقعها التجاري على طرق المواصلات العالمية والتحكم بمقدراتها .

١٣

روى ابن المجاور (٤٢) حديثاً عن منصور بن محمد الواسطي حول ظهور قضبان تسمى : شوحط في أعمال تعز وصنعاء ، اذا أُشعل رأس القضيب اشتعل شبه الشمع وهي تُستخدم عوضاً عن السراج والفُتَل ، وأضاف أن هؤلاء القوم مأكولهم الحنطة والحلبة واللحم صيفاً وشتاءً، وسفرهم الى عدن وشراؤهم العُطب والعطر والهندوان ، وغاية اشتغال القوم في معرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النجوم والنحو والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة وحساب الضرب والجُمَل ، وأضاف قائلاً : ((وقوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب)) .

وبناؤهم بالحجر القديم .

في النص إقتباس من القرآن الكريم في وصف النبي داوُد(ع) في قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ (٤٣) ، وهذا يعني أن هؤلاء القوم كان لهم اهتمام كبير بالعلم والعمل من خلال إشتغالهم بالعلوم المتنوعة المذكورة أعلاه ، فوصفهم ابن المجاور بأنهم قوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب ، أي لهم عقول تعمل بهدف الاطلاع على أسرار العلوم والافادة منها وتسخيرها لخدمة البشرية .

ووصف ابن المجاور (٤٤) سكان مدينة

IraqiGuy,deviantart.com

صعدة ، بأنهم قوم أخيار يَدَّعون الحكمة ومعرفة الجواهر والعلوم العُلوية ، وهم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ، وهم أصل القوم وهم المقدصون في المذهب الزيدي ، ونستنتج من النص أن هؤلاء القوم سخروا عقولهم في العلم والمعرفة ، بسبب مؤهلاتهم العقلية التي وظفوها في دراسة علوم الطبيعة لخدمة الانسانية .

١٤

تحدث ابن المجاور (٤٥) عن مساكن شداد وعاد والتبابعة الجبابرة ، ووصف بناؤهم بالحجر والرخام والرصاص ، وبعضها حُفرت في الجبال أي نُقرت (نُحتت) ،كما قال الله عزَّ وجّل : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ (٤٦) . فلما كفروا بنعمة الله عزوجل خُسِفَ بهم وتفرق شملهم وتشتتوا في الأقاصي ، فأصبحت الدور قبوراً ، والمساكنُ مساكنَ فارتدمت بعضها على بعض ، وتقُلعت النخيل والأشجار ، وطلع بدلاً منها العُشر والأراك (الشوك) ، وسكنت البدو في بيوت الشعر ، وصارت الإبل ترعى بين عامر الخراب وتشرب ظباؤها من الندا والسراب لبئس الشراب،وساءت مُرتفقا. تضمن النص الأخير لإبن المجاور إقتباساً من القرآن الكريم في وصف حال هؤلاء الكافرين الظالمين ، وكيف ان الله سبحانه وتعالى يعذبهم عذاباً أليماً كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا وإن (٤٧) ، وفي هذه الآية الكريمة وصف واضح جداً لمصير الكافرين الظالمين وقد شَبَّهَ ابن المجاور قوم شداد وعاد والتبابعة بهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في حالهم المأساوي بعد موتهم ، جزاءً وفاقاً على كفرهم وظلمهم وكيف انتقم الله منهم،من خلال هذا الوصف الواضح في القرآن الكريم وفي نص ابن المجاور أيضاً .

١٥

روى ابن المجاور (٤٨) عن مُحدثه هشام بن مسعود النجراني ، ان هنالك طريقاً قديماً يسمَّى: طريق الرضراض يصل الى الكوفة مما يلي ظَهرااليمن ، ويقال انه يصل الى البصرة ، وكان أهل اليمن يسافرون فيه على الحمير وعليهم الأديم الى إحدى هاتين المدينتين (البصرة والكوفة)، مرتين في العام ، ولما سأل ابن المجاور محدثه : على أي الأماكن كان مسلكهم؟ ، قال : ((على اليمامة والحساء [الإحساء] والبصرة ،

قلت : ومتى كان عهدكم بعمرانه؟ قال : سنة عشرين وخمسمائة [٥٢٠هـ / ١١٢٦م])) . وقال : [بسيط] لما رايت سُلوي غير متجه وأنَّ غَرْب شِفاري عادَ مفلولاً دخلتُ بالرغم مني تحتَ طاعتكم ليقضي الله امراً كان مفعولاً

في عجز البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولًا﴾(٤٩)

ويبدو أن ابن المجاور استشهد بهذين البيتين من الشعر إما نقلاً عن محدثه النجراني ، او أنه – كعادته – يستشهد بالشعر دون مقدمات أو تسمية الشاعر في أغلب الأحيان ، ويسبق ذلك فجأة بكلمة : قال ،ثمَّ يذكر بحر الشعر ، كما ذكره هنا وهو :البسيط ، وهكذا يتضح لنا أن ابن المجاور كان حريصاً كل الحرص على إيراد العبارات والمفردات من القرآن الكريم ،لكي يضمنها قصصه وحكاياته ورواياته ، وهذه المرة الوحيدة التي يستشهد ببيت شعر فيه اقتباس من

القرآن العظيم .

١٦

أشارَ ابن المجاور (٥٠) إلى أن الكرم من خصائص العرب ، ويقال أن أول من أطعم الكِسرة (كسرة الخبزة) ، هو ابراهيم الخليل (ع) فهي سُنته ، وروى أن أصحاب الأعراف هم ثلاثة : ابو طالب لتربيته رسول الله (ص)، وأنو شروان لعدله ، وحاتم الطائي لكرمه .

تضمنت رواية ابن المجاور هذه إقتباساً من القرآن الكريم حول أصحاب الأعراف الذين وصفهم الله عزوجل بقوله

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٥١).

تتضح لنا مما ذكره ابن المجاور مكانة أهل الكرم ومنزلتهم الفائقة ، وأول روادهم سيدنا إبراهيم الخليل (ع)، فهو أول من أطعمَ كِسرة الخبز ، وأصبحت سُنّتُهُ أي طريقته وشهرته في زمانه ، فضلاً عن بيان مكانة أهل الأعراف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ، ولعل لمآثر هؤلاء وحُسن صنيعهم بسبب شُهرتهم بالكرم ،فضلاً عن تربية أبي طالب للرسول الكريم محمد (ص) أثره في تخليد ذكراهم ، فالكريم قريب من الله تعالى قريب من الجنة قريب من الناس .

١٧

روى ابن المجاور (٥٢) حكايةً عن ذِمام العرب مفادُها ان دعبل بن علي الخزاعي هجا المطلب بن عبد الله الخزاعي بشعر ، فلقيه المطلب في طريق فقال له : سِرْ معي الى منزلي ! فذهب معه ، فلما دخل دعبل قال المطلب : والله لأقتلنك شر قتلة ، فقال له دعبل : لاتقتلني وانا جائع أشبعني وافعل ماشئت ستجدُني إن شاء الله منَ الصابرين ، فقال له المطلب : ماأحسن ماطلبت النجاة ! إن اطعمتُكَ وَجَبَتْ الحُرمة ، وإن لم أُطعمُكَ بخلتُ أيَ بُخلٍ ، فقال دعبل : والله لاذكرتك بعدها بسوء أبداً ،فأطلقهُ وأحسَنَ جائزتُهُ .

يتضح لنا من هذه الحكاية الطريفة كيف ان الشاعر دعبل الخزاعي أحسَن التصرف بكسب عدوه وتهدأته من روعه وغضبه ، باسلوب جميل ، وورد في القصة إقتباس من القرآن الكريم في قصة النبي إبراهيم (ع) مع إبنه إسماعيل (ع) ، وكيف انه رأى في المنام أنه يذبحه ، فاستجاب اسماعيل لطلب والده ابراهيم طاعة له ، لكن الله فداه بكبش عظيم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى

ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥٣) ، ولعل ماورد من قول دعبل الخزاعي مع غريمه المطلب الخزاعي كان سبباً في العفو عنه ، إذ طلب دعبل من المطلب أن يشبعه لأنه جائع ثم يقتله ، وهذاغير ممكن أن يطعم العربي ضيفه ثمَّ يقتله، لأنَّ ذلك ليس من شيم العرب وذمامهم ،فمن يطعم ضيفه يحرم عليه قتله ، وإن لم يطعمه يوصف بالبخل والعرب تأبى أن توصف بهذه الصفة الذميمة ؛ لذلك أطلق دعبل وأكرمه ، وفي هذه القصة كثيرٌ من العبر والدروس والمواعظ ,التي تؤكد ذمام العرب و عدم غدرهم وعدم إقدامهم على قتل عدوهم إذا كان في بيتهم وفي ضيافتهم ؛لأنَّ الكرم يوجب الحُرمة، ومنها حرمة القتل .

١٨

روى ابن المجاور (٥٤) أن سقّاءً نزل بئراً في طريق مكة يُبرح منه الماء في الدِلاء لقلّته ، فرحل الحاج على غفلة وبقي السقّاء في مكانه ثلاثة أيام بلياليها ، وبعد انتهاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه ، فنظر الأعرابي السقّاء في قرار البئر فاستقى وسقى حصانه وشرب,وإستخرج السقّاء من البئر وأردفه وراءه وسار به غير بعيد ، الى أن وصل خبت قفر ليس به مما خلق الله عزوجل من المخلوقات,سوى بيت شَعرٍ فيهِ رجلٌ وزوجتُهُ فأكرَموهُ.

فِي رواية ابن المجاور هذه إقتباس من القرآن الكريم في عبارة:فأدلى دلوه ، أي أنزل الدلو في البئر ، كما تأتي بمعنى أبدى أو عرض وجهة نظره ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٥٥) .

وهذا النص منقول عن سورة النبي يوسف (ع) وقصته المشهورة مع اخوته ، وماتحمله من العبر والدروس البليغة التي تبين قدرة الله عزوجل وإرادته في حماية أنبيائه ورسله من بني آدم .

١٩

وصف ابن المجاور (٥٦) الجراد النجدي بأنه لايأكل الحشائش ويشم أطيب الأهوية ويشرب أطيب المياه ويتربى في أطيب الأمكنة ، ويرجع دواء لكل داء ، وروى أنه يظهر في نجد من أعمال تسمى : الدهناء ، والموضع هو مشرق البحر ، وقيل بل هو يخرج من البحر بإذن الله تعالى عزوجل ، قال ابن المجاور : ((وهو قريب من المن والسلوى ينزل على شجر الزيتون بجبال الروم وغيرها . والسلوى هو طيريجيىء الى دمياط على وجه الأرض)) . وشَبَّهَ ابن المجاور

طير السلوى بالجراد النجدي من حيث أوصافه التي ذكرها أولاً فهو طيب في الأكل والرائحة .

تضمن نص ابن المجاور إقتباساً من القرآن الكريم في قصة النبي موسى (ع) مع بني اسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٥٧).

٢٠

وفي حديث ابن المجاور (٥٨) عن جزيرة فـَرسان ، حدد موقعها بين جزيرة وهلك وحلى ابن يعقوب في البحر

الأحمر، وأشار الى نِعَم الله سبحانه وتعالى التي خص بها أهل الجزيرة ، فبعد طلوع الشمس يدوي الجو بطيور كثيرة تصطف على شاطىء البحر ، وتنزل على السكان بعد ساعة طيور تشبه الخُرُق ، ويقال تشبه السُمان ، يبلغ عددها زهاء مائة ألف طير ! وعند نزولها على شاطىء البحر لاتستطيع الطيران فتأخذ الناس كفايتها منها في الذبح والطبخ ، ويتصف هذا الطير بغزارة لحمه وشحمه ولايمل الناس منه ؛ بسبب لحمه الخفيف الطيب المريء ، وقد سأل ابن المجاور عنه بقوله : ومايسمى ؟ - والحديث الى بدر مولى بشر الصوفي - ، قال : السلوى ، وهو الذي قال الله عزوجل فيه : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (٥٩)، فقلت للراوي:كم يكون دَور الجزيرة ؟ قال:مسيرة يوم كامل لرجل طرّاد ، أي رجل فارس يمتطي جواداً ، وفي حديث ابن المجاور اقتباس من القرآن الكريم تمَّ تخريجه وتوثيقه ، يتعلّق بقصَّة النبي موسى (ع) مع بني إسرائيل – كما ذكرنا.

٢١

تحدث ابن المجاور (٦٠) عن الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءَهم ، مقترنة بصفات الله سبحانه وتعالى وآلائة ، لكن بصيغة المبالغة ، ففي رواية أنَّ رجلاً من الحاكة رُزق ولداً ، فقيل له اختر له كنية ، فقال : كنوه عبد رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٦١) فقال له الرجل : ابن من ؟ قال : ابن عبد الكريم [الله] الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه (٦٢) ، فقال: مرحباً يانصف القرآن .

وأعجبُ من ذلك أن رجلاً من العجم مسكنه أذربيجان سمى ابنه عَبدُ من الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (٦٣) . وهكذا يتضح لنا أن هذه الأسماء الطويلة أُطلقت على خلق الله من عباده ، فهم عبيده لأنه خالقهم ، ومع ذلك فهي أسماء طويلة فيها مبالغة واضحة جداً ، بقصد التقرب الى الله سبحانه و تعالى ، فقد ذكر ابن المجاور حديثاً عن منصور بن المقرب بن علي الدمشقي ، حول أذربيجان أن أصل أهلها عبيد وموالٍ ؛ لذلك فيهم حماقة وكِبْر خارج ، ونفوسهم شحيحة وهمتهم قليلة ، وماذكره ابن المجاور في روايتيه عن كنية المولود واسم الوَلَد في أذربيجان،المقترنين بكنى وأسماء الله عَّز وجلّ،هما مقتبس من القرآن الكريم في الآيتين اللتين تمَّ تخريجهما.

٢٢

روى ابن المجاور(٦٤) في حديثهِ عن بناء مدينة قلهات أن أول من سكن

الساحل في قلهات الصيادون ، وهم قوم ضعفاء يترزقون الله ، ثم تكاثر القوم واستأنسوا ، وسكن من جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب اسمه : مالك بن فهم ، كان له دور كبير في تطور مدينة قلهات ونشاطها التجاري ، فقد أدار عليها سوراً من الحجر والجص ودخلتها المراكب من كل فج وخور وسائر الجهات ،وبمرور الزمن أصبحت المدينة ذات مكانة وهَيبة عظيمة .

في رواية ابن المجاور استشهاد و إقتباس من القرآن الكريم في كلمة : فج,التي وردت في الكتاب العزيز,وكلمة فجاج تعني : المسالك والطرق التي توصل بين الأماكن (٦٥) . وجاءت في وصف مكة التي قصدها الناس من كلِّ فجٍّ عميق- كماذكرنا.

٢٣

وصف ابن المجاور (٦٦) الطريق من المنصورة الى عدن راجعاً ,بدءاً من المنصورة الى ريسوت ، وذكر خروج الإمام علي بن أبي طالب (ع) لمواجهة الخوارج بالنهروان، فكسرّهم وَرَكَّبَ عليهم السيف ، ومازال يقتل فيهم الى أن أفنى الجميع، وَرَدَّ البغلة الى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة .

قال علي بن أبي طالب (ع) :أنظروا مَنْ تحت القنطرة! فإذا هم بـ : أبي الثديين ، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :جاء الحق وزهق الباطل أسلِم تسلَم ، فقال : كيف أُسلِم والبغلة تعلم علم الغيب أني تحت القنطرة ؟ فحينئذٍ جَرَّد علي بن أبي طالب (ع) السيف وضربَ عنقه وهرب من سلم من القوم .

في هذه القصة إقتباس من القرآن الكريم في قول الإمام علي بن أبي طالب (ع): جاء الحق وزهق الباطل ، ويقصد

بالحق هنا الإيمان والإسلام والتوحيد ، والباطل هو الكفر والشرك والضلال ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٦٧) .

ومعنى ذلك أنَّ الإسلام والإيمان هما المنتصران على الكفر والشرك ، وهو انتصار الحق على الباطل .

٢٤

ذكر ابن المجاور (٦٨) مافعل ملك جزيرة قيس (كيش) في البحر العربي ومافعل معهُ صاحب مكران ، الذي أرسل الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن وابن الحسين كهرو ، بمال جزيل فاشتريا له من مسقط حصاناً قيمته ألف مثقال ، ورُكب (نُقل) الحصان في مركب إجتاز به من بر العرب الى بر العجم ، فلمّا علِمَ بخبر الحصان ملك قيس أرسلَ عدة مراكب (دوانيج وبومات) قطعوا عليه

طريق البحر وصادروا الحصان .

ولما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أخذ مراكب السُرّاق ومَيّلها على منادخ القيسي ، وقال لهم : ((كل مركب ترونه لصاحب قيس خذوه أخذ عزيز مقتدر!)) ، فأخذوا من ذلك الموسم إثني عشر مركباً موسوقاً من مختلف الأمتعة والطُرُف والتحف والأموال ، وهذا يعني أن صاحب مكران ألحقَ الضرر بصاحب جزيرة قيس وطالب بمصادرة أي مركب له وأخذه أخذ عزيز مقتدر, إقتباساً من القرآن الكريم في قوله عزوجل : ((ولقد جاء آل فرعون النذر❖ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)) . (٦٩)

كان من نتائج مصادرة ملك جزيرة قيس للحصان الذي اشتراه صاحب مكران ، أن الأخير استطاع مصادرة إثني عشر مركباً لصاحب جزيرة قيس بما تحمل من البضائع الغالية ، مما إضطر الأخير أن يرسل الى الملك تاج الدين أبي المكارم صاحب مكران رسولاً يقول له : ((قُل الحمدُ للّه على نعمهِ والله المستعان على أهل هذا الزمان ، كيف رجع الملوك سُرّاقاً يقطعون طرق البحر على سُلاكه؟)) ، فقال تاج الدين للرسول : ((والله ماعلمني قطع الطريق إلا ملككم)) . ونجد في كلام رسول ملك جزيرة قيس إقتباساً من القرآن الكريم في عبارة : والله المستعان ، إذ وردت في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ((﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (٧٠) ، وقوله تعالى : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (٧١) .

لقد تضمنت هذه القصة نَصيَن من القرآن الكريم إقتبسهما ابن المجاور في أسلوبه النثري الخاص ، وربما نقلهما من حكاية الرواة نقلاً عن تاج الدين أبي المكارم صاحب مكران ، ثم نقلاً عن رسول صاحب جزيرة قيس الذي بعث برسالة الى صاحب مكران حملها إليه .

هوامش وتعليقات البحث

١- أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، القسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٥١، ١٩٥٤م) ، ص ١ .

وصدرت طبعة ثانية هي صورة طبق الأصل للطبعة الأولى ، ليس فيها تغيير باستثناء غلاف الكتاب فقط ! منشورات المدينة ، توزيع شركة دار التنوير

للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) . ٢- الرحمن : ٧ ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ . الغاشية : ١٧-١٨.

٣- الحجر : ١٦ .

٤- ق : ٦ .

٥- الذاريات : ٢٠، راجع أيضاً : الشعراء : ٢٤، الدخان : ٧ .

٦- الأنعام : ١٠٣-١٠٤ .

٧- العنكبوت : ٣٨ .

٨- الأعراف : ٢٠٣ ، الاسراء : ١٠٢، القصص : ٤٣، الجاثية : ٢٠ .

٩- تاريخ المستبصر ص ٢-٣ .

١٠- الحج : ٢٧ ، راجع الإحالات:٣٠-٣١، ٦٤-٦٥ وهوامشها من بحثنا هذا.

١١- تاريخ المستبصر ص ١٨-٢٠ .

١٢- يوسف : ٧٧ .

١٣- الرعد : ١٠ .

١٤- المائدة : ٥٢ ، يونس : ٥٤، يوسف : ١٩ ، طه : ٦٢، الأنبياء : ٣ ، سبأ : ٣٣ ، التحريم : ٣ ، نوح : ٩ .

١٥- تاريخ المستبصر ص ٢٨- ٣١ .

١٦- المصدر نفسه ص ٣١ .

١٧- الزخرف : ٣٢ .

١٨- قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ . البقرة :٢٥٣، وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ . الأنعام : ١٦٥ ، وقال : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾. يوسف : ٧٦، وقال : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . المجادلة : ١١ .

١٩- تاريخ المستبصر ص ٥٥ ، راجع : إبراهيم . مأثور الكلام العربي في كتاب صفة بلاد اليمن ص ٢٤٤ .

٢٠- يوسف : ٨٨ . راجع أيضاً عن (الضُّر): النحل : ٥٣، الاسراء : ٦٧، الأنبياء : ٨٣ .

٢١- يوسف : ١٨. راجع : إبراهيم . مأثور الكلام العربي ص٢٤٤.

٢٢- تاريخ المستبصر ص ٨١ .

٢٣- النحل : ٨ .

٢٤- تاريخ المستبصر ص ١٢٨-١٣٠ . (وعلى ص ١٢٩خارطة قديمة لطبوغرافية مدينة عدن) ، راجع أيضاً : إبراهيم . مأثور الكلام العربي ص ٢٣٩ .

٢٥- إلى هُنا نهاية ص١٢٨ وبعدها بداية ص١٣٠,بكلمة : (قلبُهُ).

٢٦- الحشر : ٢ ، راجع أيضاً: سورة القيامة:١-١٦ .

٢٧- عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٦٠-٢٦١ .

٢٨- الواقعة :٨ , ٢٧ , ٣٨ , ٤١ , ٩٠ -٩١.

٢٩- تاريخ المستبصر ص ١٣٠ . راجع : المصدر نفسه ص ٢٠٤ حول مدينة صعدة ، إذ يقول :((فلمَّا تمَّ على أهل صعدة ماتم تراجعت الخلق من كلِّ فجٍّ فعمَّر كُلّ منزلهُ ومسكنهُ وسكن فيه)).

٣٠- الحج : ٢٧ , راجع الإحالة رقم (١٠) وهامشها من بحثنا هذا.

٣١- تاريخ المستبصر ص ١٤٦ .

٣٢- الأحزاب : ٢٥ . راجع عن القتال ومفرداتها : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٨٠ .

٣٣- تاريخ المستبصر ص ١٤٧ .

٣٤- القيامة : ١٠-١٢ ، راجع : سورة الحشر : ٢ .

٣٥- تاريخ المستبصر ص ١٦٦ .

٣٦- يوسف :١٨ ،والآية الصحيحة : ((واللهُ المُستعان على ما تصِفون)). راجع إحالة رقم (٢١) وهامشها من بحثنا هذا.

٣٧- الحاقة : ٢٨-٣٢ .

٣٨- تاريخ المستبصر ص ١٦٦-١٦٧ .

٣٩- الهُمَزة : ٢ — ٩ .

٤٠- تاريخ المستبصر ص ١٨٥-١٨٦ .

٤١- الطور : ٢-٣ .

٤٢- تاريخ المستبصر ص ١٩٢ .

٤٣- ص : ٢٠ ، راجع عن الحكمة في القرآن الكريم : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٧١ .

٤٤- تاريخ المستبصر ص ٢٠٦ .

٤٥- المصدر نفسه ص ٢٠٠-٢٠١ .

٤٦- ونص الآية الصحيحة : ((وكانوا ينحتونَ منَ الجبالِ بيوتاً آمنين)). وقال تعالى : ((وتنحتونَ من الجبالِ بيوتاً فارهين)). الشعراء : ١٤٩ .

٤٧- الكهف : ٢٩ ، راجع عن مفردات : ساء وساءت : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٤٦٧، وعن : الشراب ص ٤٧٩ .

٤٨- تاريخ المستبصر ص ٢١٧ ، راجع أيضاً : ابراهيم . رحلة مع أشعار الغربة والحنين الى الأوطان ص ٤٣ .

٤٩- الأنفال :٤٢، ٤٤ . راجع ايضاً : النساء :٤٧، الإسراء : ٥ ، ١٠٨، المزمل:١٨، عبد الباقي : المعجم المفهرس ص ٦٦٦.

٥٠- تاريخ المستبصر ص ٢٢١.

٥١- الأعراف:٤٦-٤٨، راجع :إبراهيم

. مأثور الكلام العربي ص٢٤١ .

٥٢- تاريخ المستبصر ص ٢٢٤-٢٢٥، راجع بحثنا : مأثور الكلام العربي ص ٢٤٢ .

٥٣- الصافات : ١٠١ — ١٠٢.

٥٤- تاريخ المستبصر ص ٢٢٥ .

٥٥- يوسف : ١٩ .

٥٦- تاريخ المستبصر ص ٢٢٧- ٢٢٨ ،راجع : إبراهيم. أشعار الحكم والمواعظ ص٨٠ .

٥٧- البقرة : ٥٧، راجع أيضاً عن (المن والسلوى) : الأعراف : ١٦٠ ، طه : ٨٠ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٤٥٤ .

٥٨- تاريخ المستبصر ص ٢٤٤ .

٥٩- الأعراف :١٦٠، وتخريج الآية

كاملة : ((وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).

٦٠- تاريخ المستبصر ص ٢٥٥ .

٦١- ((قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم)) . المؤمنون : ٨٦ .

٦٢- ((ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم)) . الحج : ٦٥ .

٦٣- ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. الزمر : ٦٧ .

٦٤- تاريخ المستبصر ص ٢٧٢ – ٢٧٤ (بين الصفحتين ص٢٧٣مخطط مدينة قلهات) .

٦٥- راجع عن كلمة : فج ، سورة الحج : ٢٧ ، و بخصوص كلمة فجاج ، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ الأنبياء : ٣١، وقال : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ . نوح : ١٩-٢٠ ، راجع: عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٥١ .

٦٦- تاريخ المستبصر ص ٢٧٥-٢٧٦ .

٦٧- الإسراء : ٨١، راجع : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ١٥٧ .

٦٨- تاريخ المستبصر ص ٢٩٨-٢٩٩ ،راجع أيضاً : إبراهيم . أشعار الحكم والمواعظ ص ٨٤-٨٥ .

٦٩- القمر : ٤١-٤٢ .

٧٠- يوسف : ١٨ .

٧١- الأنبياء : ١١٢ ، راجع عن (تَصِفون) : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٩١٩ .

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم .
❖ ابراهيم .أ.د. محمد كريم (الشمري) .
٢- أشعار الحِكَم والمواعظ والعبر والدروس في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، مجلة التواصل ، العدد :١٠ ، إصدار : نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٣م) .
٣- رحلة مع أشعار : الغربة والحنين الى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان (في كتاب : تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة التواصل ، العدد : ٨ ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٢م) .
٤- مأثور الكلام العربي في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة اليمن ، العدد : ٢٠ ، إصدار : مركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، شوال ١٤٢٥هـ / نوفمبر ٢٠٠٤م) .
❖ ابن المجاور البغدادي النيسابوري ، ابو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن احمد ، (ت٠د :٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
٥- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، قسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ، (ليدن :١٩٥١ ، ١٩٥٤م) .
❖ عبد الباقي ، محمد فؤاد .
٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، منشورات ذوي القربى ، الطبعة الثالثة ، مطبعة ظهور ،

تفسير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للنص القرآني

بين مقتضى الوجوب وضرورة الواقع

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

جامعة الكوفة

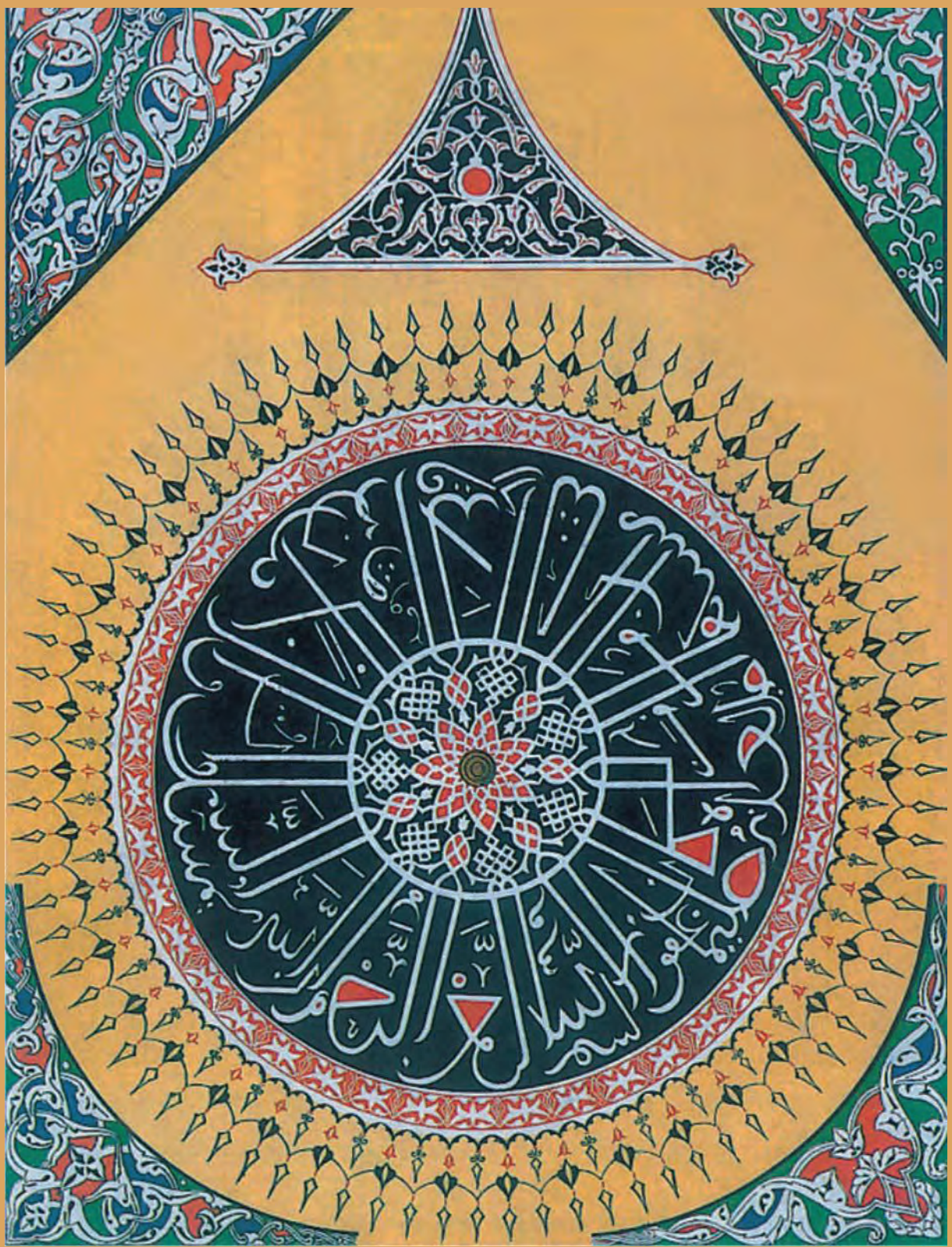

الخلاصة

تمثل هذه المقالة مقاربة علمية للإجابة عن داعي بيان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) للنص القرآني، أ فيعد هذا البيان لمحتوى نصوص السماء المعجزة تكليفاً إلهياً محضاً أم انه يرتبط بمنطق ضرورة الواقع الذي يعيشه الـمتلقُّون لحظة نزول النص، فالبيان الرسولي للنص القرآني يعد مجرد تلبية لمطلب الهي وجوبي أم انه تلبية لمتطلبات الحاجة وداعي مستوى فهم المتلقي للنص أو ان كلا الأمرين مراد في وقت معاً بناءً على حكمته سبحانه وتعالى؛ كل هذه التساؤلات ستسعى هذه المقالة للإيفاء بها ما وسع الأمر إلى ذلك سبيلاً.

يعدُّ النص القرآني النص الأخصب – دلالياً ومضمونياً- على وجه الإطلاق؛ إذ لا حدَّ لتوارد غرائبه ولا نطاق لتوقف عجائبه فلا وجود لنص مماثل له يعاصر جميع الأزمنة سواه؛ من هنا يمكن أنْ نؤسسَ القول بأنَّ التعبير القرآني وإنْ نزلَ على وفق اللسان العربي بيد أنَّ هذا لا يعني أنَّ جميع نصوصه مفهومة من قبل مَن عاصروا نزوله وقتذاك؛ ذلك بأنَّ أبناء اللغة الواحدة وإنْ كانوا يتعاملون باللغة نفسها؛ فإنَّ تملكهم للقدرة على التخاطب فيما بينهم لا تعني بالضرورة أنَّ كلَّ فردٍ منهم قادرٌ على الالمام بكل مفرداتٍ تلك اللغة، ومُطلعٌ على جميع معانيها ومتطلّع من اساليبها كافة؛ إذ إنَّ معرفته بلغته وقدرته على التَّكلم بها لا تدل باللزوم على أنَّه قد استوعبها جميعا أو أنَّه قادرٌ على استيعابها بإسرها.

من هنا نقول إنَّ الصحابة الذين عاصروا نزول القرآن الكريم في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تستوقفهم بعضُ معاني المفردات فيركنون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لإيضاحها واستجلاء دلالاتها؛ لأنَّهم كانوا يفهمون التعبير القرآني وقتذاك فهماً إجمالياً كلياً لا فهماً تفصيلاً احتوائياً فلا يسع أحدٌاً منهم أنْ يستوعبَ كل معاني ذلك التعبير المقدس؛ وذلك لفقدانه المقدرة على استيعاب كل تفاصيل الخطاب اللغوي الذي نزلَ به النصُّ القرآني من جهة؛ ولعدم انسجام بعضهم الآخر مع أفكار ومضامين ذلك

النص المعجز من جهة أخرى (١)؛ ذلك بأنَّ القرآن الكريم قد استعمل بعض المفردات العربية على غير معانيها التي كانت تستعمل لدى العرب في ذلك الوقت؛ من هنا فهي حينما ترد في سياق النص لا يفهمها العربي ولاينسجم مع مضمونها روحياً؛ إما لأنَّها بعيدةٌ عن نطاق استعماله الدلالي، وإما لأنَّه ما زال بعيداً عن روح النص فتصوره – والحال هذه- مازال محدداً مـُقيَّداً بالمعتقدات الجاهلية؛ لهذا تدعو الصحابيَّ - وقتذاك- الحاجةُ الى الركون لمورد يستقي منه ايضاح دلالات النص القرآني؛ فظهرت من هنا بدايات التفسير القرآني على يد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنَّه الوحيد القادر على تفسير النص وإيضاحه في زمن النزول، ثم أنَّ مهمته الرسالية كانت تفرض عليه ذلك؛ إذ أوكل سبحانه للرسول مهمة بيان النص إلزاماً في غير موضع من كتابه العزيز من ذلك قوله تعالى

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾(٢)

وقوله أيضاً ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣)

فقوله في الآية الأولى ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ تدل على أنَّ الرسول مكلف من الله تعالى في تعليم النص القرآني وإيضاح معانيه تفسيراً؛ ثم أنَّ قوله (وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) فيه دلالةٌ واضحةٌ على أنَّهم لا يعلمون كل ما في النص القرآني وإنَّ فهمهم له اجمالي وإنَّ من هذا التعبير ما يحتاج إلى بيان منه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذا الحال فيما يخص الآية الثانية اذ نجد فيها قوله ﴿ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ فكان واجباً على الرسول أنْ يبين عموم ما في النص القرآني .

وما يعضد كون الصحابة يحتاجون إلى بيان بعض نصوص القرآن – بناءً على مقتضى الواقع- هو ما ورد عنهم من تردد في فهم بعض معاني القرآن الكريم من ذلك ما ((روي من أنَّ أبا بكر سئل عن قول الله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبّٗا﴾(٤) فلم يعرف معنى الأب من القرآن وقال: أيُّ سماء تظلني، أم أيُّ أرض تقلني، أم كيف أصنع إنْ قلت في كتاب الله بما لا أعلم؛ أما الفاكهة فنعرفها وأما الأب فالله اعلم)) (٥)، وفي موضع آخر روى ((أنس بن مالك قال: إنَّ عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ❖ وَعِنَباً وَقَضْباً ❖ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ❖ وَحَدَائِقَ غُلْباً ❖ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾(٦) قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التَّكلُّف، فما عليك أن لا تدري ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه))(٧) فعمر وأبو بكر لم يستطعا أنْ يفهما معنى لفظة (الأب) في الآية؛ لهذا احتيج إلى تفسير هذه اللفظة، ففسَّرها الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله إنَّ الأب تعني الحشائش؛ إذ ((بلغَ أمير المؤمنين (عليه السلام) مقالته❖ في ذلك فقال: سبحان الله أما علم أن الأب هو الكلاء والمرعى وأن قوله سبحانه ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبّٗا﴾ اعتداد من الله بانعامه على خلقه فيما اغذاهم به وخلقه لهم ولانعامهم مما تحيى به

أنفسهم وتقوم به أجسادهم))(٨) فكان الإمام مُفسِّراً لهذه المفردة في الآية.

ومن ذلك أيضاً ما نقل عن ابن عباس من أنَّه لم يكن يعرف معنى لفظة (فاطر) حيث يقول: ((كنتُ لا أدري ما فاطر السماوات؛ حتّى أتاني إعرابيان قد تخاصما في بئر، فقال احدهما: أنا فطرتُها؛ أي أنا أبتدعتُها))(٩)

إنَّ هذه الروايات وغيرها تدل دلالة واضحة على أنَّ الصحابة لم يكونوا يعلمون كل ما في القرآن، وإنّ منهم من يحتاج إلى معرفة ما استُغلقَ عليه وغمُض؛ لذا كان من الواجب على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يفسَّرَ لهم ما اختلف في فهمه أو ما لم يستطيعوا الوصول إلى معرفته.

من هنا ((تصدّى النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم)لتفصيل ما أُجملَ في القرآن إجمالاً، و بيان ما أُبهم منه إما بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في حل تشريعاته من فرائض و سنن و إحكام و آداب، كانت سنته (صلى الله عليه وآله وسلم) قولاً وعملاً وتقريراً،كان كلها بياناً و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز وحل مبهماته في التشريع والتسنين))(١٠).

ومما ورد من تفسير عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبعض ما أُشكلَ على الصحابة معرفة هو تفسيره (صلى الله عليه وآله وسلم) للفظة (الصلاة) ؛ إذ كانت تعني لدى العرب (الدعاء) غير أنَّه سبحانه وجَّه هذا اللفظ الى خصوصيات معينة؛ لذا أشكل معنى هذه اللفظة على الصحابة في قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(١١)؛ إذ إنَّ لفظتي (الصلاة) و(الزكاة) مجملتان في هذه الآية؛ لأنَّ لفظة الصلاة في اللغة تعني الدعاء، أما لفظة الزكاة فمعناها الأصل هو (النماء)(١٢)، غير أنَّ الله تعالى جاء بهاتين اللفظتين على غير ما عُرِف لهما من معنى أصل لدى العرب؛ ((فقد أمرهم تعالى بالصلاة والزكاة على سبيل الإجمال))(١٣) المبهم في هذه الآية، ولكن لربَّ سائلٍ يسألُ ((كيف أمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة؟ قيل: إنما أمروا بذلك لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ قال ((ما آتكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))(١٤) ولذلك جاز أنْ يأمرهم

بالصلاة والزكاة على طريق الجملة ويحيلهم في التفصيل على بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)) (١٥) في السُّنة، فالزكاة لايراد منها معناها اللغوي وإنما يراد شرائطها ومقاديرها وما تجب عليه التي بيَّنها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فـ ((الزكاة في الشريعة ما يجب إخراجه من المال نماء ما يبقى ويثمر))(١٦)، وكذا الحال للصلاة فهي ((في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان وإذكار مخصوصة))(١٧) وقد فسَّرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)أيضاً بقوله للناس حينما أدى الصلاة أمامهم: ((صَلُوا كما رأيتموني أُصَلِّي))(١٨) فكان المعنى الشرعي للصلاة مجملاً عليهم وقتذاك لاحتواء المعنى على خصوصيات ((القيام والركوع والسجود والتسبيح ومراعاة حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الحضور والإقبال بالقلب والجوارح))(١٩) فهذه الأمور كانت مبهمةً لديهم لجهلهم بها؛ فاحتاجت إلى تفسير وإيضاح من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفسَّر (صلوات الله وسلامه عليه) لفظة (الحج) بالسُّنة العملية أمام الصحابة حينما أدى مناسك الحج وقال لهم: ((خُذُوا عني مناسككُم))(٢٠) فكان هذا الفعل بياناً وتفسيراً للفظة (الحج) في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢١)؛ ((وهكذا كان الصحابةُ يستفهمونه كلما تلا عليهم القرآنَ أو اقراهم آية أو آيات، كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و مقاصد و احكام؛ ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها))(٢٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (٢٣)، فلفظة (المطلقات) في النص عامة تدل على كل من طلِّقت سواء أكان الزوج داخلاً بها أم لا، فجاءت السُّنة مخصصةً لهذا لعموم المطلقات فخصَّ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الحكم بالمدخول بهن، اما غير المدخول بهن فلا اعتداد لهن.

من هنا نصل الى قناعة تنصُّ على أنَّ تفسيرَ الرسول الكريم للنصِّ القرآني كان محكوماً بأمرين مُلحَّين هما:

١- تلبيةً للتكليف السماوي الذي دعاه إلى كشف ما أبهم واستغلق من طيات النص القرآني على الناس؛ حتى

يلزمهم بالحجة والبيان.

٢- اقتضاء حاجة الواقع المعاش وقتذاك إلى ضرورة وجود مُوضِّح للنص؛ ذلك بأنَّ الصحابة يتفاوتون في فهم دلالات التعبير المقدس على وفق تَقبُل عقولُهُم؛ إذ من المحال أنْ يفهمَ احدهم جميع ما في النص القرآني من معانٍ؛ وإنْ قيل تسامحاً بامكان ذلك فإنَّ ثمة دلالةً تبقى خفيةً لم يفهمها ذلك الصاحبي ولن يصلَ إليها بعد ألا هي دلالة باطن النص؛ إذ إنَّ النصَّ لا يُعتَمَدُ في بيانه على ظاهره فحسب؛ بل إنَّ لباطنه وما تخفيه الألفاظ وراءها من دلالات ما يحتاج إلى تأمُّلٍ ونظرٍ وطولِ تَمرُّس حتّى يتسنّى لقاريء النص أنْ يلتقطَ تلك الدلالات المخفية ويستظهرها على سطح النص؛ من هنا اقتضت الضرورة أن يكون الرسول هو أول من يُفسِّر النص وقتذاك.

ولكن ثمة سؤالاً يُثار وهو هل فسَّرَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن الكريم بإجمعه؟ وللرد على هذا التساؤل انقسم العلماء في إجابته على صنفين الأول يرى أنَّ الرسول لم يُفسِّرْ القرآنَ بأسره وإنما فسَّرَ بعضَهُ دون بعض؛ لأنَّ الوارد عنه في الأثر لا يدل على أنَّه قد فسَّرَ التعبيرَ القرآنيَّ بأسرِهِ وتزعم هذا الاتجاه السيوطي؛ إذ يقول: ((الذي صحّ من ذلك قليل جدا؛ بل أصل المرفوع منه في غاية القلة)) (٢٤)، على حين مال آخرون إلى أنَّ الرسول قد فَسَّرَ النصَّ القرآني بأسره، وللخروج من هذا التزاحم نميل إلى أنَّ ثمة تفسيرين للنص القرآن كما ذهب إلى هذا السيد محمد باقر الصدر؛ إذ يرى أنَّ الرسول قد فسَّرَ القرآنَ على مستويين (٢٥):

١- تفسير عام؛ وهو ما اختص به الصحابة حينما يسألونه عن معنى مفردة ما أو دلالة آية معينة لا يعرفون مضمونها تفصيلاً.

٢- تفسير خاص؛ وهو ما ألهمه إلى الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ فسَّر له القرآن كله دون استثناء وذلك تأسيساً على تصريح الإمام بذلك، إذْ يقول: ((فما نزلتْ على رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) آيةٌ من القرآنِ إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتُها بخطي، وعلَّمني تأويلَها وتفسيرَها، وناسخَها ومنسوخَها، ومحكمَها ومتشابهَها، وخاصَّها وعامَّها، و دعا الله لي أنْ يؤتيني فهمَها وحفظَها، فما نسيتُ آيةً من كتابِ

الله، ولا علماً أملاه عليَّ وكتبتُهُ مُنْذُ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علَّمَهُ الله من حلالٍ ولا حرام ولا أمرٍ ولا نهي كان أو يكون، ولا كتابٍ منزلٍ على أحدٍ قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلا علمنيه وحفظتُهُ فلم أنسَ حرفاً واحداً))(٢٦) .

تأسيساً على قول الإمام نجد أنَّ الرسول قد خصّهُ بتفسير النص بكامله من أوله إلى آخره وهذا ما لم يميز فيه الرسول أحداً سوى أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فنستدل من هنا على أنَّ الرسول قد فسَّرَ القرآنَ تارةً على وفق الحاجة إلى ذلك من السائل أو ما يرى فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرورة للإيضاح، وهذا تفسيرٌ جزئيٌّ للنص، وتارةً فسَّرَهُ وأوضحَهُ توضيحاً كلياً للإمام (عليه السلام) للبيان بأنَّ هذا الإمام سيتولّى النيابة عنه في بيان مكنوات النص وخفاياه.

وبالمحصلة النهائية يمكن تلخيص الثمرات اللاتي استخلصناها على النحو الآتي:

١- اتَّضحَ أنَّ الرسول (صلى الله عليه

وآله وسلم) هو أول مفسر للنص القرآني؛ وذلك من منطلقين:

الأول: إنَّ النصَّ القرآنيَّ نفسَهُ قَّررَ تكليف الرسول بإيضاح ما فيه من مرتكزات دلالية لمتلقيه، وذلك بداعي اللام التعليلية المرتبطة بالفعل (لِتُبَيِّنَ) في قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ من هنا نصلُ إلى أنَّ التفسيرَ القرآنيَّ هو مهمةٌ سماويةٌ منوطةٌ بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول الأمر؛ لذا وجب عليه الإيضاح المضموني للناس وهو بهذا أول مُفسِّر للنص بلا نقاش.

والثاني: إنَّ الرسولَ نفسَهُ هو الصقُ الناسِ بالنصِّ وأكثرُهم إيماناً بالله ومعرفة بكتابه؛ من هنا يكونُ هو الأجدرَ والأوْلى – على وجه الإطلاق- بتفصيل مكامن كلامه سبحانه؛ فضلاً عن أنَّ تَمَلُّكه القدرة العالية على توظيف (البلاغة) وهمينته على توجيه (الفصاحة) على وفق تميُّز متفرِّد يدعمان مشروعية تأهيله لتفسير النص؛ إذ يقول: ((أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخر، وأنا أفصحُ العربِ ولا فخر))(٢٧)، فمن كانت له هيمنةٌ على مقاليد الخطاب فصاحةً له أنْ يفهم الخطاب الفصيح –النص القرآني- اكثر من غيره لقدرته الذهنية على انتاج الابداع وفهم ذلك الابداع في وقت معاً؛ مع الاحتفاظ بالفارق النوعي بين طبيعة الابداعين؛ حديث الرسول والتعبير القرآني.

٢- إنَّ اغلب التفسيرات التي كانت تتناول النص انما هي تنحصر في حدود بيان المفردة القرآنية فحسب دون التراكيب الجملية او النصوص الكُليِّة، وهذا يدل على أنَّ المحاولات التفسيرية الأولى كانت عبارة عن مُقاربات مضمونية (معجمية أو سياقية) مرتبطة في نطاق المفردة فقط، ولعلَّ هذا يُفسِّرُ لنا داعي ظهور المعجم العربي فيما بعد على أساس ديني؛ فإذا كانت المقاربات الأولى لإيضاح النص تتحرك في مجال المفردة اللغوية القرآنية ولا تتعداها؛ فإنَّ المعجم العربي لابد – والحال هذه- من أنَّه اعتمد في جانب منه على تفسير هذه المفردات؛ إذ يقال أنَّ أول كتاب تفسيري مُدوَّن هو كتاب (غريب القرآن) لابن عباس، فإنْ صحَّ هذا فإنَّه يمكن القول إنَّ أول معجم لغريب الألفاظ قد ظهر على يد ابن عباس(٢٨) – وان كان ابن عباس لم

يكن في نيِّته أن يضعَ معجماً للنص القرآني؛ بل كان في دافعه في هذا هو التفسير فحسب- غير أنَّ هذا التوجيه – إذا ما أخذناه باطمئنان- فإنَّه يقوي القول بأنَّ ولادة المعجم كانت بداع ديني كحال سائر علوم العربية الأُخَر؛ إذ ثمة شكٌ قويٌّ في الدراسات اللغوية يدفع القول بأنَّ المعجم العربي قد ظَهَرَ لخدمة النص القرآني، غير أنَّ المحاولات الأولى للتفسير القرآني تدفعُ هذا التدافعَ وتعززُ القولَ بارتباط نشوءِ المعجمِ العربيِّ بالنصِّ القرآنيِّ.

٣- ثبت أنَّ الصحابة يتفاوتون في فهم النص؛ بل يتفاوتون في طريقة نظرهم وتفسيرهم للنص القرآني نفسه؛ وبهذا ثبت المقتضى التفسيري على الرسول الاعظم، زيادةً على وجود مستند الهي تكليفي نصِّي بوجوب استظهار هذا البيان المضموني بحسب الحاجة والمطلب للناس كافة.

٤- إنَّ القناعة تنصُّ على أنَّ الرسولَ قد فسَّرَ النص القرآني مرتين: الأولى كان تفسيره فيها جزئياً على وفق مقتضى الحاجة وتلبية مطلب السؤال، والثانية فسَّرَ فيها النص بكامله إلى الإمام علي (عليه السلام) لمقتضى

الهوامش:

(١) محمد باقر الصدر :بحوث في علوم القرآن: ١٤٠- ١٤١.

(٢) سورة البقرة: ١٥١.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

(٤) سورة عبس: ٣١

(٥) الفيض الكاشاني : الصافي : ٥/ ٢٨٦ .

(٦) سورة عبس : ٢٧- ٣١.

(٧) الأميني: الغدير: ٦ /٩٩، وينظر: الزمخشري: الكشاف: ٤/٢٢٠، والحاكم: المستدرك: ٢/٥١٤ ، وحيدر علي بن محمد الشرواني: مناقب أهل البيت (عليه السلام): ٣٤٠.

❖ قصد الامام بذلك مقالة ابي بكر.

(٨) الفيض الكاشاني: الصافي: ٥/٢٨٧.

(٩) محمد باقر الصدر: بحوث في علوم القرآن: ١٤٢.

(١٠) محمد هادي معرفة: التفسير والمفسرون في قشيبه الجديد: ١/١٥٧- ١٥٨ .

(١١) سورة البقرة: ٤٣

(١٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب: ١٤/٤٦٥ ، والطوسي: التبيان: ١/١٩٣، والطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦

(١٣) الطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦، وينظر: الحائري: مقتنيات الدرر:

١٥١/١

(١٤) سورة الحشر: ٧

(١٥) الطوسي: التبيان: ١/١٩٣، وينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ١/٩٦

(١٦) الطوسي: التبيان: ١/١٩٣

(١٧) م .ن: ١/٥٤

(١٨) البخاري: صحيح البخاري: ١/٢٢٦

(١٩) الحائري: مقتنيات الدرر: ١/٤٠، وينظر: الشيرازي: الامثل: ١/١٦١، وشبر: الجوهر الثمين: ١/٦٦

(٢٠) ينظر: الشافعي: مسند الشافعي ترتيب السندي:٩٦٣، ومالك بن انس: الموطأ (رواية محمد بن الحسن): ٢/٣٢٩.

(٢١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢٢) محمد هادي معرفة: التفسير والمفسرون في قشيبه الجديد: ١/ ١٥٨.

(٢٣) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢٤) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن: ٢/٤٧٣.

(٢٥)محمد باقر الصدر :بحوث في علوم القرآن: ١٤٨.

(٢٦) الصدوق: الخصال : ٢٥٧ .

(٢٧) الجصاص: أحكام القرآن: ٣/١٦٣، وينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن: ٢٩١.

(٢٨) إذ يذكر بروكلمان أنَّ من هذا الكتاب نسخة مخطوطة موجودة في برلين الآن.

ينظر: رشيد العبيدي آخرون: تاريخ العربية:٦٨، والزيات: تاريخ الأدب العربي: ١/٧٣١.

ثبت المصادر والمراجع :

❖القرآن الكريم.

❖الاميني: الشيخ عبد الحسين (١٣٩٢هـ): الغدير، مطبعة دار الكتاب العربي –بيروت، ١٣٧٩هـ.

❖الباقلاني: ابو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ): اعجاز القرآن، تحـ: السيد احمد صقر، دار المعارف –مصر، ط٣، د.ت

❖البخاري: محمد بن سليمان: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، مطبعة دار ابن كثير- بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٧م.

❖الجصاص: ابو بكر احمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ): احكام القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

❖الحائري: مير سيد علي الطهراني(ت١٣٤٠هـ): مقتنيات الدرر، مطبعة دار الكتب الاسلامية – طهران، ١٣٣٧هـ.

❖الحاكم: محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري: المستدرك على

الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

❖حيدر علي بن محمد الشرواني(ت١٢٠٠هـ): ما روته العامة من مناقب أهل البيت، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مطبع المنشورات الاسلامية، ١٤١٤هـ.

❖رشيد عبد الرحمن العبيدي وآخرون: تأريخ العربية، د. مط، د.ت.

❖الزمخشري: ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل، ضبطه وصححه: عبد الرزاق المهدي، مطبعة دار احياء التراث العربي – بيروت، ، ط٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

❖الزيات: احمد حسن: تأريخ الأدب العربي، مصر ، د.ت.

❖السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ): الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، مطبعة دار الفكر - لبنان، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

❖الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس: مسند الشافعي، مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

❖شبر: السيد عبد الله (ت ١٢٤٢ هـ): الجوهر الثمين، مطبعة الكويت – مكتبة الالفين، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .

❖الشيرازي: ناصر مكارم: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط١ ، ١٤١٣هـ .

❖الصدوق (ت٣٨١هـ) :الخصال، تحقيق: علي اكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ت.

❖الطبرسي: امين الدين ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ): مجمع البيان، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٣٧٩هـ.

❖الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم – مكتبة الإعلام الإسلامي، ط١٣٧٩، ١ هـ.

❖الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن (ت١٠٩١هـ): الصافي في تفسير كلام الله، دار المرتضى للنشر – مشهد، ط١ د.ت.

❖مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي: موطأ (برواية محمد بن الحسن)، تحقيق : د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات

العربية المتحدة، الناشر : دار القلم - دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م

❖محمد باقر الصدر : بحوث في علوم القرآن، مجمع الثقلين العلمي، بغداد –العراق. د.ت.

❖محمد هادي معرفة: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة – قم المقدسة، ط٢، ١٤٢٥ ق- ١٣٨٣ش.

❖ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، د.ت.

التوحيد العبادي من
(المنظور القرآني)

نعمة النجار

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أنزلناه في ليلة القدر
وما أدراك ما ليلة القدر
ليلة القدر خير من ألف شهر

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين , حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

إنَّ للتوحيد آثاراً عظيمة وثماراً طيبة ومباركة على المجتمع, فالتوحيد هو سبب الأمن والأمان في المجتمع الإسلامي, وهذا جلي وواضح من خلال قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(١)، والظلم كما فسر من قبل البعض على إنه الشرك، من خلال قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٢)

يعد التوحيد أيضاً السبب الأساس في الاستخلاف والتمكين في الأرض, فيقول سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٣)

وإضافة إلى ما تقدم فإن للتوحيد آثاراً أخرى في حياة العبد الموحد كاستجلاب الرزق، والخيرات والبركات على الأمة والعباد ، فيقول عز من قال: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٤) ولقد اهتمّ أهل البيت بذلك اهتماماً كبيراً، فحينما نقرأ في أول نهج البلاغة، نجد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام يتكلم في خطبته الرائعة عن التوحيد إذْ يصفه، بأنه أساس الدين، فيقول عليه السلام: أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه وَكَمالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُهُ وَكَمالُ تَوْحِيدِه الإخلاص لَهُ وَكَمالُ الإخلاص لَهُ نَفْيُ الصِّفات عَنْهُ لشَهادَة كُلِّ صفة أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوف وَشَهادَة كُلِّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة، فَمَنْ وَصَفَ اللّه سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ وَمَنْ ثَنّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشارَ إِلَيْه وَمَنْ أَشارَ إِلَيْه فَقَدْ عَدَّهُ (٥)

ويؤكد عليه السلام في مورد آخر، على قضية التوحيد، في وصيته لولده الحسن عليه السلام قائلاً له: وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ

وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه وَ سُلْطَانِه وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِه وَ لَكَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِه أَحَدٌ وَ لاَ يَزُولُ أَبَداً وَ لَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وَ آخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ(٦) فيمكن الاستفادة من هذه الوصية، برهاناً عقلياً جلياً وصريحاً، على وحدانية الله تعالى.

وهذا ما رام إليه الإمام الحسين عليه السلام في دعائه العظيم والمبارك، والمليء بالدروس العقدية، والمعارف الإلهية، الذي يسمى بدعاء(عرفة)، إذْ يخاطب ربه، قائلاً: إلهي، تردُّدي في الآثار يوجب بُعْدَ المَزار، فاجمعني عليك بخدمةٍ توصلني إليك، كيف يُستَدلُّ عليك بما هو في وجوده مُفتقر إليك ؟ أيكون لغيرك مِن الظهور ما ليس لك حتَّى يكون هو المُظهِر لك ؟ متى غِبتَ حتَّى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك ؟! ومتى بُعدت حتَّى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟ عَمْيت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له مِن حُبِّك نصيباً، إلهي ، أمرت بالرجوع إلى الآثار، فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتَّى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السِّرِّ عن النظر إليها ، ومرفوع الهمَّة عن الاعتماد عليها ، إنَّك على كلِّ شيء قدير (٧) والقارئ لكتاب الله تعالى، يجد في طياته الكثير من الآيات الصريحة والواضحة، التي تشير إلى التوحيد وأقسامه وأبعاده، ولقد تكلمنا عن البعض منها، في طيّات بحثنا المتواضع، من خلال عدة فقرات، تمثلت بمايأتي:

١- التوحيد.
٢- أقسام التوحيد.
٣- التوحيد في العبادة.
٤- العبادة لغة واصطلاحاً.
٥- أسباب العبادة.
٦- حقيقة العبادة.
٧- نماذج تطبيقية من آيات التوحيد العبادي في القرآن الكريم.

التوحيد :(لغة واصطلاحاً).

لا يمكن تعريف التوحيد بشكل دقيق بحيث يتفق عليه الجميع، وهذا ديدن أصحاب كل علم، فما وجدناهم قد

اتفقوا على تعريف واحد لنفس العلم، إلا ما ندر.

ويمكن تعريفه(لغة): الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد(٨)

وأما (اصطلاحاً): فقد عرف بعدة تعريفات، يمكن أن نشير إلى بعض منها:

١- معنى التوحيد يعني نفي التعدد والكثرة في الخارج عن الذات أو نفي التركيب عنه.

٢- أو هو الإيمان بالأحدية والبساطة في داخل الذات أو نفي الصفات الزائدة على الذات.

٣- أو الإيمان بالتحاد الصفات الذاتية، مع عين الذات الإلهية، ونفي الصفات الزائدة على الذات٩.

٢- أقسام التوحيد.

لقد قسم التوحيد من قبل المختصين بعلم الكلام على عدة أقسام، ولا نعلم متى بدء ذلك التقسيم وعلى يدي من؟، ولكن يمكن القول: بأن تلك التقسيمات قد تكون لها جذور في علم

الكلام والحديث أو موجودة بمسميات مختلفة، بين الكتب، ثم بعد ذلك نظمت وأظهرت بذلك المظهر وهذا التقسيم.

وعلى أية حال لايهمنا كثيراً معرفة من بدء هذا التقسيم، وفي أية فترة ظهر، الذي يهمنا أن أصحاب هذا العلم قد قسموه على عدة أقسام، يمكن ذكرها بما يأتي :

١- توحيد الذات: ويقصد به أن ذات الله واحدة ولا مثيل لها ويضيف الشهيد المطهري إلى ما تقدم ، وكل ما سواه مخلوق و دونه في مراتب الكمال، بل لا يمكن النسبة بينهما ، إن قوله تعالى ليس كمثله شيء ، ولم يكن له كفوا احد بين للتوحيد الذاتي(١٠)

٢- توحيد الصفات: والمقصود به بأنَّ صفات الله عز وجل ترجع كلها إلى حقيقة واحدة هي ذاته (١١)

٣- توحيد العبادة.: وتعني بأنَّ العبادة تليق بذاته المقدسة فقط (١٢)

٤- توحيد الأفعال: المقصود به هو المبدء لكل خلق ونظام الكون وكل حركة وفعل في هذا العالم (لا مؤثر في الوجود إلا الله سبحانه) ولا يتنافى هذا مع اختيار الإنسان أبداً، وقد قُسم هذا النوع من التوحيد على عدة أقسام:

توحيد الخالقية: (الخلق منه فقط).

توحيد الربوبية: (تدبير الكون إليه فقط).

توحيد المالكية والحاكمية التكوينية.

توحيد الحاكمية التشريعية والتقنينية.

توحيد الطاعة: (تجب طاعة أوامره فقط أو أوامر الذين أمر بطاعاتهم) (١٣)

والذي يهمنا في المقام من هذه الأقسام، هو القسم الثالث(العبادي) .

التوحيد في العبادة.

التوحيد في العبادة مما اتفق على اختصاصه بالله سبحانه جميع المسلمين، بل الإلهيين، وهو الهدف والغاية الأسنى من بعث الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٤)

وناهيك في أهمية ذلك أن الإسلام،

قرره شعاراً للمسلمين يؤكدون عليه في صلواتهم الواجبة والمندوبة بقولهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾١٥.

كما أن مكافحة النبي ﷺ، وسائر الأنبياء للوثنيين تتركز على هذه النقطة غالباً، كما هو ظاهر لمن راجع القرآن الكريم،١٦بل يعد توحيد العبادة أكثر فروع التوحيد حساسية.١٧ويمكن إجماله على انه لا تجوز عبادة أحد سوا ١٨٥.

أسباب العبادة يمكن حصر أسباب العبادة بالله تعالى دون غيره بما يأتي:

١-السبب الأول يعبد الله تعالى، بدافع الحب لأنه إله تنحصر فيه صفات الكمال، والذي تنحصر فيه صفات الكمال، يحتاج إليه من تنقص عنده تلك الصفات.

٢- وأما السبب الثاني يعبد تعالى، من باب شكر المنعم، فالمسلم يعتقد بأنَّ جميع الخيرات والبركات التي تصل إليه، مصدرها هو الباري تعالى، وبالتالي هو المتفضل على العباد بذلك ولابد من شكره.

٣- السبب الثالث الذي يعبد بواسطته تعالى، بدافع الرجاء للثواب، فقد ذكر القرآن في آيات كثيرة إن الذي يعبد الله بنية خالصة يستحق منه الثواب فيقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾١٩.

٤- وأما السبب الرابع الذي يعبد من أجله، هو الخوف من العقاب ، وهذا جلي في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾٢٠.

وهذا ما يلاحظ بشكل جلي في الخبر الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ(٢١)

وقال عليه السلام في مناجاته لله سبحانه وتعالى: [إلهي ما عبدتك خوفاً من تارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك](٢٢)

العبادة (لغة واصطلاحاً):

إن الذي يتفحص كتب اللغة، والكتب المختصة في العقيدة والتفسير،

حينما يعرفان العبادة، لا يرى فرقاً كبيراً بينهما، بل إن لم ير التطابق التام في التعريف، يرَ التقارب بيناً.

فالعبادة (لغة) كما يعرفها ابن منظور على أنها الخضوع، فيقول أصل العبودية: الخضوع٢٣، وأما الفيروز آبادي، فيعرف العبادة أنها الطاعة(٢٤) وأما صاحب المجمع ، فيقول: " و العبادة: هي المواظبة على فعل المأمور به، و الفاعل عابد، و الجمع عباد و عبدة مثل كافر و كُفّار و كفرة، ثم استعمل العابد فيمن اتخذ إلهاً غير الله، فقيل: عابد الوثن و عابد الشمس"(٢٥)

وقال الزجاج : معنى العبادة في اللغة الطاعةُ مع الخُضُوع، يقال هذا طَرِيق مُعَبّد إذا كان مُذللاً بكثْرة الوَطءِ، وبعير معبَّدُ، إذا كانَ مَطْلِيًّا بِالْقَطْرَانِ.

فمعنى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: إياك نطيع الطاعة التي - نَخضَع مَعها(٢٦)

وأما (اصطلاحاً): فيعرفها كل من الزمخشري والبيضاوي في تفسيريهما، أنها: أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه ثوب ذو عبدة، إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج،

ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع(٢٧)

وقال البغوي: والعبادة الطَّاعَة مع التَّذَلُّلِ وَالْخضُوع وَسُمِّي العبد عبدًا لذلَّته وَانْقيَاده يُقالُ: طَرِيق مُعبَّد أَي: مُذَلَّل، وإِيَّاكَ نَستعِينُ، نَطلب مِنكَ المَعُونَة على عِبَادَتِكَ وَعَلى جمِيعِ أُمُورنَا(٢٨)

ويقول الرازي : العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير ، وهو مأخوذ من قولهم : طريق معبد، أي مذلل(٢٩)

وأما الطبرسي فيعرف العبادة، أنها: ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفيته ، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ولذلك لا تحسن إلا لله سبحانه الذي هو مولى أعظم النعم، فهو حقيق بغاية الشكر(٣٠)

وأما صاحب كنز الدقائق، فيعرف العبادة على أنها أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه طريق معبد أي مذلل، وثوب ذو عبدة: إذا كان في غاية الصفاقة، ولذلك لا يستعمل إلا في الخضوع لله(٣١)

وفي ضوء ما تقدم، يستفاد من القرآن الكريم بأن العبادة: هي الخضوع والتذلل لفظا أو عملاً مع الاعتقاد بإلوهية المخضوع له.

فما لم ينشأ الخضوع من هذا الاعتقاد، لا يكون عبادة ، ويدل على ذلك الآيات التي أمرت بعبادة الله وتنهى عن عبادة غيره، معللة ذلك، بأنه لا اله إلا الله كقوله سبحانه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾(٣٢)

ومعنى هذا التعليل إن الذي يستحق العبادة هو من كان إلهاً ، وليس هو إلا الله، فإذا تحقق وصف الإلوهية في شيء جازت - بل وجبت – عبادته واتخاذه معبوداً، وحيث إن الوصف لا يوجد إلا في الله سبحانه وجب عبادته دون سواه(٣٣)

آيات التوحيد العبادي في القرآن الكريم.

إن الله سبحانه ذكر الكثير من الآيات التي تتكلم عن هذا النوع من التوحيد، ولكننا فضلنا الإيجاز دون الإطناب، مراعاة للمقام، فوقفنا على بعض

منها، دون بعضها الآخر، وتبين تفسيرها:

١- الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾٣٤.

ويذكر الشيخ الطوسي، في تفسيره لهذه الآية: بأنَّ الله سبحانه، أخبر نبيه | بأنه قد أرسل في كل أمة من الأمم السابقة رسولاً بأن اعبدوا الله، أي: أمرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله.

ثمَّ أخبر عن المبعوث إليهم بأن منهم من لطف الله لهم بما علم أنه يؤمن عنده، فآمن عنده، فسمى ذلك اللطف هداية ومن لم يرد نصب الأدلة على الحق لأنه تعالى سوى في ذلك بين المؤمن والكافر، كما قال: فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ويحتمل أن يكون المراد من هداه إلى الجنة بإيمانه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، قيل، فيها قولان:

أحدهما: لأنهم ضلوا عن طريق الحق وكفروا بالله، وهو قول الحسن.

والثاني، حقت عليهم الضلالة عن طريق ما ارتكبوه من الكفر٣٥.

فأساس دعوة جميع الأنبياء واللبنة الأولى لتحركهم هي الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الطاغوت - أتعرف لماذا- وذلك لأنَّ أسس التوحيد إذا لم تحكم ولم يطرد الطواغيت من بين المجتمعات البشرية، فلا يمكن إجراء أي برنامج إصلاحي(٣٦) وهذا ما نوه إليه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سرة)، في كتابه المدرسة القرآنية، حينما تكلم عن عناصر المجتمع، وعن المثل الأعلى الحقيقي، ويقصد به الله سبحانه، فلابد من السير نحو هذا المثل الأعلى وتوحيده التوحيد الخالص والخضوع التام له, ولهذا المثل شروط لابد من تبنيها, فالَّذي لا يملك هذه الشروط لا يمكنه أن يتبنى هذا المثل بطبيعة الحال, ويمكن الإشارة إليها بإيجاز:

أ- لا بد من امتلاك السِّيرة البشرية رؤية واضحة من ناحية الفكر الايدولوجية

لهذا المثل، متمثلة بعقيدة التوحيد.

ب- لا بد من امتلاك طاقة روحية مستمدة من المثل، و متمثلة هذه الطاقة في العقيدة (يوم القيامة).

ج- يتميز هذا المثل بانفصاله عن الإنسان، فهو ليس جزءاً من الإنسان ولا من إفرازه وهو الانفصال يستدعي وجود صلة موضوعية بين الإنسان وهذا المثل، وهذه الصلة متجسدة بالنبي | (٣٧)

٢- الآية الثانية: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣٨)

من المعروف أن نوحاً عليه السلام أول أولي العزم من الرسل أصحاب الكتب و الشرائع المبعوثين إلى أقوامهم ، والآية على لسان نبي الله نوح، تتكلم عن دعوة قومه إلى التوحيد الخالص إلى الله سبحانه وتعالى، فقوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾، دعوة إلى عبادة الله و رفض عبادة الآلهة من دونه فإن الوثنيين إنما يعبدون غيره من الملائكة و الجن و القديسين بدعوى إلوهيتهم أي كونهم معبودين من دونه (٣٩)

وينقل صاحب الميزان عن احد المفسرين، قائلاً: إن معنى "اعبدوا الله" اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله في سورة هود: "ألا تعبدوا إلا الله" و ترك التقييد به للإيذان بأنها هي العبادة فقط و أما العبادة مع الإشراك فليست من العبادة في شيء رأسا.

ويضيف قائلاً: فقوله (عليه السلام) لقومه الوثنيين: "اعبدوا الله" في معنى أن يقال: اعبدوا الله وحده كما ورد في سورة هود "أن لا تعبدوا إلا الله"، و قوله: "ما لكم من إله غيره" في معنى أن يقال: ما لكم من معبود سواه لأنه لا رب غيره يدبر أمركم حتى تعبدوه رجاء لرحمته أو خوفا من سخطه، و قوله بالتفريع على ذلك: " أفلا تتقون" أي إذا لم يكن لكم رب يدبر أموركم دونه أ فلا تتقون عذابه حيث لا تعبدونه و تكفرون به؟(٤٠)

وبطبيعة الحال فإن هذه الدعوة لا تختص بنوح عليه السلام دون غيره من الأنبياء والرسل فجميع الأنبياء والرسل ، الذين أرسلوا من قبل الله

سبحانه وتعالى كانت دعوتهم تنادي إلى التوحيد وتنطلق منه، باعتباره العنصر الأساس في دعوتهم، والمرتكز الذي يرتكز عليه.

٣- الآية الثالثة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾(٤١)

أخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنَّصارى الذين حكى حكايتهم، إنهم اتخذوا أحبارهم ، وهو جمع حبر، وهو العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان، وقيل حبر- بفتح الباء وكسرها- حكاه الفراء(٤٢) والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه للناس الخشية.

والرَّهْبانيةُ مصدر الراهب والاسم الرَّهْبانيَّةُ وفي التنزيل العزيز وجعَلْنا في قُلُوب الذين اتَّبَعُوه رَأْفةً ورَحْمةً ورَهْبانيَّةً ابْتَدَعوها(٤٣)

وقد كثر استعماله في متنسكي النَّصارى، وروي عنه ﷺ: إنَّ معنى اتخاذهم أرباباً، أنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف أمر الله (٤٤) وهو قول أكثر المفسرين، ونجد الرازي حينما يقوم بتفسير هذه الآية يذكر هذا المعنى ولكن بشيء من التفصيل، فيذكر ثلاثة وجوه على ما تقدم، فيقول: وأما إنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فيدل عليه وجوه : أحدها : إنهم كانوا يطيعونهم في التحليل والتحريم.

والثاني : إنهم كانوا يسجدون لأحبارهم.

والثالث : قال أبو مسلم : من مذهبهم أن من صار كاملاً في الرياضة والمجاهدة يظهر فيه أثر حلول اللاهوت ، فيقدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، فهم وإن لم يطلقوا عليه لفظ الرب إلا أنهم أثبتوا في حقه معنى الربوبية.

فثبت أن النصارى جمعوا بين هذه الأمور الثلاثة ، وكان القول ببطلان هذه الأمور الثلاثة كالأمر المتفق عليه بين جمهور العقلاء وذلك ، لأن قبل المسيح ما كان المعبود إلا الله ، فوجب أن يبقى الأمر بعد ظهور

المسيح على هذا الوجه ، وأيضاً القول بالشركة باطل باتفاق الكل ، وأيضاً إذا كان الخالق والمنعم بجميع النعم هو الله ، وجب أن لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والطاعة إلا إليه ، دون الأحبار والرهبان ، فهذا هو شرح هذه الأمور الثلاثة(٤٥)

ويؤيد ما سبق من الكلام ، الحديث المروي عن رسول الله | نقلاً الترمذي فيقول: لما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: عدى بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك ٤٦.

وقوله: ﴿ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ عطف على الأرباب أي واتخذوا عيسى رباً.

وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾، معناه أن الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى، وغيرهم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، ثم اخبر فقال: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾، يعني تنزيها عما يشركون.

وفي قوله (لا اله إلا هو) تتميم لكلمة التوحيد التي يتضمنها قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾، فإن كثيراً من عبدة الأصنام كانوا يعتقدون بوجود آلهة كثيرة ، وهم مع ذلك لا يخصون بالعبادة إلا واحداً منها فعبادة إله واحد لا يتم به التوحيد إلا مع القول بأنه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى في ذيل الآية:سبحانه عما يشركون تنزيه له تعالى عمَّا يتضمنه قولهم بربوبية الأحبار ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ (٤٧)

٤- الآية الرابعة: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾(٤٨)

والذي يهمنا من هذه الآية، وما نريد الوقوف عنده، هو المقطع الذي يتضمن قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾، إذْ تخاطب الخاتم بصيغة الأمر، وتلزمه بالعبادة إلى الحق تعالى وحصر تلك العبودية به،

كي يكون قدوة لبقية أفراد المجتمع في قضية التوحيد الخالص إلى الله سبحانه وتعالى، والمراد بالأمر بالعبادة، المداومة عليها ، وعدم التقصير فيها(٤٩)

ويرى الرازي بأنه يمكن الاستدلال بالآية الكريمة على الإخلاص في العبادة إلى الله تعالى من وجهين:

أحدهما: أنه قال: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾، فأمر محمداً عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على العبادة إلى أن يأتيه الموت، ومعناه أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات، وذلك يدل على غاية جلالة أمر العبادة.

وثانيهما : أنه قال : ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾، ثم إنه تعالى أمره بأربعة أشياء : التسبيح : وهو قوله فسبح، والتحميد : وهو قوله بحمد ربك، والسجود : وهو قوله : "وَكُنْ مّنَ الساجدين " والعبادة، وهي قوله : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾، وهذا يدل على أن العبادة تزيل ضيق القلب، وتفيد انشراح الصدر، وما ذاك إلا لأنَّ العبادة توجب الرجوع من الخلق إلى الحقّ، وذلك يوجب زوال ضيق القلب (٥٠)

٥- الآية الخامسة:﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾(٥١)

أي: إذا لم يتيسر لكم العبادة في بلدة ، فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك٥٢. فالخطاب إلى العباد المخلصين من قبله تعالى، والذين هم من المؤمنين ، فالله سبحانه يحب عبادة الفرد المؤمن، لذلك يكلمهم ويقول لهم ، ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، فهؤلاء العباد في قمة الإخلاص والوفاء، فالله تعالى يخبرهم ، ومن باب الحفاظ على أنفسهم ، ومن باب الاستمرار في عبادتهم، ﴿ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ وحينما يتعرض صاحب الميزان رحمه الله تعالى، لهذه الآية المباركة، فيثير عدة نكات، نذكرها على نحو الإجمال: ١- قوله: ﴿ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾، الذي يظهر من السياق أن المراد بالأرض هذه الأرض التي نعيش عليها و إضافتها إلى ضمير التكلم للإشارة إلى أن جميع الأرض لا فرق عنده في أن يعبد في أي قطعة منها كانت.

٢- و قوله: ﴿ فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ ، الفاء الأولى للتفريع على سعة الأرض أي إذا كان كذلك فاعبدوني وحدي و الفاء الثانية فاء الجزاء للشرط المحذوف المدلول عليه بالكلام و الظاهر أن تقديم "إياي" لإفادة الحصر فيكون المعنى: لا تعبدوا غيري بل اعبدوني، و قوله: "فاعبدون" قائم مقام الجزاء.

و محصل المعنى: أن أرضي واسعة إن امتنع عليكم عبادتي في ناحية منها تسعكم لعبادتي أخرى منها، فإذا كان كذلك فاعبدوني وحدي، و لا تعبدوا غيري، فإن لم يمكنكم عبادتي في قطعة منها، فهاجروا إلى غيرها و اعبدوني وحدي فيها(٥٣)

وأما الرازي فيذكر تساؤلاً، وربما هذا التساؤل، يدور في ذهن الفرد المسلم، والقارئ الكريم، لكتاب الله تعالى، فيقول: إذا كان عبادي لا يتناول إلا المؤمنين فما الفائدة في قوله : ﴿لذين آمنوا ﴾مع أن الوصف إنما يذكر لتمييز الموصوف ، كما يقال يا أيها المكلفون المؤمنون؟.

ويجيب على هذا السؤال قائلاً: الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان أن فيه الوصف كما يقال الأنبياء المكرمون والملائكة المطهرون، مع أن كل نبي مكرم وكل ملك مطهر

، وإنما يقال لبيان أن فيهم الإكرام والطهارة ، ومثل هذا قولنا الله العظيم وزيد الطويل ، فهاهنا ذكر لبيان أنهم مؤمنون .

ويذكر الرازي تساؤلاً آخر ، فيقول: فإن قيل، قوله تعالى :

﴿ يَٰعِبَادِىَ ﴾ ، يفهم منه كونهم عابدين، فما الفائدة في الأمر بالعبادة ؟. أجيب : بأنّ فيه فائدتين إحداهما :(المداومة) أي : يا من عبدتموني في الماضي اعبدوني في المستقبل ، الثانية : (الإخلاص) أي : يا من تعبدني أخلص العمل لي ولا تعبد غيري (٥٤)

هل التوسل والتبرك عبادة في نظر القرآن؟.

حينما نتأمل في هذا الموضوع بشكل جيد، لابد أن ننطلق من مقدمة نتعرف من خلالها على قضية في غاية الأهمية، وهي هل أن ما يقوم به هؤلاء المتبركون والمتوسلون نوع من العبادة؟.

يمكن أن يتضح الجواب، وبشكل جلي من خلال معرفة هذا النوع من التوحيد، وهو التوحيد العبادي ، فهو يحصر العبادة بالله سبحانه دون غيره ولا ينبغي أن تكون إلاّ لله تعالى، ولا يوجد موجود يليق، بالعبادة غير الله تعالى(٥٥)

فأذن كيف يتم تخريج فعل هؤلاء من الناحية العبادية، فهل أن مايقومون به نوع من الشرك - والعياذ بالله- أم أن فعلهم ينسجم مع الشريعة المقدسة، التي أمر الله بها سبحانه ؟.

حينما نقف على النصوص القرآنية، والسنة النبوية، نجد بأن عمل هؤلاء لا يخالف ما أمر به الله تعالى، لأن هؤلاء حينما يسجدون على أبواب العتبات المقدسة إنما هو سجود لله سبحانه وتعالى ونوع من الشكر له، لأنه وفقهم لزيارة ولي من أوليائه، وليس السجود لصاحب المقام ، فهم لا يعتقدون بأي موجود يستحق العبادة والسجود غير الله تعالى، وقد أشار الله سبحانه في كتابه الكريم إلى ذلك في عدة موارد، منها:

أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتذلل لوالديه، فيقول:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾(٥٦)

فلو كان الخضوع والتذلل (عبادة) لمن يتذلل له، لكان أمره تعالى بذلك، يعني اتخاذ شريك له في العبادة، وهذا محال عقلاً، ونقلاً. أمر الملائكة بالسجود لآدم، فيقول: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٥٧)

مع أن السجود نهاية في الخضوع والتذلل للمسجود له، فهل ترى أن الله سبحانه يأمر الملائكة بالشرك في العبادة؟.

٣- إن إخوة يوسف ووالديه، سجدوا جميعاً ليوسف بعد استوائه على عرش الملك والسلطنة، كما يقول سبحانه: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾(٥٨)

فهل هذا السجود الذي كان في حضرة نبي من أنبياء الله تعالى كان شركاً، ولم ينه النبي ﷺ عن ذلك ، في حين كانت دعوته قائمة على محاربة الشرك، ووحدانية الله تعالى.

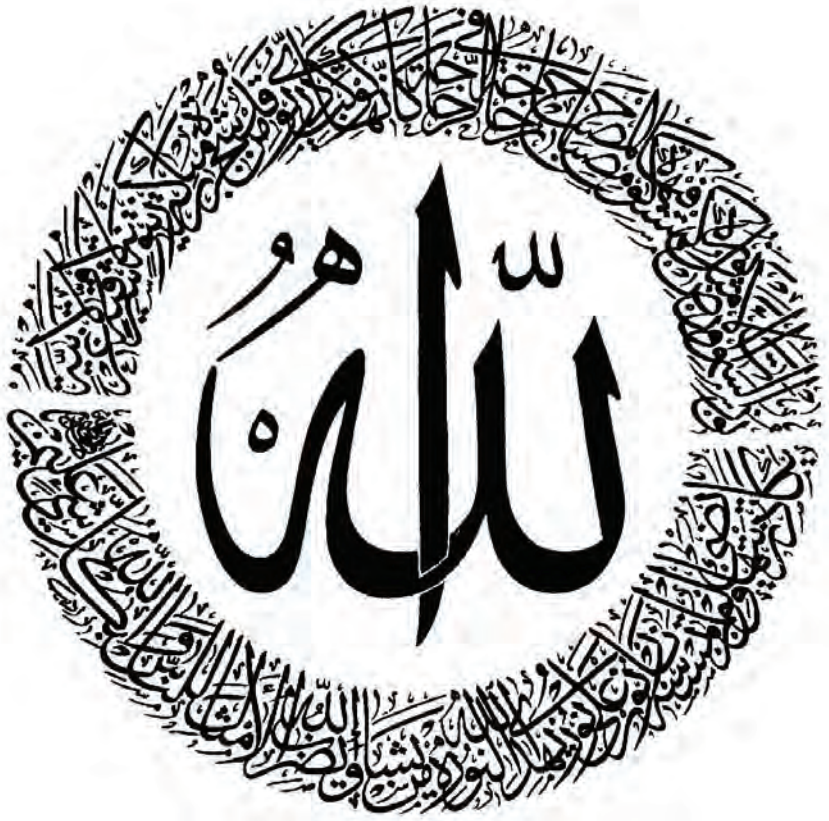

وفي الختام لابد لنا من الإشارة والالتفات إلى نكتة مهمة، ربما غفل عنها بعضهم ، وهي أن الله سبحانه وتعالى، هو من يأمر باتخاذ هذه الوسائط وحددها لنا، ولا يحق لأحد أن يتخذ واسطة من عنده، فأنه تعالى نعت المشركين بالشرك على الرغم من أنهم يعلمون بأنه خالق السموات والأرض، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(٥٩)، أتعلمون لماذا ؟ لأنهم هم الذين اختاروا وسائطهم للعبادة دون الله سبحانه، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ (٦٠)، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٦١) ، فلذلك الله سبحانه وصف هؤلاء بالضلال ، ولكن حينما يأمر تعالى بتلك الواسطة لا يعد ذلك نوعاً من الشرك والضلال، بل هو غاية العبادة والتقرب إليه، وهذا يتضح في قضية السجود لآدم ، فهو الذي حدد الواسطة في السجود والذي يكون عبادة له وليس لآدم (عليه السلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

١- الأنعام :٨٢ .

٢- البقرة: ١٢٤.

٣- النور :٥٥.

٤- الأعراف: ٩٦.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٣.

٦ - المصدر نفسه، ص٤٤.

٧ - النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج١، ص٤١.

٨ - الجرجاني، عبد القاهر، ، التعريفات، تحت رقم ٤٤٦.

٩ - ، اليزدي، مصباح، دروس في العقيدة الإسلامية، ج١، ص١٦١.

١٠- مطهري، مرتضى ، المدخل إلى العلوم الإسلامية ، ص١٨.

١١- شيرازي، ناصر مكارم ، نفحات القرآن ، ج٣، ص٢٤٩.

١٢- شبر، عبد الله، حق اليقين في معرفة أصول الدين، ج١، ص١٨.

١٣- شيرازي، ناصر مكارم، المصدر

السابق ، ج٣، ص٢٤٩.

١٤- النحل: ٢٦.

١٥الفاتحة: ٥.

١٦- سبحاني، جعفر، الإلهيات، ج٢، ص٨٥.

١٧- شيرازي، ناصر مكارم، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٥.

١٨- الحائري، كاظم، أصول الدين، ص٨٦.

١٩- البقرة: ١١٠.

٢٠- طه: ١٢٤.

٢١- أملي، حسن زاده، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، ص١.

٢٢- الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ص٢٣٦.

٢٣- بن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٣، ص٢٧٣.

٢٤ - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج١، ص٣٧٨.

٢٥- الطريحي، مجمع البحرين، ج٢، ص٩٥.

٢٦- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن، ج١، ص٤٨.

٢٧- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، ج١، ص١٠. البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل، ج١، ص٩.

٢٨- البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، ج١، ص٤٢.

٢٩- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ج١، ص٢٤٢.

٣٠-الطبرسي، الحسن، جامع الجوامع، ج١، ص٥٧.

٣١- المشهدي، محمد، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١، ص٥٥.

٣٢- الأعراف: ٥٩.

٣٣- اللنكراني، فاضل، مدخل الى التفسير، ص١٥١. مرتضى مطهري، مدخل الى العلوم الإسلامية ، ص٢٠.

٣٤- النحل: ٣٦.

٣٥- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٣٧٤.

٣٦- شيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج٨، ص١٨١.

٣٧- الصَّدر, محمَّد باقر, المدرسة القرآنية, ص١٥٢.

٣٨- المؤمنون: ٢٣.

٣٩- الطباطبائي، محمد حسين،

المصدر السابق، ج١٥، ص١٣.
٤٠- الطباطبائي، محمد حسين، المصدر السابق، ج ١٥، ص١٣ .
٤١- التوبة: ٣١.
٤٢- ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٥٧.
٤٣- ابن منظور، المصدر السابق،ج ١، ص٤٣٦.
٤٤- الطباطبائي، محمد حسين،ج١٥، ص١٣ .
٤٥- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، ج٤، ص٢٢٧.
٤٦- الشربيني، السراج المنير، ج١، ٢٥٦.
٤٧- الأنعام: ٥٦.
٤٨-الحجر: ٩٩.
٤٩- طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٨، ص٨٥.
٥٠- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب، ج١، ص١٥٢.
٥١- العنكبوت: ٥٦.
٥٢- الكاشاني، الفيض، التفسير الأصفى،ج٢، ص٤٨٢.
٥٣- الطباطبائي، محمد حسين، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٧٥.
٥٤- الرازي، ، المصدر السابق، ج٢٥، ص٧٢.
٥٥- شيرازي، ناصر مكارم، آيات الولاية في القرآن، ص١٩٦.
٥٦- الإسراء: ٢٤.
٥٧- البقرة: ٣٤.
٥٨- يوسف: ١٠٠.
٥٩- العنكبوت: ٦١.
٦٠- الزمر :٣.
٦١- يوسف : ٤٠.

الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم

الماهيَّة و التفسير

بين الشيخ الطبرسي و السيد الطباطبائي

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي

العتبة العلوية المقدسة

يا الله
يا رزاق يا عليم يا حكيم

الملخص :

مثلما تعدد الفهم و في مسائل كثيرة تخص التراث الإسلامي داخلياً و خارجياً ، فقد تعدد ذلك أيضاً في موضوعات كثيرة في القرآن الكريم ، و من تلك الموضوعات (الحروف المقطعة) ، أو (فواتح السور) القرآنية .

فكان التعدد في الأفكار ، أو الاختلاف في التفسير لهذه الحروف داخلياً ، وكانت كل جهة تفسرها بحسب مبانيها ، و ميولها ، و مصالحها ؛ فمنهم من اجتهد ليفسرها بأفكار و غايات معينة ، و منهم من أراد ملاءمتها لحالة معينة أو مذهب معين ، و منهم من أراد لها أن تطابق بعض الروايات الموجودة ، و منهم من أعترف بالعجز أمامها و عدَّها من أشكل المشكلات ... و هكذا ؛ لذلك أردت في هذا البحث الوقوف على أبرز الآراء في هذا المجال ، و لاسيما ما يتصل بماهيَّة (الحروف المقطَّعة) ، و معانيها الظاهرة و الباطنة ... ، و كان ذلك في الوقوف على الآراء التي ذكرها الشيخ الطبرسي ، و السيد الطباطبائي في تفسيريهما .

ماهيَّة الحروف المقطَّعة :

لابد لنا أن نتعرف على ماهية هذه الحروف و حقيقتها بما يعطينا صورة واضحة عنها ، و عن تعريفها اصطلاحاً نقول : يستفاد من مجموع كلام العلماء في تعريفاتها بأنها : من حروف الهجاء التي افتتح الله سبحانه و تعالى بها بعض السور القرآنية ، و تتكون من حرف ، أو أكثر يُنطق كل حرف بمفرده[1] .

و قد سميت هذه الحروف بـ (الحروف المقطعة) ؛ لأنَّها و إن جاءت ككلمات إلا أنَّ هذه الكلمات تُقرأ مقطعة الحروف لا بشكل كامل ، فتقرأ قراءة تهجي حرف بعد حرف ، و ليس بشكل كلمة واحدة ، و لو أنَّها قرأت بشكل كلمة كاملة لم تعط أي معنى ، بل لكانت كلمة غريبة اللفظ ، و مجهولة المعنى .

و المراد بالتقطيع هو أنَّ كل حرف ينطق بمفرده ؛ لأنَّ الحروف لها أسماء

خاصة بها ، و الناس حين ينطقون حرفاً واحداً فإنَّهم ينطقونه باسمه لا بلفظه فيقولون عن حرف (ع) حين النطق به (عين) ، و عن حرف (ح) يقولون (حاء) ، و كذلك الحال بالنسبة للحروف الباقيةعلى حدٍ سواء

و سميت بفواتح القرآن ، و فواتح السور ؛ إذ إنَّ فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده . يقال افتتح فلان كذا أي ابتدأه ، و فتح عليه كذا : أعلمه و وقفه عليه . قال تعالى : ((أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ))

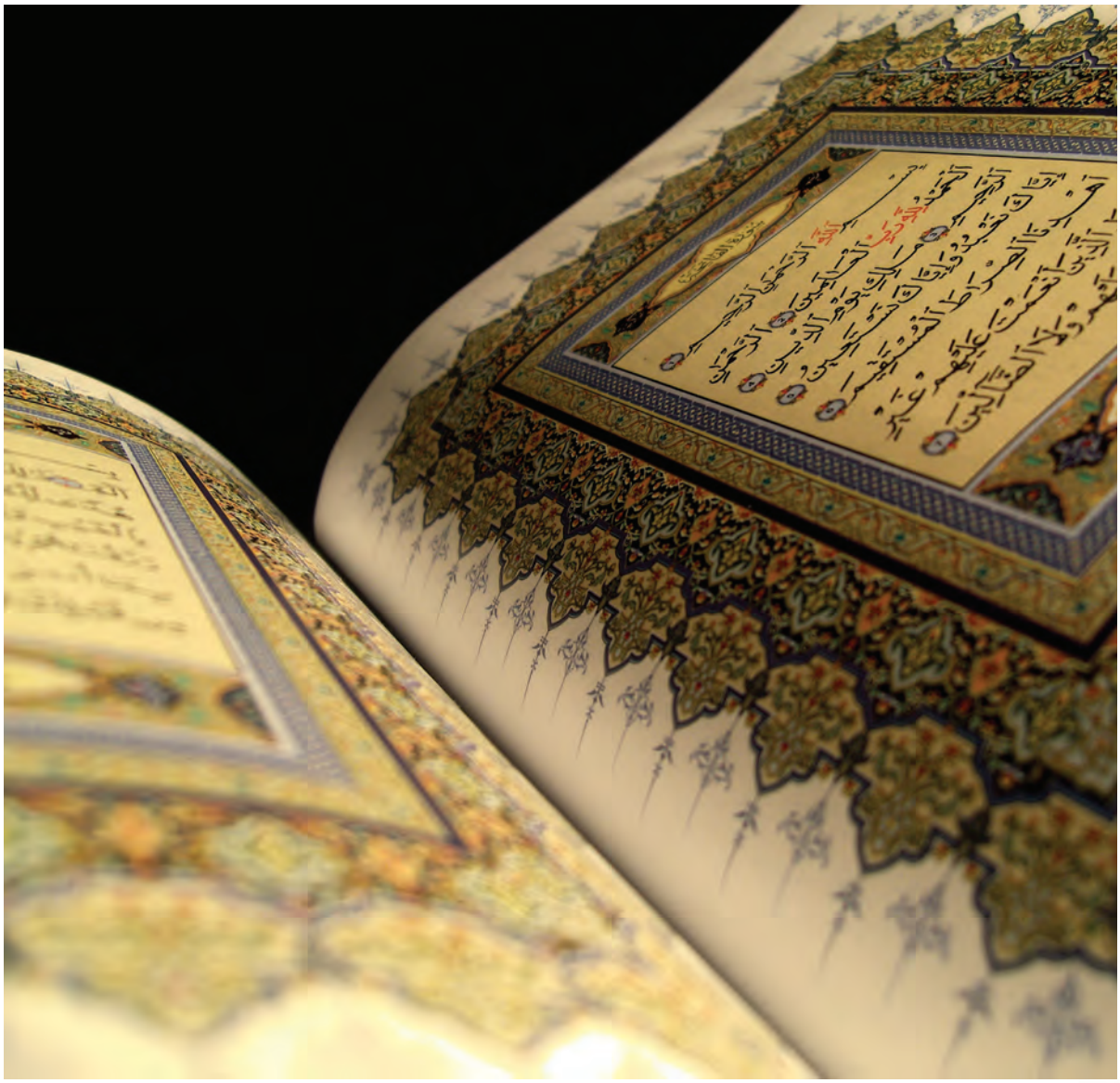

سورة البقرة : (٧٦) .

و ذكر الدكتور زكي مبارك عدداً من الصفات التي تفرد بها القرآن الكريم عن الآثار النثرية ، فكان منها : الابتداء بهذه الحروف إذ يقول : ((إنَّ هذا النمط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية و لا الإسلامية)) (٢)

و قد جاءت (فواتح السور) أو (الحروف المقطعة) في (٢٩) سورة من مجموع سور القرآن البالغة (١١٤) سورة . و السور الحاوية على الحروف المقطعة هي : ((البقرة ، و آل عمران ، و الأعراف ، و يونس , و هود , و يوسف , و الرعد , و إبراهيم , و الحجر , و مريم , و طه ، و الشعراء ، و النمل ، و القصص ، و العنكبوت ، و الروم ، و لقمان ، و السجدة ، و يس ، و ص ، غافر ، و فصلت ، و الشورى ، و الزخرف ، و الدخان ، و الجاثية ، و الأحقاف ، و ق ، و القلم)) . أما مجموع الحروف المتهجاة في أوائل السور المذكورة فهو (٧٨) حرفاً ، و جملتها من غير تكرار (١٤) حرفاً ، يجمعها قولك : ((نص حكيم قاطع له سر)) (٣)

و لم ترد هذه الحروف على وتيرة واحدة ، بل اختلفت أعداد حروفها ، فوردت على حرف ، و حرفين ، و ثلاثة ، و أربعة ، و خمسة .

و من المعلوم بعد ما تقدم أنَّ الحروف المقطعة قد شغلت اهتمام المفسرين ، و العلماء قديماً و حديثاً ؛ فكثرت فيها الأقوال ، و كتبت فيها الأبحاث ، و تعددت فيها الآراء و الاجتهادات ، و وقف عندها الدارسون بالشرح , و التفصيل ، و مر عليها آخرون مرور الكرام .

معنى الحروف المقطعة في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (رحمه الله) .

لقد اختلف المفسرون من القدماء ، و المتأخرين في تفسير الحروف المقطعة ، و قد نقل الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في تفسيره مجمع البيان أحد عشر قولاً في المراد منها ٤ ، و ناقش هذه الآراء العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) في

تفسير الميزان (٥)

قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في المقام : ((اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور .

أحدها : ذهب بعضهم إلى أنَّها من المتشابهات التي أستأثر الله تعالى بعلمها (٦) و لا يعلم تأويلها إلا هو ، هذا هو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام) . و روت العامة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال : ((لكل كتاب صفوة ، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي))(٧)

و عن الشعبي٨ قال : ((لله في كل كتاب سر ، و سره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور))٩ . و هذه ((الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر))(١٠)

و قيل فيها إنَّها من المتشابه١١ ؛ لذلك ((عجزت العلماء عن إدراكها)) ١٢ .

أمَّا (الشوكاني)١٣ فقد غلظ القول على من قال فيها برأيه إذ قال : ((و الذي أراه لنفسي , و لكل من أحب السلامة و اقتدى بسلف الأمة , أن لا يتكلم بشيء من ذلك))(١٤) . و سئل الشعبي عن هذه الحروف , فقال : ((سر الله فلا تطلبوه))١٥ . و هذا القول أرجح الأقوال١٦ .

و قال أبو حاتم بن حبان : ((لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور , و لا ندري ما أراد الله بها))(١٧)

و ذهب الشيخ محمود شلتوت إلى أن ليس في القرآن مما أستأثر الله بعلمه سوى فواتح السور(١٨)

و قال عنها الشيخ محمد عبده : ((نفوض الأمر فيها إلى المسمى سبحانه (...) و ليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من العلل , التي قلما يسلم مخترعها من الزلل))١٩ .و كذلك هو رأي الشيخ محمد أبو زهرة(٢٠) , و الشيخ محمد متولي الشعراوي(٢١)

ثم يسترسل الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في باقي الأقوال ، فيقول : ((و فسرها الآخرون على وجوه :

ثانيها : ((إنها أسماء السور و مفاتيحها عن الحسن(٢٢) ، و زيد بن

أسلم))(٢٣)

و في هذا السياق ذهب بعضهم إلى أنَّ فاتحة كل سورة اسم للسورة التي افتتحت بها ، و ذلك أنَّ الاسماء وضعت للتمييز ، فكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها . و ذهب إلى هذا القول كثير من المفسرين (٢٤) ، و رجحوه على ما سواه من الأقوال ، و كذلك ذهب إليه بعض المستشرقين(٢٥) . و استحسن هذا الرأي القاضي عبد الجبار المعتزلي(٢٦) .

و ثالثها : ((أن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى ، فقوله تعالى (الم) معناه أنا الله أعلم ، و (المر) معناه أنا الله أعلم و أرى ، و (المص) معناه أنا الله أعلم و أفضل ، و الكاف في (كهيعص) من كافٍ ، و الهاء من هادٍ ، و الياء من حكيم ، و العين من عليم ، و الصاد من صادق))(٢٧)

و رابعها : ((أنها أسماء الله تعالى منقطعة . لو أحسن الناس تأليفها لعلموا أسم الله الأعظم ... عن سعيد بن جبير))(٢٨) و هكذا ذهب جمع من المفسرين (٢٩) إلى أنَّ الحروف المقطعة المفرقة في سور القرآن الكريم يتألف منها اسم الله الأعظم . و ذهب آخرون(٣٠) إلى أنَّ منها الاسم الأعظم إلا أنَّه لا يقدر على تأليفه منا إلا النبي (ص) و الإمام . و خواص هذا الاسم أنَّه إذا دعا به النبي (ص) استجاب الله تعالى دعاءه .

و خامسها : ((أنها أسماء القرآن))(٣١)

و هنا ذهب جماعة من المفسرين إلى أنَّ هذه الحروف أسماء للقرآن ، فمثلما أن الفرقان اسم للقرآن ، و الذكر اسم للقرآن ، فكذا هذه الحروف (٣٢)

و سادسها : ((أنها أقسام أقسم الله تعالى بها ، و هي من أسمائه))٣٣ .

و المعنى المراد من هذا القول هو أنَّ الله تعالى أقسم بهذه الحروف لإظهار شرفها و فضلها (٣٤)

و سابعها : ((أنَّ كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى . و ليس فيها حرف إلا و هو في آلائه ، و بلائه ، و ليس فيها حرف إلا و هو مدة قوم ، و آجال آخرين))(٣٥)

و ثامنها : ((أنَّ المراد بها مدة بقاء

هذه الأمة))(٣٦)إذ قيل إنَّها تدل على مدة بقاء أقوام ، أو مدة بقاء هذه الأمة , و ذلك بحسب (حساب أبي جاد)(٣٧) و قد نهى العلماء عن هذا الحساب و عدوه نوعاً من أنواع السحر(٣٨)

و تاسعها : ((أن المراد بها حروف المعجم أستغني بذكرها ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية و العشرين حرفاً))(٣٩)

و عاشرها : ((أنها تسكيت للكفار لأنَّ المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن , و أن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل))(٤٠) . و معنى هذا أنَّ الحروف المقطعة إنما افتتحت بها السور القرآنية و الآيات للتنبيه ، و إلفات نظر المشركين ليستمعوا لهذا القرآن لأنَّهم تواصوا على أن يعرضوا عنه ، و أن لا يستمعوا له ، و أن يلغوا فيه (٤١)

و القول الحادي عشر هو : ((أن المراد بها أن هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم ، و كلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العادة لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم ، و إنما كررت في مواضع استظهار في الحجة))(٤٢) و هذا ما ذهب إليه غير واحد من المحدثين ، و منهم السيد إسماعيل الصدر(٤٣) , و سيد قطب في تفسيره٤٤ , و أطالت الكلام في بيانه و توجيهه بنت الشاطئ(٤٥) . و يعني هذا أنَّ الحروف المقطعة وردت إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم ، فقد افتتح القرآن الكريم بعض سوره بهذه الحروف المقطعة للدلالة على أنَّه مؤلف من جنس الحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم ، فإذا عجزوا عن مساجلته و الاتيان بمثله فذلك دليل على إعجازه ، و أنَّه ليس من كلام البشر بل هو الله تعالى خالق البشر و سيدهم .

٢- رأي السيد الطباطبائي (رحمه الله)

في الحروف المقطعة .

و هنا لابد من الوقوف على رأي العلامة السيد محمد حسين

الطباطبائي (رحمه الله) في هذا المقام ، فهو (رحمه الله) و عند عرضه لتفسير سورة الشورى يقول : ((" حم عسق " من الحروف المقطعة في أوائل عدة من السور القرآنية , و ذلك من مختصات القرآن الكريم , لا يوجد في غيره من الكتب السماوية .و قد أختلف المفسرون من القدماء و المتأخرين في تفسيرها , و قد نقل عنهم الطبرسي في مجمع البيان أحد عشر قولاً في معناها))(٤٦) .ثم يسترسل (رحمه الله) في ذكر مجمل الآراء في هذه الحروف ، و يقول: ((و الحق أنَّ شيئاً من هذه الأقوال لا تطمئن إليه النفس))(٤٧) . و يبدأ السيد الطباطبائي (رحمه الله) برد هذه الأقوال و مناقشتها ؛ فيقول : ((أمَّا القول الأول(٤٨) فقد تقدم في بحث المحكم و المتشابه في أوائل الجزء الثالث من الكتاب ، و أنَّه أحد الأقوال في معنى المتشابه ، و عرفت أنَّ الإحكام و التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها ، و أنَّ التأويل ليس من قبيل المداليل

اللفظية بل التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية أعم من محكماتها و متشابهاتها ، و على هذا فلا هذه الحروف المقطعة متشابهات ، و لا معانيها المراد بها تأويلات لها . أمَّا الأقوال العشرة الأُخر فإنَّما هي تصويرات لا تتعدى حد الاحتمال ، ولا دليل يدل على شيء منها . نعم في بعض الروايات المنسوبة إلى النبي (ص) ، و أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعض التأييد للقول الرابع ، و السابع ، و الثامن ، و العاشر (...) . و الذي لا ينبغي أن يغفل عنه أنَّ هذه الحروف تكررت في سور شتى ، و هي تسع و عشرون سورة ، افتتح بعضها بحرف واحد و هي : ص ، و ق ، و ن ، و بعضها بحرفين و هي : سورة طه ، و طس ، و يس ، و حم . و بعضها بثلاثة أحرف كما في سورتي (الم) و (الر) و (طسم) ، و بعضها بأربعة أحرف كما في سورتي (المص) و (المر) ، و بعضها بخمسة أحرف كما في سورتي (كهيعص) و (حمعسق) . و تختلف هذه الحروف أيضاً من حيث إنّ بعضها لم يقع إلا في موضع واحد مثل (ن) ، و بعضها واقع في مفتتح عدة من السور مثل (الم) و (الر) و (طس) و (حم) . ثم إنَّك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات ، و الراءات ، و الطواسين ، و الحواميم ، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين ، و تناسب السياقات ما ليس بينها و بين غيرها من السور . و يؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله : (تنزيل الكتاب من الله) ، أو ما هو في معناه ، و ما في مفتتح الراءات من قوله : (تلك آيات الكتاب) ، أو ما هو في معناه ، و نظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين ، و ما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب ، أو ما هو في معناه . و يمكن أن يحدس من ذلك أنَّ بين الحروف المقطعة و بين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطاً خاصاً ، و يؤيد ذلك ما نجده أنَّ سورة الأعراف

المصدرة بـ (المص) في مضمونها كأنَّها جامعة بين مضامين الميمات و (ص) ، و كذا سورة الرعد المصدرة بـ (المر) في مضمونها كأنَّها جامعة بين مضامين الميمات و الراءات))(٤٩)

ثم يذكر (رحمه الله) رأيه في الحروف المقطعة فيقول : ((و يستفاد من ذلك أنَّ هذه الحروف رموز بين الله سبحانه و بين رسوله (ص) خفية عنا ، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أنَّ بينها ، و بين المضامين المودعة في السور أرتباطاً خاصاً)) (٥٠)

و في هذا الصدد يرد السيد جعفر مرتضى العاملي على هذا الرأي بقوله : ((و نحن لا نستطيع الموافقة على ما ذكره (رحمه الله تعالى) ، فإنَّ القرآن ليس كتاب ألغاز ، أو أحاجي ، و إنَّما أنزله الله تعالى : (هُدىً لِلنَّاسِ) (٥١) (لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ)(٥٢) ، (بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)(٥٣) (...) ، و قد لاحظ بعض المحققين : أنَّ تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين ، و واضح ، و أنه قرآن عربي لقوم يعلمون ، أو لعلكم تعقلون ، لا يناسب كون تلك الألفاظ رموزاً ، أو من قبيل الألغاز ، و الأحاجي)) (٥٤)

و يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) معزِّزا رأيه المتقدم الذي ذكر فيه أنَّ الحروف المقطَّعة رموز : ((و لعل المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف و قايس مضامين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبين له الأمر أزيد من ذلك . ولعل هذا معنى ما روته أهل السنة عن علي (عليه السلام) على ما في المجمع : أن لكل كتاب صفوة , و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي)) (٥٥) و هنا يقول السيد جعفر مرتضى العاملي : ((إنَّنا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى أنَّ أياً من الصحابة ، أو غيرهم من المشركين ، أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال ، أو الإستفهام عن معاني هذه الأحرف ، و عمّا ترمي إليه ، و لو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئاً عن إيمانهم العميق ، و عن وصولهم إلى درجة التسليم ، و الخضوع لكل ما

يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة ، و المعجزات القاهرة . رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين ، و رغم عدم منافاة ذلك للسؤال الإستفهامي عن أمر كهذا . فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين ، و غيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا ، و هم في موقع التحدي و المجابهة ، و يحاولون التشبث و لو بالطحلب للطعن في الإسلام ، و النبوة ، و القرآن . فسكوتهم هذا . و الحالة هذه . لا يعني إلا أنَّهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم ، و إن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات))(٥٦) و يقول أيضاً : ((إنَّ ورود هذه الحروف في خصوص السور المكية ، و في ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت في مقام التحدي للمشركين ، و لأعداء الإسلام)) (٥٧)

المصادر و المراجع :

١-القرآن الكريم .
٢-الإتقان في تفسير القرآن ، جلال الدين السيوطي ، مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية .
٣-الإعجاز البياني و مسائل ابن الأزرق ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر .
٤- بحر العلوم ، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ١٩٥٧ .
٦- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر الطوسي ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، إيران ١٤٠٩ هـ .ق .
٧- تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، جامعة أم القرى ٢٠١٠ .
٨- التفسير الكبير ، أبو عبد الله الفخر الرازي ، دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت .
٩- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا

، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ .
١٠- جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠ .
١١- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد بن محمد الصاوي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ١٩٩٩ .
١٢- الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم ، د. عبد الجبار شرارة ، بيروت ١٩٨٠ .
١٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية ، المملكة العربية السعودية .
١٤- الصحيح من السيرة النبوية ، جعفر مرتضى العاملي ، ط٤ ، دار السيرة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٥ .
١٥- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، عالم الكتب ، بيروت .
١٦- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ١٧ ، دار الشروق ، القاهرة .
١٧- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٠٤٧ هـ .
١٨- مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، ط ١٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .
١٩- متشابه القرآن ، عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق : د. عدنان محمد زرزور ، مصر .
٢٠- محاضرات في تفسير القرآن الكريم ، اسماعيل الصدر ، تحقيق : سامي الخفاجي ، ط ٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، قم ٢٠٠٨ .
٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٩٩٥ .
٢٢- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، تحقيق : د. هدى محمود قراعة ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٩٠ .
٢٣- معاني القرآن و إعرابه ، أبو إسحاق الزجاج ، تحقيق : د. عبد الجليل عبدة شلبي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨ .

٢٤- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧ .

٢٥- النثر الفني ، د. زكي مبارك ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ، مصر .

: ينظر . البرهان في علوم القرآن , الزركشي , ج ١ , ص ١٦٧ .

: النثر الفني في القرن الرابع , الدكتور زكي مبارك .

: البرهان , الزركشي , ج ١ , ص ١٦٧ .

: مجمع البيان , الطبرسي , المجلد ١ , ص ١١٢ .

: تفسير الميزان , المجلد ١٧ . ١٨ , ص ١٧٦ .

: و ممن قال بهذا الرأي : الشعبي , و سفيان الثوري , و من المفسرين : أبو حيان , و الآلوسي , و زكريا الأنصاري في فتح الرحمن.

: الأثر في تفسير البغوي , ج ١ , ص ٤٤ .

: عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي , ولد أيام حكم عمر بن الخطاب .

: مجمع البيان , مجلد ١ , ص ١١٢ .

: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي المتوفى في سنة (٣٧٣ هـ) , ج ١ , ص ٤٧ . و ينظر . الحروف المقطعة في القرآن الكريم , د. عبد الجبار شرارة , ص ٥ .

: ينظر . التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي ، ص ١ / ٤٨ ، الجامع لأحكام القرآن , القرطبي , ج ١ , ص ١٥٤ ، الحروف المقطعة في القرآن الكريم , د. عبد الجبار شرارة , ص ٥ .

: مفاتيح الغيب , الرازي , ج ٢ , ص ٣ .

: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) .

: فتح القدير , الشوكاني , ج ١ , ص ٤٨ . ٤٩ .

: مفاتيح الغيب , ج ٢ , ص ٤ .

: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين , ج ١ , ص ٦ .

: حكاه عنه أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨ هـ) في كتابه : معاني القرآن الكريم , ج ١ , ص ٧٨ .

: تفسير القرآن الكريم , محمود شلتوت , ص ٦٥ .

: تفسير المنار , محمد رشيد رضا , ج

١ , ص ١٠٦ .

: زهرة التفاسير , ص ١٠٩٨ .

: خواطر حول القرآن الكريم , ج ١ , ص ١٠٦ . ١٠٩ .

: الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (ت ١١٠ هـ) .

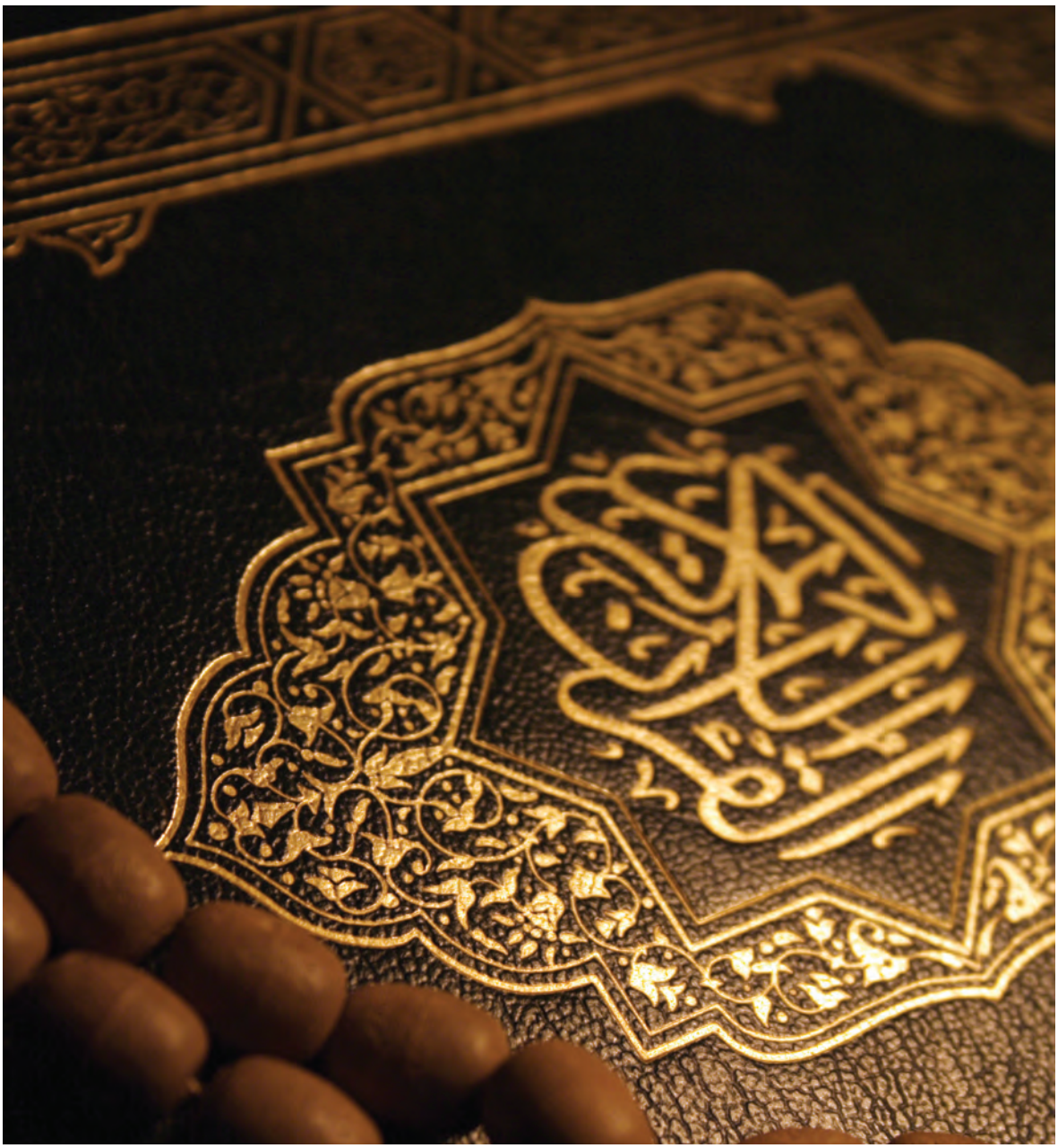

: مجمع البيان , الطبرسي , مجلد ١ , ص ١١٢ .

: ينظر . جامع البيان في تفسير القرآن , ج ١ , ص ٨٧ ، الكشاف ، الزمخشري ، ص ١ / ٨٣ ، مفاتيح الغيب ، الرازي ، ص ٢ / ٥ .

: ينظر . مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، ص ٢٤٠ .

: متشابه القرآن , ج١ , ص ١٦ .

: مجمع البيان في تفسير القرآن ، ص ١ / ١١٢ .

: مجمع البيان , مجلد ١ , ص ١١٢ .

: الدر المنثور , السيوطي , ج ١ , ص ٢٢ / فتح القدير , ج ١ , ص ٢١ .

: تفسير التبيان , الشيخ الطوسي , ج ١ , ص ٤٧ / مجمع البيان , الطبرسي , ج ١ , ص ٣٣ / تفسير القمي , ص ٥٩٥ .

: مجمع البيان مجلد ١ ، ص ١١٢ .

: ينظر . جامع البيان , ج ١ , ص ٨٦ ، التبيان في تفسير القرآن ، ص ١ / ١١٢ – ١١٣ ، مفاتيح الغيب ، ص ٢ / ٦ .

: مجمع البيان , مجلد ١ , ص ١١٢ . ١١٣ .

: ينظر . معاني القرآن ، الأخفش الأوسط ، ج١ , ص ٢٠ ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص ١ / ١٧٣ .

: مجمع البيان , مجلد ١ , ص ١١٣ .

: مجمع البيان ، ص ١ / ١١٣ .

: الحروف المقطعة في القرآن الكريم د. عبد الجبار شرارة , ص ٥٥ .

: ينظر . الإتقان في علوم القرآن , ج ٢ , ص ١٦ .

: مجمع البيان ، ص ١ / ١١٣ .

: مجمع البيان , مجلد ١ , ص ١١٣ .

: ينظر . الحروف المقطعة في القرآن الكريم , د. عبد الجبار شرارة , ص ٢٥ .

: مجمع البيان , الشيخ الطبرسي ، مجلد١ ، ص ١١٢ .

: ينظر . محاضرات في تفسير القرآن , ص ١٠١ .

: ينظر . في ظلال القرآن ، ج١ , ص ٣٨ .

: ينظر . الإعجاز البياني و مسائل ابن الأزرق , ص ١٢٦ .

: تفسير الميزان , سورة الشورى , ص ١٧٦ .

: تفسير الميزان , سورة الشورى , ص ١٧٧ .

: أي كونها من المتشابهات .

: تفسير الميزان , سورة الشورى .

: تفسير الميزان , سورة الشورى .

: سورة البقرة , الآية ١٨٥ .

: سورة ص , الآية ٢٩ .

: سورة الشعراء , الآية ١٩٥ .

: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) , بحث حول الحروف المقطعة السيد جعفر مرتضى العاملي , ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧ .

: تفسير الميزان , سورة الشورى .

: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) , السيد جعفر مرتضى العاملي ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧ . : الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) , السيد جعفر مرتضى العاملي , ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧ .

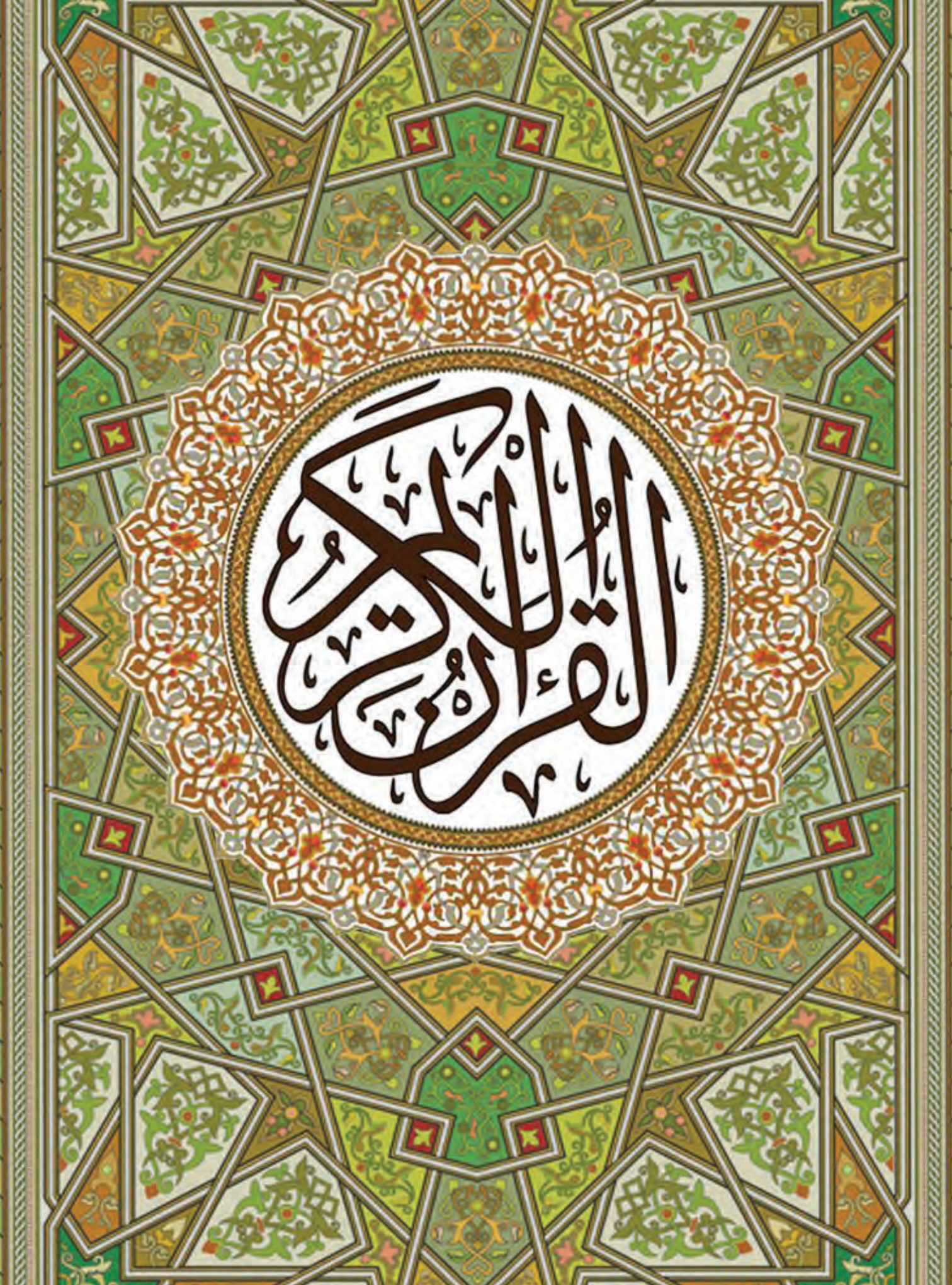
القرآن الكريم

وقفات قرآنية مقارنة

عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

التوحيد والعقائد أنموذجا

د. حسام عدنان رحيم الياسري

وما توفیقی الا بالله

يمثل الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، مبحثاً من مباحث علوم القرآن التي وضع أسسها وبواكيرها الإمام ، وذلك من خلال السؤالات التي كانت توجّه له من أحبار اليهود ورؤوس النصارى في شتى مسائل الدرس القرآني والتوراتي المقارن.

وقد اقتصرت في ذلك على مباحث التوحيد والعقائد المتعلقة بوحدانية الله تبارك وتعالى ، فضلا عن مباحث تخص الجانب اللغوي من القرآن القرآن الكريم ، طلباً للاختصار، وإلاّ فهذهِ القضايا كثيرة متشبّعة تحتاج في بسطها وتنظيم مباحثها الى جهد ووقت كبيرين عسى الله أن يمنحنا الفرصة لاتمامها.

وقد اتبعت في هذا البحث المتواضع منهجاً يقوم على عرض مسائل الاستفهامات التي وجهت الى الإمام ، ومن ثم ذكر إجابته عليها ، مع بيان المقاصد التي يتضمنها كلامه بالشرح والتحليل وقد ركز البحث على أثر الإمام علي في توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه عما لا يليق به من الأفكار التي هيمنت على الفكر التوراتي المحرّف ، فضلاً عن بقية الأديان والملل والعقائد التي انحرفت عن السبيل القويم في توحيد الله ، وهي النظرية الفكرية التي بدت معالمها واضحة في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) الذين عرفوا الله حق معرفته . ولهذا كانت إجابات الإمام واحتجاجاته على السائلين مليئة بالاستشهاد بالنصوص القرآنية المقارنة التي يرد بها القرآن الكريم على اليهود من أهل الكتاب وعلى بيان مواقفهم مع نبيهم موسى (عليه السلام). وقد اعتمد البحث جملة من المصادر والمراجع التي كانت عماداً له في نقل النصوص والروايات التأريخية .

اذكرفي هذا البحث جانباً من جوانب التفكير القرآني عند الإمام (عليه السلام) الذي يمتلك ثراءً يقل نظيره في مباحث القرآن الكريم جميعاً ، حتى أنه يتجاوز بذلك الكثير من الصحابة الذين عاصروا النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وشهدوا معه بواكير نزول القرآن الكريم . ولا ريب في ذلك ؛ لأن علياً هو سفير النبوة ولسانها المفوّه الذي يمثل القرآن الناطق حسبما ورد على لسانه ، فلولاه لضاع الكثير مما تركه رسول الله من علوم القرآن ومفاهيمه التي تكفل الإمام علي بتفصيل أصولها ومباحثها في مقولاته الكثيرة التي ضمتها المدونات التأريخية والحديثة وكتب السّير والأخبار ، فضلاً عن السّفر العظيم (نهج البلاغة) الذي حوى العديد من الأقوال التي تحدث فيها الإمام عن القرآن الكريم وعلومه وما فيه من ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، علاوة على بيان أناقة القرآن الكريم وعمق باطنه ، وعجيب نصوصه وغرابة مضامينه، حسبما يذكر الإمام في نهج البلاغة(١).

وبلحاظ هذه المباحث التي يذكرها الإمام لعلوم القرآن الكريم ، فقد آثرت أن أتناول جانباً ، أجده خافياً عن النظر ، وهو الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بوصفه مبحثاً من مباحث علوم القرآن التي وضع أسسها وبواكيرها الإمام ، وذلك من خلال السؤالات التي كانت توجّه له من أحبار اليهود ورؤوس النصارى في شتى مسائل الدرس القرآني والتوراتي المقارن.

وفي الختام أدعو الله تبارك وتعالى أن يكون البحث عند حسن الظن ، وأن ينال رضا إمام المتقين قسيم الجنة والنار وباب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وأن يكون خطوة في طريق إعادة قراءة كتاب الله وعلومه من خلال المقولات التي سطرها أئمة أهل البيت (عليه السلام) .

والتوحيد فيما ورد من تعريف له أحد مباحث العقائد في الفكر

الإسلامي ، ويختص في البحث عن الله تبارك وتعالى وصفاته وأفعاله على حدّ قول الشيخ الصدوق(٢).

وتبدو أهمية هذه المسألة واضحة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي تعددت مقولاته في توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه عمّا لا يليق به من أوصاف أو خصال نسبها المشبهون اليه جل جلاله . حتى ورد عنه (عليه السلام) : ((أوّلُ عبادة اللهِ معَرفَتُهُ وأصلُ مَعْرِفته توحيده ، ونظام توحيده نَفْي التشبيه عنه جلَّ عن أنْ تحلّه الصّفات ...))(٣). إذ يجعل الإمام التوحيد أصلاً للمعرفة بالله تبارك وتعالى ، ولما كان لهذا التوحيد نظام خاص ، فهذا النظام قائم على نفي التشبيه عن الله ، وعدم حدّه أو جعله شبيهاً بالمخلوقين الذين هم من خلق الله تعالى .

وفكرة (التوحيد) مخصوصة كما يبدو بالدين الاسلامي الحنيف الذي سطّر القرآن الكريم فيه جملة من النصوص المقدسة التي أثبتت الوحدانية لله تعالى ، ونفت عنه الشبيه والشريك . ومن ذلك قوله تعالى في

سورة الإخلاص :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٤) .

ومن تتبع النص القرآني الكريم نلحظ أن الديانات السالفة لم تكن تعنى بهذهِ المسألة ، بل تجاوز الأمر في تفكيرهم إلى القول بالإشراك بالله ونسبة الولد إليه ، فضلاً عن إسناد الجوارح له جل جلاله ، وفي طليعة هذهِ الديانات التي يذكرها القرآن الكريم الديانة اليهودية التي حرصت ، فيما يبدو ، على إثبات الجوارح لله تبارك وتعالى ، حتى قالوا هم والنصارى إنهم أبناء الله وأحبّاؤه . يقول القرآن الكريم :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ... ﴾[5].

وحكى عنهم الذكر المبارك أنهم ينسبون (عَزيْز) و(المَسيح) الى الله جل شأنه ، وأنهما أبناء الله ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ ﴾ (٦).

وقد غالى اليهود في ذلك ، فجعلوا لله تبارك وتعالى عما يصفون (يداً مغلولة) ،حسبما يذكر القرآن في قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾[7] .

وقد أنكر الله تبارك وتعالى ذلك عليهم ، وحذّر المسلمين من سوء أفكارهم وعقائدهم وحقدهم على الاسلام ، قائلا : ﴿ ...قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[8].

ويقول في موضع آخر محذراً : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ (٩).

أقول : وقد تصدّى أمير المؤمنين (عليه السلام) للأفكار اليهودية التي تدعو الى الاشراك بالله ونبذ التوحيد ، وبث أفكار التشبيه واثبات الجوارح الى الله تعالى بين المسلمين الذين تلقى بعضهم مثل هذه الشبهات واعتنقوها متداولين إياها ، و ساعين الى نشرها في الفكر الاسلامي ؛ لتكون مائدة يعيش عليها الجاهلون بالله تعالى شأنه .

ومن بين ما أرساه الإمام علي لتوحيد الخالق جل جلاله إجاباته لجمهور من علماء اليهود وأحبارهم . فقد ذكرت المدونات أنّ اليهود

اجتمعت الى رأس الجالوت ، وهو من علمائهم وزعمائهم ، يدعونه الى سؤال الإمام علي عن (ربّهم) ومتى كان؟ فسأله رأسهم : ((يا أمير المؤمنين : جئنا نسألك . قال : سل يا يهودي عمّا بدا لك . قال : أسالك عن ربّنا متى كان ؟ . فقال : كان بلا كينونة ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلا كم وبلا كيف ، كان ليس له قبل ، هو قَبل القَبْل بلا قبل ، ولا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها ، انقطعت عنه الغاياتُ ، فهو غاية كل غاية))(١٠). ((فقال رأس الجالوت لليهود : امضوا بنا ، فهذا أعلم مما يقال فيه))(١١). وكلامه (عليه السلام) لرأس الجالوت ينطوي على أسرار معرفة الله وأحديته ووحدانيته . وهو يتضمن مقارنة بين ما تراه اليهود في عقيدة التثنية والدعوة الى أنّ لله ابناً هو (عُزَير) ، وبين التوحيد الاسلامي الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فضلاً عن تضمنه انكار الإمام وإصراره على إثبات (الأحدية) للحق جل جلاله . والظاهر من سؤال الجالوت للإمام أنّه يسأل عن كينونة الخالق تبارك وتعالى ، وكون وجوده الأولي ، فهؤلاء يسألون عن اللحظة التي بدأ فيها وجود الله جل شأنه أيضاً . فكأن سؤالهم ، هو متى كانت البداية لوجود الله ، وكيف هو شأنه تعالى عن ذلك . ولهذا كان جواب الإمام مبدوءاً بإثبات الوجود بلا كينونة ، معبراً بالفعل الماضي (كان) عن أزلية وجود الحق تعالى وبدايته . ويفهم من الأجوبة التي جاءت على شكل أفكار مكثفة قصيرة التراكيب أن الإمام يريد إيضاح الأمور الآتية:

إثبات الوجود دون الكينونة .

نفي الكيفية عن الله تعالى . بمعنى أنه جل وعلا ليس بمحدود ولا يحده الزمان ولا المكان ، فلا هيأة له ولا جسم ولا شكل ولا صورة تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولهذا نفى الإمام (عليه السلام) عن الله (العدد) ، فهو إله واحد فرد صمد بـ(لا كم) .والمراد بالكَمّ ، فيما يبدو ، العدد والتراكم الكمّي الذي يمثل كتلة الشيء وقوامه .

نفي وجود أحد قبل الخالق أو بعده ، وهو ما اختصره أمير المؤمنين (عليه لاسلام) بتعبير : ((انقطعت عنه الغايات ، فهو غاية كل غاية)).

أقول : وقد روت بعض المصادر إجابات

الإمام للجالوت ، معللاً فيها عدم جواز السؤال عن الحق تبارك وتعالى بـ(متى كان) ؛ لأن ذلك لا يقال إلا لشيء لم يكن فكان ، والله تعالى كائن بلا كينونة ، وبلا كيف على حدّ وصفه (عليه السلام) لله تبارك وتعالى (١٢).

ومن خلال التتبع نجد أن الإمام علي من أكثر أصحاب النبي وأوسعهم وصفاً وتوحيداً لله تعالى ، بل هو أكثرهم دقة ، بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في الوصف وإسباغ صفات الكبرياء والعظمة والجلال على الخالق تبارك وتعالى . وهو في ذلك كله يوازن بين التفكير الديني للملل

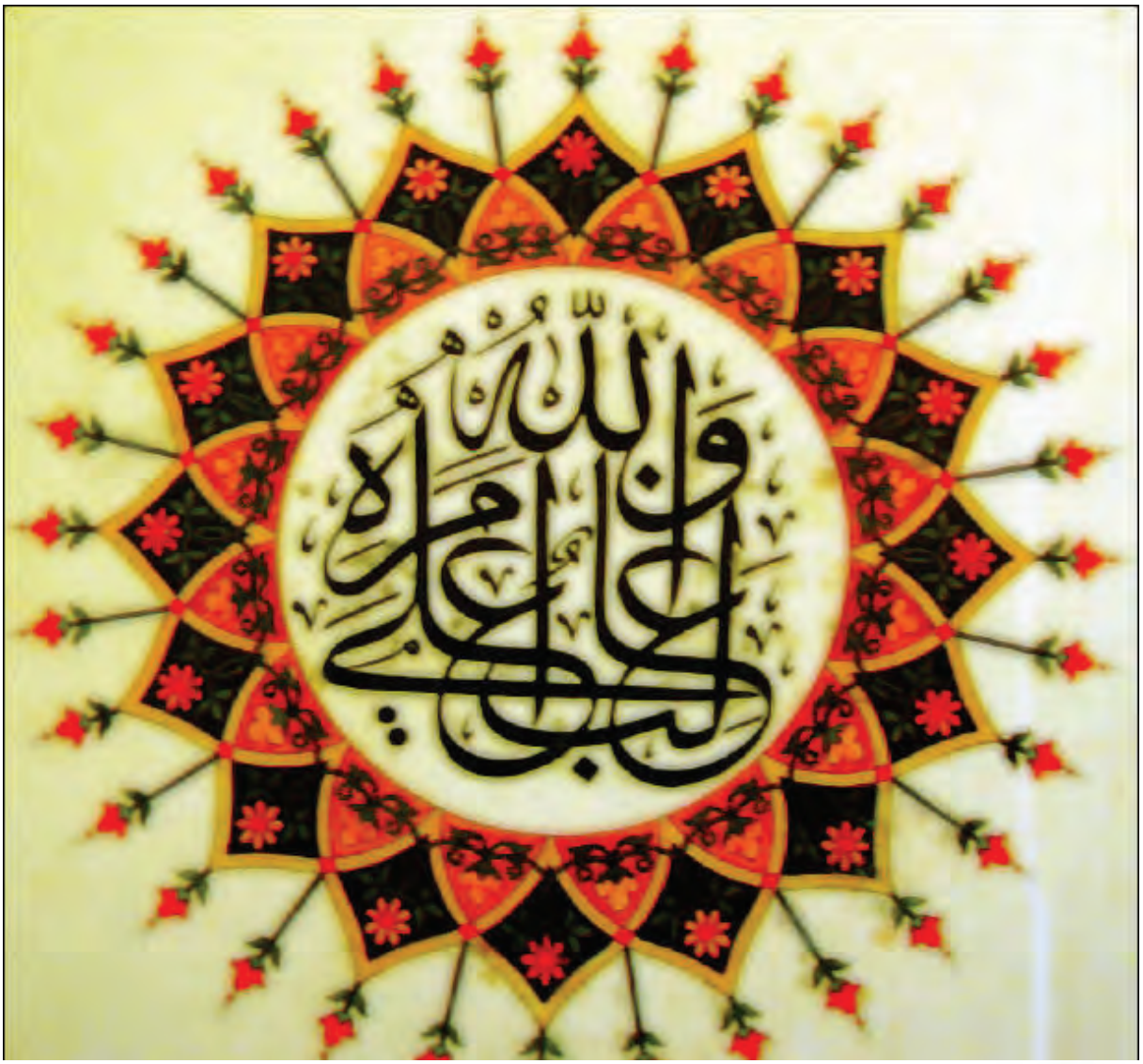

الأخرى فيما يخص (التوحيد) ، وبين وجهة النظر الاسلامية في الشأن نفسه .

وقد بدا لي من خلال الرجوع الى بعض مصادر التراث الاسلامي أنّ الإمام كان كثير الاجتهاد في الوصف ، بل إنه يبلغ الغاية فيه عندما يُسأل من أصحاب الديانات الأخرى ، ولا سيما اليهود الذين تحتفل المدونات التأريخية بذكر مواقفهم مع الإمام . فقد نقل صاحب (حلية الأولياء) محاورة جرت بين أمير المؤمنين(عليه السلام) وبين جماعة من اليهود (١٣) الذين وقفوا بين يدي الإمام وسألوه سؤالاً واحداً ، وهو أنْ يصف ربّه الذي في السماء كيف هو ، وكيف كان ومتى كان ، وعلى أيّ شيءٍ هو؟(١٤). ((فاستوى علي جالساً ، وقال : يا معشر اليهود اسمعوا مني ولا تُبالوا أن لا تسألوا أحداً غيري : إنّ ربّي عز وجل هو الأول لم يّبْد مما ولا ممازج مع ما ، ولا حال وهماً ولا شبح يتقَصّى ولا محجوب ، فيحوى ، و لا كان بعد أن لم يكن ، فيقال : حادث بل جلَّ أن يكيف المكيّف للأشياء . كيف كان بل لم يزل ولا يزول ؛ لاختلاف الأزمان ولا لتقلّب شأن بعد شأن ، وكيف يوصف بالأشباح ، وكيف ينعت بالألْسُن الفصاح من لم يكن في الأشياء ، فيقال : بائن ولم يَبِنْ عنها ، فيقال كائن : بل هو بلا كيفية ، وهو أقرب من حبل الوريد ، وأبعد في الشبه من كل بعيد ... كلّم موسى تكليماً بلا جوارح ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات . من زعم أن إلهنا محدود ، فقد جهل الخالق المعبود ، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط ، لزمته الحيرة والتخليط ، بل هو المحيط بكل مكان ، فإن كنت صادقاً أيها المتكلّف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل والبرهان ، فصِف لي جبريل وميكائيل واسرافيل . هيهات أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود ، وانت تدرك صفة ربّ الهيئة والأدوات ، فكيف مَنْ لم تأخذه سِنة ولا نوم له ما في الأرضين والسموات وما بينهما ، هو ربّ العرش العظيم

))(١٥). وهذا المقول يعضد ما تقدم ذكره في إجابته لرأس الجالوت ، لما سأله عن بدء الله تعالى وكينونته ، بل وتتسع فيه الأوصاف التي تسلب عن (الذات المقدسة) كل ما لا يليق بها من صفات من قبيل كونه محدود ، أو أن الأماكن تحيط به ، فهو يتكلم مع انبيائه بلا جوارح تؤدي صفة هذا الضرب من التكلم أو تصنعه كما هو عليه الإنسان المخلوق . ويشير الإمام بذلك الى قول الحق تبارك وتعالى في تكليمه لنبيه موسى (عليه السلام) ، في محاكاة من الإمام لهؤلاء اليهود من خلال ذكر علاقة الله تعلى بنبيّهم الذي كلّمه الله تكليماً من دون جارحة كلام ، إلماحا الى قوله تعالى :﴿ ...وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ... ﴾(١٦). وتذكر المدونات أنّ استئثار موسى (عليه السلام) بتكليم الله تعالى راجع الى عدم الوساطة في التكليم بينه وبين الخالق تعالى ، فسائر الأنبياء كلمهم الله عن طريق الوحي الا موسى (١٧). ويتضمن كلام الإمام التعريض باليهود من خلال مواقفهم مع نبيهم موسى (عليه السلام) الذي طالبوه برؤية الله تبارك وتعالى جمهرة ، شرطاً للايمان به وبمن بعثه ، وذلك كلّه يمثل دعوة منهم الى تجسيم الله وحّده في مكان و زمان معين وبهذا تكون أفكار (التشبيه والحد والكينونة والكيفية) التي يركز الإمام أمير المؤمنين على نفيها وسلبها عن الله جل جلاله من العقائد اليهودية التي بُثّت في العقيدة الاسلامية وتلقفتها بعض الفرق الدينية وصارت تبني عليها وتؤسس لها ، لتكون منهجاً وعقيدة بديلة عن التوحيد القرآني . يقول القرآن الكريم : ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ (١٨). ويصف الله تبارك وتعالى هذه الدعوة الى رؤيته بأنها أكبر من سؤال أهل الكتاب بأن ينزّل عليهم كتاباً من السماء ، في دلالة على مناهضة هذا النوع من التفكير لمبدأ وحدانية الله وعدم تجسيمه وتشبيهه بالمخلوقين . فقال تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ... ﴾ (١٩). وما وقفت

المدونة القرآنية عند هذا الحد في منع النظر والرؤية لله تبارك وتعالى ، وإنما وصلت الى حدّ نفي هذه الرؤية أبداً حتى إذا كانت من خلال طلب الأنبياء أنفسهم ، ومنهم النبي موسى (عليه السلام) الذي طلب من الله رؤيته ، لمّا جاء الى ميقاته ، فكلّمه الله ، حسبما يذكر القرآن الكريم في قوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٢٠).

أقول :والإمام (عليه السلام) خير من يمثل هذا النهج القرآني بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد ورد في ردّه على من سأله عن كيفية محاسبة الله للخلق مع كثرتهم وعدم رؤيتهم له .. سئل (عليه السلام) : ((كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال (عليه السلام): كما يرزقهم على كثرتهم . فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ .فقال(عليه السلام): كما يرزقهم ولا يرونه))(٢١). وفي هذا التعبير العلوي إجابة بالمثال أو المصداق إذا صح القول ، فإن القبول أو الأخذ بالرزق من الله تبارك وتعالى لهذه الأعداد الهائلة من البشر وغيرهم دون السؤال عن رؤيته ، هو في الوقت نفسه جواب على حسابهم وبالأعداد الكبيرة أيضاً من دون نظر هؤلاء الناس اليه .

ونحن نرى أنّ أفكار الإمام (عليه السلام) في قضايا التوحيد والتجسيم و التشبيه والرؤية يتمم بعضها بعضاً ، ويفسر بعضها بعضاً ، فهي غير قابلة للتناقض والتعارض فيما بينها ، على الرغم من تعدد المواقف والسياقات التي قيلت فيها . فما زال الإمام ثابتاً في اعتقاداته التي أشاعها القرآن الكريم ، متخذاً منها منهجاً متداولا في حياة رسول الله وبعد وفاته . حتى وقف المواقف المعروفة عنه في إثبات وحدانية الله والردّ على اليهود وأهل الكتاب ؛ لأنهم الأساس الذي تبدر منه الشبهات والأفكار المنحرفة عن خط الدين الحق . ولهذا نلاحظ المعرفة والرصانة في إجاباته التي ردّ بها على هؤلاء . فقد ورد في (نهج البلاغة) أنّ بعض اليهود قال له : ((ما دَفَنْتُم نبيّكم حتى اختلفتم فيه! فقال (عليه السلام)

له : إنّما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قُلتم لنبيّكم : ((﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ (٢٢)))(٢٣). يريد (عليه السلام) أن الاختلاف بين المسلمين كان بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يكن الاختلاف في النبي ونبوته ، وإنما كان أكثر المسلمين مؤمنين بالنبي ورسالته إلاّ قليلاً من المنافقين ، في حين أن بني اسرائيل كانوا من أشد الأمم على نبيّهم وأكثرهم عنتاً واختلافاً فيه حسبما يروي القرآن الكريم .

وقد كانت اليهود وأحبارهم كثيراً ما يقدمون على المسلمين ويسألونهم أسئلة عصية على الفهم والتفسير والبيان ؛ لما فيها من نكت وأحداث لم تشهدها العقول الإسلامية أو تطلع عليها ، وكان الإمام علي يتصدى لأمثال هذه الأسئلة التي كانت تحرج حتى الخلفاء من أمثال الخليفتين(أبا بكر وعمر) . ومن تلك المواقف اجتماع أحبار اليهود ورؤساء النصارى لسؤال المسلمين عن أمور في التوراة والانجيل والقرآن . فقد روت كتب الحديث سؤالات هؤلاء للخليفة أبي بكر عما ((ليس لله ، وعمّاً ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله)). فقال أبو بكر عند ذاك :((هذه مسائل الزنادقة يا يهودي)). وكان فيمن حضر ابن عباس الذي أشار على اليهودي أن يذهب الى عيبة علم النبوة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... فقال الرجل اليهودي :((سؤالي لا يعلمه إلا نبّي أو وصي نبي . قال : اسأل عمّا بدا لك . فقال اليهودي : أجبني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال له علي (عليه السلام) : على شرط يا أخا اليهود . قال : تقول معي قولاً عدلاً مخلصاً لا إله إلاالله محمد قال رسول الله؟قال : نعم يا مولاي . فقال (عليه السلام) يا أخا اليهود أما قولك : ما ليس لله ، فليس لله صاحبة ولا ولد . قال : صدقت يا مولاي . وأما قولك ما ليس عند الله ، فليس عند الله الظلم . قال : صدقت يا مولاي ، وأما قولك ما ليس يعلمه الله ، فإن الله لا يعلم أن

له شريكاً ولا وزيراً ، وهو على كل شيء قدير . فعند ذلك قال : مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله ، وأنك خليفته حقاً ووصيه ووارث عمله))(٢٤).

وإجابات الإمام المتقدمة معتمدة على التفكير التوحيدي الذي جاءت به الرسالات السماوية جميعاً ، وفي طليعتها الرسالة الإسلامية ، وقد أجاب الإمام على المسائل المتقدمة من وحي القرآن الكريم الذي تمثله أمير المؤمنين (عليه السلام) خير تمثيل ، حتى صار القرآن جزءاً منه ومن مقولاته . فأما السؤال الأول وإجابته ، فهي من القرآن الكريم الذي يقول في غير موضع منه :﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ

كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢٥). ويقول أيضاً :﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾(٢٦).

أما السؤال الثاني وجوابه ، فمنشؤه قرآني أيضاً ، فإنّ الحق تبارك وتعالى يسلب عن نفسه ظلم العباد ، وينفيه نفياً قاطعاً في شتى النصوص القرآنية ، إذ يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٢٧). ويقول أيضاً :﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢٨). وأما ما لا يعمله الله ، وهو العالم بكل شيء ، فإنّه لا يعلم أن له شريكاً ووزيراً يعينه في تدبير الأمور . ولهذا نجد أن القرآن الكريم يكرر هذا المعنى ، وينفي الشركة مع الله . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢٩). وقوله : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾(30).

وإجابات الإمام عن هذه المسائل تشتمل على نفي ما سئل الإمام عنه عن الله ، فضلاً عن اثبات مضاداتها له ، فما ليس لله تعالى من صاحبة أو ولد ، فإنّ له الملك والوحدانية والتفرّد بالعظمة والجلال والهيبة ، وما ليس عنده جل جلاله من الظلم ، فإن له بمقابله الرحمة والعدل والاحسان والرأفة بالعباد .

وأما ما لا يعلمه تعالى شأنه ، فلا يعلم أن له حاجة الى شريك أو وزير ، فإنّه يعلمُ بقدرته على الخلق والتدبير والابداع في هذا الكون من دون الحاجة الى أحد معه يشاركه في ذلك . وهذه مضامين اشتمل عليها جواب الإمام لهذا السائل.

إن الله تعالى لا يخلو منه مكان في السماء ولا في الأرض .

وهذه المفردة من مناظرات الإمام مع اليهود لا تنفصل عن سابقتها ، غير أن فيها من الاستدلال على كون الله تبارك وتعالى في كل مكان وزمان ما يعجب الفكر ويحكم شبهات العقل، ويضعف سطوة الجهل في هذه المسائل . فقد سأل بعض اليهود عن الله أين هو أفي السماء أم في الأرض ؟ . فأجابه الخليفة أبو بكر بأنه في السماء على العرش . فأشكل عليه اليهودي بأنه بهذا الجواب يرى الأرض خالية من الله ، فهو بذلك في

مكان دون مكان آخر !. ولكن الإمام علي (عليه السلام) أحكم الاجابة على هذا الإشكال بأن عرض وجهة النظر الاسلامية - اليهودية في هذه المسألة ، ليتسنّى لليهودي التصديق بالاجابة ، فقال (عليه السلام) : ((إنّا نقول : إنّ الله عز وجل أَيُّن الأيْن، فلا أينَ له ، وجلَّ من أن يحويه مكان ، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة ... قال : أَلَسْتُم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً ، إذ جاءه ملك من الشرق ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل . ثم جاءه ملك من المغرب ، فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل . ثم جاءه ملك آخر : فقال له : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عز وجل . وجاءه ملك آخر فقال : من أين جئت ؟ قال : قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل ، فقال موسى (عليه السلام) : سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون الى مكان أقرب من مكان . فقال اليهودي : أشهد أن هذا هو الحق المبين ، وانك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه)) (٣١) .

أقول : وفي النص المتقدم دلالة على معرفة الإمام (عليه السلام) بتفاصيل علم التوحيد في الديانات الأخرى ، ولاسيما اليهودية التي نزلت بها التوراة على النبي موسى (عليه السلام)، والظاهر أنّ الإمام يعرف من تفاصيل هذه الديانات كما يعرفه من تفاصيل الديانة الاسلامية ، ولهذا تبدو عنده ظاهرة الموازنة والمقارنة بين هاتين الملتين في فروع عقائدهما الدينية الدقيقة .

فلم يكن (عليه السلام) يحاجج هؤلاء بالقرآن فحسب مع كونه حجة على أهل الكتاب أيضاً . فهم يعرفونه كما يعرفون ما ورد في توراتهم أيضاً . ولهذا كانت سؤلاتهم تدور حول مباحث دقيقة مَثّلت اشكالات في الفكر الاسلامي فيما بعد. حتى أنهم كانوا يشكلون على الاجابة بما يحفظون من القرآن الكريم ، في دلالة على اطلاعهم على هذا الكتاب

المقدس بتفاصيله . فقد سأل يهودي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الرّب أيَحْمِل أم يُحْمَل ؟. فقال (عليه السلام) : ((إنَّ رَبّي عز وجل يحمل كل شيءٍ بقدرته ولا يحمله شيء . قال : فكيف قوله عز وجل: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾(٣٢)؟. قال : يا يهودي : ألم تعلم أن لله ما في السموات وما في الأرض وما بينها وما تحت الثرى ، فكل شيء على الثّرى ، والثّرى على القدرة ، والقدرة تحمل كل شيءٍ))(٣٣). ومراد الإمام من ذلك : أن قدرة الله هي التي تحمل كل شيءٍ ، وأن نظرية العرش الالهي لا تدل على الجسمية والمكانية واحاطتها بالله تبارك وتعالى ؛ لأنه جل جلاله يحيط بكل شيءٍ ولا يحيط به شيء . واستعمال الإمام لمفردة (الثّرى) يمثل إيماء الى قوله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (٣٤). فالعرش ، حسبما يبدو ، يمثل القدرة التي يتفرد بها الله تعالى شأنه ، واستواؤه عليه يدل على تمكنه واحاطته وسطوته على كل شيءٍ ، ولهذا كان كرسيه قد وسع السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى من التراب الرطب الذي هو مادة الأرض، وهي عند المفسرين تمثل أعماق الأرض وجوفها (٣٥). وهي كلها مملوكة لمالك الملك وخالق العالم(٣٦).

وثمّة حديث آخر للإمام (عليه السلام) يتحدث فيه قرار الأرض في جواب لسؤال بعض اليهود أيضاً ، يذكر فيه أنّ ما تحت الثّرى لا يعلمه إلاّ الله عز وجل(٣٧). وكأنه يومئ بذلك الى أن هذا الكون الذي نعيش فيه من ورائه عدة أكوان وأرضين لا يعلم مدها وقرارها .

المبحث الثاني
فائدة حروف الهجاء في القرآن الكريم ودلالتها

لقد عني الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) باللغة العربية ، بوصفها لغة القرآن الكريم ، حتى أنّ المدونات اللغوية تروي من ذلك أنّه المنشئ الأول لعلم النحو ، وعلوم ضبط المفردات والكلمات بالحركات والنقط والإعجام بالنسبة للحروف العربية . فهو الذي أمر أبا الاسود الدؤلي (ت٦٩هـ) أن ينحو

في تفريع علم النحو الذي وضعه له من خلال تقسيم الكلام العربي على اسم وفعل وحرف ، وغير ذلك من أصول القواعد النحوية وتفريعاتها التي تكفل أبو الأسود بتفصيلاتها وبيان مباحثها ، حسبما تذكر المدونات التأريخية(٣٨).

ومن تتبع جملة من أحاديث أهل البيت (عليه السلام) تتبيّن عنايتهم بحروف الهجاء العربي ، فقد وجدت حديثاً عن الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) يذكر فيه أولية خلق الله تعالى لحروف المعجم ؛ لتكون سبيلاً لمعرفة الكتابة ، وزاد على ذلك بأن من زعم أنه لا يفصح بعد ضرب رأسه بعصا ، فحكمه أن تعرض عليه حروف المعجم ، ثم يعطي الدية بقدر ما لم يفصح منها . يقول (عليه السلام) : ((إنّ أول خلق الله عز وجل ليعرف به خلقه الكتابة ، حروف المعجم . وإنّ الرجل إذا ضرب على رأسه بعصا ، فزعم أنه لا يفصح ببعض الكلام ، فالحكم فيه أن تعرض عليه حروف المعجم . ثم تعطى الدّية بقدر ما لم يفصح منها))(٣٩). ويذكر الإمام الرضا (عليه السلام) أنّ هذه الحروف التي يتداولها العرب هي التي أنزل بها القرآن الكريم(٤٠)، ثم خاطبهم بقوله

: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[41].

وثمّة رواية نقلتها كتب الحديث النبوي تحكي لنا إجابة أمير المؤمنين عن سؤال لبعض اليهود الذين دخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألونه عن فائدة حروف الهجاء ، فطلب النبي من الإمام أن يجيب اليهودي عن سؤاله . فكانت إجابته (عليه السلام) نابعة من علاقة كل حرف من حروف المعجم

بأسماء الله تبارك وتعالى . يقول الإمام : ((ما من حرف إلاّ وهو اسم من أسماء الله عز وجل ... أما الألف ، فالله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم ، وأما الباء ، فباقٍ بعد فناء خلقه . وأما التاء ، التوّاب يقبل التوبة عن عباده . وأمّا الثاء ، فالثابت الكائن يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت . وأما الجيم ، فجلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه . وأمّا الحاء فحق حيّ حليم . وأما الخاء فخبير بما يعمل . وأمّا الدّال ، فدّيان يوم الدين ، وأما الذال ، فذو الجلالة والإكرام ... وأما الواو ، فواحد صمد لم يلد ولم يولد ، أما اللام الف ، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأما الياء ، فيد الله باسطة على خلقه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هذا هو القول الذي رضي الله عز وجل لنفسه من جميع خلقه ، فأسلم اليهودي))(٤٢).

وتبدو إشارات أمير المؤمنين الى تعلق هذه الحروف وارتباطها بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ليست مسألة خاصة بلغة العرب ، وإنما هي أمر عام يشمل الديانات جميعاً ؛ على أساس خضوعها للرسالة الخاتمة التي أُرسل بها النبي صلوات الله عليه وآله وسلم الى الأمم . ولما كان أصل هذهِ الرسالات السماوية ومنْشؤها هو الله تعالى ، فمن الطبيعي أن يجعل الإمام الصلة وثيقة بين حروف الهجاء العربي وبين أسماء الله وصفاته ؛ لتتضح الصورة والغاية من هذهِ الحروف التي جعل الإمام غايتها الأساس تركّب أسماء الله منها . ويعد ذلك من بواكير الدرس اللغوي القرآني المقارن ؛ لأنه بحث في الأصول التي تتشكل منها المفردة اللغوية العربية القرآنية على مستوى الحروف والصوت اللغوي المرتبط به بلحاظ مدى العلاقة بين الحرف والاسم الذي يتشكل منه . فكأن كل حرف هو رمز من رموز قدرة الله وعظمته وسلطانه .

أقول : ويفتح هذا الضرب من التأويل القرآني الارتباط بالله تبارك وتعالى وسطوته واتساع قدرته واحاطته بالعالم كله بما فيه من مخلوقات .

ومما يدعم ذلك عناية الإمام علي وأهل البيت (عليهم السلام) بذكر هذه

الحروف ، حتى جعلها أمير المؤمنين (صفوة القرآن) ، في قوله الذي بقول فيه : ((إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة القرآن حروف التَّهَجّي))(٤٣). ويبدو أنّ هذه العناية راجعة أيضاً الى ما ورد منها في فواتح بعض سور القرآن الكريم من قبيل ((كهيعص)) ، و((الم)) ، و ((طس)) ، وغير ذلك مما افتتح به القرآن الكريم سوره التي مثّلت فيها هذه الحروف سراً من أسرار هذا

الكتاب المقدس ، حتى تحيرت عقول المفسرين والعلماء في معانيها وسبب تصدرها تلك السور القرآنية.

ومما يتعلق بحروف الهجاء التي عدّها الإمام صفوة القرآن ، علة تسمية الله تبارك وتعالى لـ(آدم) و(حواء) بهذين الاسم ، فضلاً عن سبب تسمية (الدنيا) و(الآخرة) بهاتين التسميتين . فقد ورد في الأحاديث أن يهودياً قدم على أمير المؤمنين سائلاً إياه عن مسائل عدة اقتصرتُ منها على هذه المسألة التي تلفت نظر الدرس اللغوي المقارن ، فالسؤال من شخص يهودي لا علم له ، حسبما يبدو ، بالعربية إلاّ إذا كان من علماء الأديان واللغات معاً ، كما أن الإجابة التي صدرت عن أمير المؤمنين تبيّن عمق معرفته بتفاصيل اللفظ ودلالته اللغوية ، فضلاً عن المسألة العلمية المتعلقة بالخلق وتكوينه . وقد سأل اليهودي الإمام مسائل عدة وشرط على نفسه أنه إذا أخبره الإمام بها أَسْلم . فقال له الإمام (عليه السلام) : ((سَلْني يا يهودي ، فإنك لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت . فقال له اليهودي : ... لم سميّت السماء سماء ؟ ولِمَ سميّت الدنيا دنيا ؟ ولِمَ سميّت الآخرة آخرة ؟ ولم سمّي آدم آدم ؟ ولِمَ سميّت حواء حواءً...فقال (عليه السلام) : ... وسميّت السماء سماء ؛ لأنها وَسْم الماء ، وإنما سميت الدنيا دنيا ؛ لأنها أدنى من كل شيء ، وسميّت الآخرة آخرة ؛ لأن فيها الجزاء والثواب...))(٤٤) .

وفي هذهِ الإجابة مسائل ، فالإمام (عليه السلام) يشير الى أنّ الأصل في تسمية هذه الألفاظ مشتق من الدلالة التي تفيدها هذه الألفاظ . وينفرد الإمام في ذكره لعلة تسمية السماء بهذا الاسم بإرجاعها الى (الوَسْم) ، أو وَسْم الماء ، أي : أصله ومنبعه أو معدنه ، حسبما يعبّر العلاّمة المجلسي(٤٥) .

في حين أنّ الأصل في اللفظ أنّه مأخوذ من السمّة ، وهي العلامة(٤٦). ولم تذكر المدونة المعجمية دلالة مفردة (السماء) على (الوسم) بمعنى المَعْدن أو الأصل، وإنما الوَسْم الأثر والعلامة. فكأن الإمام (عليه السلام)

يريد أن يقول إنّ العلة في تسمية السماء سماء هي كونها الأصل أو المنبع الذي يصدر عنه الماء ، في إشارة الى ما يهطل منها من مطر . وذكر العلامة المجلسي أن تعبيره عنها بالمعدن ؛ لأن معدن كل شيء هو علامة له(٤٧).

وهذه محاولة من الشيخ للتوفيق بين معنى كلمة (وَسْم) و(علامة) . وذلك أمر مفهوم كما يظهر ، غير أن الإمام أضاف معنى أو دلالة لمفردة (سماء) لم تذكرها المعاجم اللغوية ؛ بسبب إغفالها كلامه (عليه السلام) الذي لم يطلع عليه المعجميون، فجمعوا المعاني في استقراء ناقص للغة من دون عناية أو تثبّث من لغة أفصح الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، على الرغم مما أوردته بعض المدونات اللغوية من كلمات للإمام (عليه السلام) . أما الدنيا ، فقد علل الإمام تسميتها بذلك لدنوها وتسافلها ، فهي أدنى من كل شيءٍ ، ولاسيما في دناءتها وسوئها .

ولهذا ورد في دعاء (النّدبة) قوله (عليه السلام) : ((... بَعد أنْ شَرَطْتَ عليهم الزّهد في درجات هذه الدنيا الدَّنّية وزُخْرفها وزِبْرجها..))(٤٨). والظاهر من قول الإمام (أدنى من كل شيءٍ) ، أنه يفيد الدلالة على قلة شأنها وحقارتها مقارنة بما أدخره الله تعالى لعباده في الجنة . وكأنَّه (عليه السلام) يلمح الى قوله تعالى على لسان (موسى) مخاطباً بني اسرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ... ﴾ (٤٩). . فوصف ملذات الأرض التي طلبها بنو اسرائيل من نبيهم بالدنو والحقارة مع ما هو خير منه وأبقى .

وذكر الإمام أن سبب تسمية (الآخرة) بهذا الاسم راجع الى كونها محل الجزاء والثواب ، فهي آخر ما يؤول اليه الانسان ليلقى جزاءه إن خيراً ، فخير ، وإن شراً ، فَشرّ.

أما ما يخص تسمية (آدم وحوّاء) ، فقد احتج (عليه السلام) لتسمية

(آدم) في كونه خلق من أديم الأرض ، بذكر قصة خلقه من أربعة أنواع من الطين و المياه ، وكيف أدام الله ذلك وخلقه ، وجعل خلق (حواء) من (الحَيَوان) ، وهو الحياة . يقول (عليه السلام) : ((وسمّي آدم آدماً ، لأنه خلق من أديم الارض ، وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث جبرائيل (عليه السلام) ، وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات : طينة بيضاء ، وطينة حمراء ، وطينة غبراء ، وطينة سوداء ، وذلك من سهلها وحَزنها ، ثم أمره أن يأتيه بأربعة مياه : ماء عذب ، وماء مالح ، وماء مرّ ، وماء منتن ، ثم أمره أنْ يفرغ الماء في الطين ، وأدامه الله بيده(٥٠)، فلم يفضل شيء من الطين يحتاج الى الماء ، ولا من الماء شيء يحتاج الى الطين ... وإنما سميت حواء

حواء ؛ لأنها خلقت من الحيوان))(٥١).

الخاتمة وفي ختام هذا البحث المتواضع ثمة مجموعة من النتائج التي يمكن أن أوجزها في الآتي :

١- يعد الإمام علي (عليه السلام) من أوائل الواضعين للدرس القرآني المقارن , إذ تبدو بواكيره واضحة من خلال المقولات التي مر ذكرها في هذا البحث.

٢- تعد مباحث التوحيد والعدل الآلهي من أهم مباحث علوم القرآن الخاصة بالعقائد المقارنة ، لكونها من المباحث المشتركة في الديانات جميعاً .

٣- ركز الإمام أمير المؤمنين على نبذ أفكار اليهود من أهل الكتاب التي تطعن في رسالة الاسلام وبعثة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٤- صحح الإمام (عليه السلام) الكثير من الأفكار التي كانت تسود في الفكر الإسلامي الذي تسربت اليه بعض هذه الأفكار في الفكر اليهودي .

أقول: صحح الإمام الكثير من ذلك من خلال إرسائه المنهج القويم في معرفة الله تبارك تعالى من خلال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بوصفهم القرآن الناطق .

٥- نفي الإمام رؤية الله تبارك وتعالى ، مصراً على عدم تشبيهه أو تجسيمه ، فضلاً عن نفي الجوارح عنه .

٦- عني الإمام بتبيان فائدة حروف الهجاء التي تشكل منها كلمات القرآن الكريم ومفرداته .من إبانته عن مضامين ودلالات أسماء بعض الأنبياء والألفاظ القرآنية من قبيل (آدم ، وحواء ، والدنيا ، والآخرة ، والسماء) . وقد تبين للباحث إرساء الإمام للكثير من هذه المعاني وابتكارها مع اغفال اللغويين الاشارة اليه في هذا الجانب.

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ/١٨ : ٥٢ .
(٢) ينظر : التوحيد ، للصدوق : ١/٢٣
(٣) الارشاد ، للمفيد : ١٥١ .
(٤) الاخلاص / ١٨ .
(٥) المائدة / ١٨ .
(٦) التوبة / ٣٠ .
(٧) المائدة / ٦٤ .
(٨) المائدة / ١٨ .
(٩) المائدة / ٨٢ .

(١٠) بحار الأنوار ، للمجلسي : ٣/٣٣٦

(١١) بحار الأنوار : ٣/٣٣٦ .

(١٢) ينظر : الفصول المهمة في أصول الأئمة ، للحر العاملي : ١/١٥٣.

(١٣) ذكر الاصبهاني انهم اربعون رجلاً . ينظر : حلية الاولياء : ١/٧٢ .

(١٤) ينظر : بحار الانوار : ٣/٣٣٦ .

(١٥) حلية الأولياء ، لا بي نعيم الأصبهاني : ١/٧٢ ، ٧٣ ، وموسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، لمحمد الريشهري: ١١/١٢٠ .

(١٦) النساء : ١٦٤ .

(١٧) ينظر : التبيان في تفسير القرآن للطوسي : ٣/٣٩٣.

(١٨) البقرة / ٥٥ .

(١٩) النساء / ١٥٣ .

(٢٠) الاعراف / ١٤٣ .

(٢١) نهج البلاغة :٨٥١ .

(٢٢) الاعراف / ١٣٨ .

(٢٣) نهج البلاغة : ٨٥٤ .

(٢٤) بحار الانوار : ١٠/٢٦ .

(٢٥) الانعام / ١٠١ .

(٢٦) الجن /٣ .

(٢٧) آل عمران /١٨٢ . وينظر : الانفال / ٥١ ، والحج / ١٠ .

(٢٨) ق/ ٢٩ .

(٢٩) الانعام / ١٦٣ .

(٣٠) الاسراء / ١١١. وينظر : الفرقان / ٢ .

(٣١) بحار الانوار : ٣/٣٠٩ .

(٣٢) الحاقة / ١٧ .

(٣٣) بحار الانوار : ٣/٣١٧ .

(٣٤) طه / ٥، ٦.

(٣٥) ينظر : التفسير الامثل ، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٩/٥٢٧ .

(٣٦) نفسه .

(٣٧) ينظر : بحار الانوار : ١٠/١٢ .

(٣٨) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد علي : ١٧/٣٦ .

(٣٩) بحار الانوار : ٢/٣١٩ .

(٤٠) نفسه .

(٤١) الاسراء / ٨٨ .

(٤٢) بحار الانوار : ٢/٣١٩ .

(٤٣) بحار الانوار : ٨٨/١١ .

(٤٤) بحار الانوار : ١٠/١٢ .

(٤٥) ينظر : بحار الانوار : ١٠/١٢ .

(٤٦) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور (وسم) ١ : ١٢ /٦٣٥ .

(٤٧) ينظر : بحار الانوار : ١٠ /١٤ .

(٤٨) شرح دعاء الندبة / للسيد صدر الدين الطبطبائي : ١ / ١٢ .

(٤٩) البقرة / ٦١ .

(٥٠) ليس المراد من قوله (ع) اثبات اليد الجارحة لله تبارك وتعالى ، وإنما هي اشارة الى قدرة الله وعظيم صنعه كما يبدو .

(٥١) بحار الأنوار : ١٠ /١٣ .

التوجيه الدلالي لآيات الطلاق

د. عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة

شرع الله تعالى النكاح في القرآن الكريم بمعنى العقد في آيات كثيرة وهو دليل على كونه حقيقة فيه شرعاً ولان من دأب القرآن التعبير عنه بالملامسة والمقاربة والتغشي والمماسة والاتيان والدخول والكل كناية لم يرد لفظ النكاح فيه بمعنى الوطئ ولكن اصل النكاح في كلام العرب الوطئ وقيل للتزوج لانه سبب الوطئ المباح. ولما كان لفظ النكاح يحتمل معنيين وكلاهما يعني إحكام القيد على الزوجة بالزوجية فقد ناسب هذا القيد لفظ الطلاق الذي يعني الانطلاق والارسال وعليه فإنّ لفظ الطلاق جاء من قبيل التخصيص لا النقد في الاصول ومن آيات الطلاق ما خص بطلاق الخلع الذي يّعرف بأنه افتداء الزوجة ارتباطها بالمال ، وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

في هاتين الآيتين المباركتين أمور تتعلق بالطلاق وأحكامه وأنواعه وما يترتّب عليه من مسائل المهر والصداق فضلاً عن حصر إنهاء العقد والزواج بيد الرجل ، وانتقاله استثناءً إلى الزوجة ، وهو خلاف الاصل والقواعد ، الشرعية المعتبرة ، وإباحة ذلك لها وعدم ارتكابهما الإثم والمعصية . وعليه فأنّي استطلع فيها أمرين مهمين هما

الأمر الأول :

جواز مراجعة الزوجة فقوله تعالى (الطلاق مرتان) ، محدِّد لعدد مرات الطلاق ، وان سبب نزول هذه الآية يبيّن لنا الأسباب المؤدية لهذا التحديد ، فقد (روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتت فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها يُضارها بذلك ، وكان الرجل في الجاهلية إذا طلّق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة ، لم يكن للطلاق عندهم حد ، فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾)[2] .فعملية التحديد بالمرتين هو لدرء الضرر

الذي يصيب المرأة المطلّقة وإعطائها الحرية في اختيار ما يناسب حياتها من نحو الزوج وغيره . فضلاً عن إلغاء مفهوم الجاهلية في المراجعة ألف مرة ، الذي يجعل من المرأة لا حياة لها وأنها تابع ذليل لا يقدر على عمل

الخير حتى لنفسها فضلاً عن غيرها ، وهذا مما يعمل على هدم الأسرة ، فقيّد هذا التحديد حرية الرجل ومنحها إلى المرأة لتجد نفسها وحياتها .

والمغزى الذي يهدف إليه الإسلام من ذلك ، هدم الأعراف الجاهلية المبنية على إلغاء حق النوع الآخر وهو (النساء) ، لان الإسلام قد جعل للمرآة نصيباً كما للرجل نصيب فقال تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ... وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾[٣] من غير تجاوز على حقوقها و حرمتها .

ومما يستدل من هذه الآية كذلك أن وقوع الطلاق مرتين لا يكون في مجلس واحد بل لو كان في مجلس واحد لقدّم العدد على المعدود وقال (مرتان الطلاق) أي أن يلفظ الرجل (أنت طالق ، أنت طالق) أو نحوه ، فيكون قد وقع الطلاق مرتين ، وكذلك في طلاق الثلاث ، غير أن تقديم المعدود على العدد أوجب وقوع الطلاق الأول ثم الرجوع عنه بعد مدة ومن ثم وقوع الطلاق الثاني والرجوع عنه بعد مدة أخرى ، فيكون قد وقع

الطلاق مرتين. لذا فان طلاق الاثنين وطلاق الثلاث في مجلس واحد يعدُّ طلقة واحدة فقط ، على وفق نظم هذه الآية ، وهو رأي الأمامية والحنفية ، قال المقداد السيوري في معرض حديثه عن الآية المباركة : (وقال أصحابنا الحنفية : المراد التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق كقوله تعالى ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[٤] أي كرّة بعد كرّة ومثله لبيك وسعديك ،

ولذلك قالوا : الجمع بين الطلقتين أو الثلاث بدعة ، واحتج أصحابنا بعد أخبارهم التي رووها عن أهل البيت (عليهم السلام))[٥] .وقوله تعالى :﴿ فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ﴾ عطف على قوله ﴿الطلاق مرتان﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب ، وإنما جاء العطف بها لإفادة (وقوع حكم ما بعدها عقيب حكم ما قبلها بلا مهلة عرفية وتراخٍ عادٍ)[٦] ،

ونستدل منها أن الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان يقع عقيب الطلاق

الثاني مباشرةً وبأقل زمن أي أثناء عِدّة المطلقة ، وهذه العدّة تعدُّ مهلة عرفية ، فناسب مجيء الفاء مع وقوع الحكمين ، وان استعمالها كذلك يُفيد تقصير المدة ، ولو أراد التطويل لجاء بالأداة (ثم)[٧] ، وبما أن المقام في الآية مقام تقصير فأحسن فيها مجيء الفاء .إن المغزى من الإتيان بالفاء المفيدة للعطف الثاني على الأول ، هو لفضّ النزاع ودرء المشاكل التي تواجه الرجل والمرأة ، وكذلك أهليهما من بعد لأجل صيانة المجتمع وحفظه من المشاكل بأسرع وقت ممكن ، لان بقاء المشاكل عالقة مدعاة لتطورها وتشعّبها مما يدخل المجتمع في حالة من صراعات ، وهذا عمل فيه مزيدٌ من احترام النفس والمجتمع ، والانشغال بما هو مفيد .ثم جاء بـ(أو) ليضع المخاطبين من الرجال أمام خيارين ليختاروا واحداً منها ، أما الإمساك بمعروف من حسن المعاشرة وإعطاء النفقة وغيرها وهو الزواج الرجعي ، أو تسريح المرأة وإعطائها حريتها لتختار من يناسبها ولتعيش بأمان وطمأنينة ، وهو الطلاق .

غير أن (أو) ترشدنا إلى أمر مهم ، هو أنها لا تأتي إلاّ بعد أمر أو طلب لأجل أن تكون تخييرية ، إذ إنَّ معنى التخيير (ترك المخاطب حرجاً يختار احد المتعاطفين فقط ويقتصر عليه دون أن يجمع بينهما لوجود سبب يمنع الجمع)[٨] ، ففي الآية الكريمة لا يجوز عقلاً أن يُرجع المطلقة ، ويطلقها في آن واحد ، فهنا يجب اختيار أحد الأمرين . وكذلك يدلّ استعمال (أو) المشروط عملها بأن يسبقها أمرٌ وطلب ، فيكون قوله (الطلاق مرتان) بموضع الوجوب أو الأمر ، ثم لو كان خبراً لاحتمل الصدق والكذب في ذلك ، وهذا مما لا يكون في كتاب الله ، لأنه كله صدق ولا وجود للكذب فيه البتة . أما دلالة قوله(فإمساك بمعروف) يقول المقداد السيوري : (أي على وجه سائغ ، وهو كناية عن ردّها إلى النكاح إمّا بالرجعة ، إن كانت العدة باقية ، أو باستئناف العقد إن انقضت)[٩]وأما قوله (تسريح بإحسان) فقد (اختلف في معنى التسريح ، فقيل : هي الطلقة الثالثة لما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن المراد من التطليق الرجعي اثنان ،

فعندما سُئِل عن الثالثة قال (صلى الله عليه وآله) : ((أو تسريح بإحسان))(

[10]) وقيل أيضاً هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة ، وهو المروي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ، وهو الأصح لان الطلاق لايقع بالكناية بل بالتصريح ، وهو رأي الأمامية من الشيعة[11] ، وعند طلاق الزوجة لا يؤخذ من مهرها شيء ، بدليل قوله سبحانه ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾[12] وقال (مما) أي من ما ، فجاءت (من) تبعيضية و(ما) اسم موصول ، وهي من صيغ العموم ، فأفادت عموم المهر سواء كان أموالاً ونقداً أم أرضاً أو عقاراً أم غير ذلك ، ولذلك جيء بلفظة (شيء) وهي نكرة في سياق النفي لتفيد العموم كذلك ، ولو جاءت معرفة لخصّص ذلك الشيء بأحد مذكورات المهر ، فناسب مجيئها ما سبق من العموم ، فتوجيه النص هو عدم حليّة اخذ أي جزء من هذه الأشياء من المطلّقة ، ومما يزيد من حرمة أخذ المهر من المطلقة ، مجيء الفعل (أخذ) متعدياً إلى مفعوله حرف الجر فقال (لا تأخذوا مما أتيتموهن) ، ليؤكد عدم حلّية أخذ الجزء من المهر وهذا يوحي إلى عدم اخذ كل المهر ، لان حرمة اخذ الجزء منه تدلّ على حرمة أخذ كله ، وهذا أبلغ في التعبير ، ولو أراد عدم حلية أخذ الكل لعدى الفعل (أخذ) بنفسه ، قال (لا تأخذوا ما أتيتموهن) فيكون الأخذ لكل المهر على وجه الإطلاق ، وهو غير مطلوب الآية المباركة . ثم نبّه تعالى على أمر مهم عندما عدل عن أسلوب الخطاب (و لايحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا) إلى أسلوب الغيبة عندما قال ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ليلفت الأنظار إلى أمر مهم آخر ، وهو افتداء الزوجة بالمال (الخلع) .

وفي هذا تنشيط للسمع واستمالة في الإصغاء إلى ما يقول بعد الكلام الأول[13] لأهميته ، وهو ما يمثل الأمر الثاني ، وهذا إنما يدلّ على أن الخطاب لأولي الأمر أوالحكام القائمين على تطبيق الشريعة لا إلى الأزواج كما ذهب بعضهم إلى ذلك ، لأن أولي الأمر أعرف بحدود الله من عامة الناس وأولى من غيرهم في ضرورة تطبيقها على الناس كافة .

والفعل (تاخذ) في قوله ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا

آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾لم يأتِ على أصل معناه

المعجمي بمعنى التناول[١٤] ، فقد تعدّى بـ (من) إلى مفعوله فاتخذ له معنًى مجازياً بمعنى المنع[١٥] ، وهذا المعنى ناسب دلالة الفعل (أتى) في قوله (أتيتموهن) الذي جاء بمعنى الإعطاء[١٦] ، فيكون المعنى أن لا تمنعوا أي شيء من مهور النساء المطلّقات الذي أعطي لهن وفق العقد بين الزوجين وان الذي ينظم عقد الزواج والطلاق هو الذي يحدّد متى يمنع المهر ومتى يعطيه وفق الشريعة عند الترافع عليه ، وهو ولي الأمر والحاكم بأمر الله تعالى .

وكذلك لو جاء الفعل (أخذ) على أصل معناه (تناول) الذي على صيغة (فاعل) الدالة على المشاركة بين اثنين من نحو (وتناولت من يده شيئاً إذا تعاطيته وناولته الشيء فتناوله)[١٧] ، فيكون بمعنى الأخذ على أصل معناه

بين اثنين وهما الزوج والزوجة .

إذن توجيه النص المبارك لا يكون لمخاطبة الأزواج ، ومما يعزز هذا أيضاً ما جاء بعده من الاستثناء في قوله (وان خفتم) أي إن علمتم يا ولاة الأمر والحكام من أن لا يقيما - أي الزوجين – حدود الله.

فلا وجه لقبول كلا الاحتمالين كما ذهب إليه الزمخشري[١٨] . والله اعلم .

الأمر الثاني : - جواز افتداء الزوجة بالمال (الخُلع) :-

عند تدبّر قوله تعالى﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾نجد ان نفي الجناح هنا قد نُصَّ عليه باستعمال (لا) النافية للجنس التي تفيد نفي العموم بالتنصيص

؛ مع وجود محدِّد لهذا النفي وهو افتداء الزوجة بمهرها لأجل طلاقها ، ومحدِّد آخر يشمل هذين يقع عليهم النفي وهما الزوجان، بدلالة قوله(عليهما) – أي الزوج والزوجة- .

إن الخلع هو طلاق لا محالة , وليس بفسخ، لان الفسخ هو نقض العقد والمعاملة ، وان نقض العقد بيد الزوج ، لأنه صاحب العصمة في ذلك ، وقد اتفقت الشيعة الأمامية على كون الخُلع طلاقاً وليس بفسخ[١٩] ، وهو مذهب السيد المرتضى[٢٠] ، ومالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والاوزاعي والشافعي في الجديد ،

على انه طلاق بائن[٢١] ، وهو كذلك عند الإمام الصادق(u) ، والشيخ الطوسي[٢٢] ، وصاحب الجواهر[٢٣].

في حين ذهب آخرون إلى انه فسخٌ لا طلاق ، منهم ابن عباس ، وعثمان بن عفان، وهو قول طاوس وعكرمة ويقول به احمد بن حنبل ، وهو مذهب الشافعي في القديم[٢٤] ، وتجد أسباب كل فريق وأدلتهم في مظانها .

والأوْلى أن يكون الخُلع طلاقاً (لقول الإمام الصادق (u) : (خلعها طلاقها، وقوله في رواية ثانية : إذا خلع الرجل امرأته فهي واحدة بائن)[٢٥] ، وهو المروي أيضاً عن الإمام موسى الكاظم بن الإمام الصادق (عليهما السلام)[٢٦] .

أما دليلنا في ذلك هو ان السياق العام للآية يدل على أن الخلع طلاق وذلك أن صدر الآية المباركة كان حديثاً عن أمر الطلاق بشكل عام ، وحرم أخذ المهر من المطلقة ، واستثنى نوعاً خاصاً منه ما كان شأنه بانتقال حق إنهاء العقد إلى الزوجة مقابل

دفع المهر أو مع الزيادة ، فرفع بذلك الحرج عن الزوج والزوجة لضرورة يحتّمها الموقف ، من باب النهي عن المنكر ، لأن المرأة الكارهة لزوجها وغير المطيعة له يدخلها هذا السلوك في المحرم ، فقبول هذه الطريقة في إنهاء العقد يرفع عن الزوجة الإثم، بالافتداء بالمال للزوج مقابل تنازله عن حقه الشرعي في انهاء العقد .

أما قيمة الافتداء من المال فهو محل

خلاف ، فمنهم من ذهب إلى أن المرأة تبذل كل صداقها أو غيره أو الصداق مع غيره ليخلعها او يطلقها ، والحقيقة أن كل هذه الاحتمالات قائمة .

فإذا عاد الضمير في (به) على (ما) الموصولة في قوله (فيما افتدت به) ، فان الافتداء سيحتمل كل هذه الاحتمالات ، لان (ما) اسم موصول (يفيد العموم) فقيمته تكون محل اتفاق بين الزوجين ، فقد يكون اقل من مهرها أو مثله أو مع زيادة ، هو مذهب جمهور المسلمين إما إذا عاد الضمير إلى ما الموصولة في (لا تأخذوا مما أتيتموهن) الآية ، فان (ما) هنا يعني بها الصداق فيكون الافتداء بمقدار المهر .

أما في قراءة الربيع بن أنس (ولا جناح عليهما فيما افتدت به منه) فان الضمير الهاء في (منه) إذا عاد على الزوج فيكون لا جناح عليها فيما افتدت به من زوجها ، فحكم الافتداء يحتمل الوجوه الثلاثة .

أما إذا عاد الضمير إلى الصداق ، في (ما أتيتموهن) وهو المهر فانه يكون اقل منه ، لان الضمير مسبوق بـ(من) التبعيضية .

فالذين قالوا بعموم صداقها وبأكثر منه ، وبكل مالها ، عمر وعثمان وابن عباس ومجاهد وعكرمة والنخعي والحسن وقبيصة بن ذؤيب ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور ، وقضى بذلك عمر ، والذين قالوا بالصداق وحده من غير زيادة قاله : علي وطاوس وعمر بن شعيب وعطاء والزهري وابن المسيب والشعبي والحسن والحكم وحماد واحمد وإسحاق وابن الربيع ، وحكي ان أبا حنيفة قال ببعض صداقها ولا يجوز بجميعه إذا دخل بها حتى يبقى منه بقية ليكون بدلاً عن استمتاعه بها[٢٧] ولعل وقوع الإباحة على الصداق في الافتداء هو لتنازل

الزوج عن حقه الشرعي في العصمة إلى زوجته ، وكراهتها له وحبه لها .

أما نفي الجناح ففيه إباحة محضة ،

وليس تخييرية ، وذلك لأن نقض عقد الزواج من المرأة الكارهة لزوجها والعاصية له ، ربما يدخل المرأة بسبب ذلك في المحرم ، فإباحة ذلك لهاكان نهياً عن المنكر ولا خيار لها غير ذلك .

وكذلك سيكون نفي الجناح عنهما سوية ، إذ لا جناح عليها فيما بذلت

من المال لزوجها ، ولا جُناح عليه فيما أخذ ، وذكر (عليها) لأجل درء اللبس وإزالة الإبهام في أن المرأة وقعت في المعصية .

وبعد هذا التفصيل في شأن الطلاق الرجعي وطلاق الخلع وإتمام ما يُراد من كل ذلك قال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٨] ثم يفصل ما أجمل في الآية السابقة فيقول : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[٢٩] ، فاستعمل الفاء العاطفة في (فان طلقها) ، لإفادة

تفصيل ما أجمل من الطلاق المخصوص بـ(تسريح بإحسان) الذي من مستثنياته طلاق الخلع ، إذ (الفاء تعطف المفصل على المجمل وتسمى تفصيلية إيذاناً بأن حق التفصيل من حيث هو تفصيل ترتّبه على الإجمال وتأخرّه عنه أو لتأخره عنه في الذكر)[٣٠] , لان ما جاء قبلها لم يوضّح حكم ما بعد الطلاق بأنواعه وما يؤول إليه حال المطلقة ، بل ذكر ما يتعلق

بالحقوق المالية اتجاه الزوج والزوجة فقط ، أما ما يؤول إليه حال المطلقة

بعد التطليقة الثانية فلم يوضح ذلك.

لذا جاء قوله سبحانه ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ

فأعطى حكم لما أجمل قبلها فهذا تفصيل وترتيب على الاجمال وإن تأخَّر عنه في الذكر ، وهي من نحو قولنا : (توضَّأ فغسلَ وجهه وذراعيه ومسح رأسه وقدميه)[٣١] ، فالوضوء إجمال ، أما غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والقدمين فهي مكونات الوضوء ، فاستعمل الفاء لأجل تفصيل ما أجمل من الوضوء بها لذا لا تعد (فان طلقها ... الآية) تطليقة ثالثة ، بل هي مفصلة للتطليقة الثالثة ومشيرة لها وهي (تسريح بإحسان) وما يتعلق

بها من الطلاق العادي او طلاق الخلع .

أما قوله سبحانه ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، فقد اسند فعل النكاح إلى الزوجة ، ولم يسنده إلى الزوج ، وذلك لان الزوجة هي محور الحدث في النص المبارك في حين أن الزوج الثاني جاء طارئاً على مجمل القضية وكذلك يومىء هذا الإسناد إلى أنّ الزوجة - محور المسألة – معنية بأمور أكثر من الزوج ، فهنا ينبغي أن تكون راضية بهذا الزواج وغير مكرهة عليه ، ولو كان هناك إكراه مهما كان قليلاً فلا يصح أن يسند اليها فعل النكاح ، لذا جاءت السنة النبوية الشريفة مؤيدة لهذا الاتجاه فقضى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بوجوب أن تذوق المرأة عسيلة الرجل ويذوق عسيلتها[٣٢] ، وان تكون له مطيعة ومحبة ، فذاك من حسن التبعل .والنكاح ههنا لا يعني الوطء لانه لا يسند الى المرأة بل إلى الرجل كالوطء[٣٣]

بيد أنه لو قال (حتى ينكحها زوجٌ غيره) لاختلفت الدلالة ، فهنا قد تكون المرأة كارهة لهذا الزواج وغير راغبة فيه ،

فيبطل عقد الزواج .

ثم ان الله تعالى قد خصّ هذا بالنكاح ، ولم يقل (تتزوج) ، ذلك ان النكاح يقترن العقد فيه بالوطء ، وهو الاصل في كلام العرب في حين أن التزوج سببٌ للوطء[٣٤] .

وذكر تعالى لفظة (زوجاً) ولم يقل (بعلاً) إذ إن البعل هو الرجل القوي على النكاح ، في حين أن لفظة الزوج أعم وقد جيء بها على سبيل الاتساع .

فقد يكون الزوج قويّ النكاح أو ضعيفه أو صبياً أو مراهقاً ، أو غير ذلك بشرط الوطء ، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري والاوزاعي وقول بعض

أصحاب مالك وغيرهم[٣٥] .

فضلاً عن ذلك يدلنا لفظة (زوجاً) إلى إمكان دوام هذا الزواج فلا يكون زواجا محلّلا ، بل يكون بنيّة الدوام والبقاء ، لأنه علاقة شرعية تدل على قوة ارتباط بين الزوجين ،وهو من أمر الدين توارد ذكره في مواطن إثبات صحة العلاقة الزوجية[٣٦] .

ولو أراد أن يكون هذا الزواج بنية التحليل للزوج الأول فقط لجاء بصيغة (فإذا طلقها فلا تحل ...) لا

أن تأتي (فان طلقها...الآية) لان (إنْ) الشرطية هذه تأتي للمبهم والمجوز وقوعه وعدم وقوعه أو للمحقق المبهم زمان وقوعه[٣٧] ، فأبعد بذلك كون هذا الزواج للحلية فقط ، ولو أراده كذلك لاستعمل (إذا طلقها) ، لان (إذا) إنما تأتي للمحقق الوقوع[٣٨] ، وهذا غير مراد الآية . فضلاً عن ذلك نجد في (إنْ) معنى التوكيد ، لذلك الإبهام ، الذي يزيد من فرص دوام الزواج الثاني وعدم استعماله لأغراض الحلية . أما قوله سبحانه ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾، فالضمير في (طلقها) يعود على الزوج الثاني ، أي إن طلقها الزوج الثاني ، أما الضمير في (يتراجعا) ، فعوده يحتمل وجهين : الأول / أن يعود الضمير على الزوج الثاني والزوجة ، وفي هذه الحالة يمكن رجوع الزوج الثاني لمطلقته أثناء العدة، وهو جائز لأنها في العدة ولا وجود لمانع شرعيّ يمنعهما من الرجوع إلى بعضهما ، لأنه ينزل بمنزلة الزوج الأول ، ويكون ذلك دفعاً لما يتبادر إليه الذهن من انه إذا طلقها الثاني حلّت للأول وبكونها حلّت له اختصت به[٣٩] .

الثاني / أن يعود الضمير إلى الزوج الأول والزوجة ومشروعية زواجهما بعد نكاح زوج غيره ، بشروط الزواج العامة . فتعدد الاحتمالات والوجوه بسبب من عود الضمير قد وسّع من دلالة النص ، وأسس لمشروعية حالات من زواج كانت محل ابتلاء المسلمين ، بسبب من المنع أو الحرمة وعليه فان نفي الجُناح قد أسس لمشروعية الاستثناء لمنع عام في قوله سبحانه : ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ ﴾، وإمكان رجوع الزوج الثاني للزوجة أثناء العدة بعد استكمال شروط التراجع . أما قوله ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾، ولم يقل (إن علما) ، لان العلم يفيد اليقين , وهما لا يعلمان ما ستؤول

إليه الأمور في غدهم ، لكن الذي يُعنى بهذا الظن ليس اليقين على سبيل القطع ، وإنما هو المتوفّر من المشتركات بينهما بعدما خبرا الحياة وذاقا طعم الفراق ورغبتهما في العيش ضمن أسرة متماسكة كريمة ، فالقبول بهذه المشتركات والابتعاد عمّا يفرقهما ، هو الظن منهما بإقامة حدود الله في حسن المعاشرة وطيب الإقامة .

إذن نفي الجناح فصّل لنا فهماً ، برفع توهّم حرمة نكاح الزوجة بعد التطليقة الثالثة ، فضلاً عن حلية رجوع الزوج الثاني لها في عدتها ، فأسس بذلك لجواز عام.

١- سورة البقرة / الآيتان ٢٢٩-٢٣٠

٢- مجمع البيان / الطبرسي : ١٣/ ٣٢٩ ، الكشاف / الزمخشري : ١/ ٣٠٢ ، البحر المحيط / ابو حيان : ٢/ ٣٠٦

١- سورة النساء / الآية ٧

٢- سورة الملك / الآية ٥

٣- كنز العرفان / السيوري : ٥٩٠ ، ظ : التبيان / الطوسي : ٢/ ٢٤٨

٤- الفرائد البهية / ابن معصوم : ٥٧٢ ، ظ :

١- ظ : معاني النحو / د.فاضل السامرائي : ٣/ ٢٠٤

٢- النحو الوافي / د.عباس حسن : ٣/ ٤٣٣

١- كنز العرفان / السيوري : ٥٩١

٢- ظ : كنز العرفان / السيوري : ٥٩٠ ، مجمع البيان / الطبرسي : ٣٢٩

، الكشاف / الزمخشري : ١/٣٠١ ، التبيان / الطوسي : ٢/٢٤٤

٣- ظ : م . ن : ٥٩٠ ، التبيان / الطوسي : ٢/٢٤٤

٤- سورة البقرة / الآية ٢٢٩

١- ظ : الطراز / العلوي اليمني : ٢٦٦

٢- ظ : لسان العرب / ابن منظور : ١/٨٤ – أخذ ، الطراز الاول / ابن معصوم : ٦/٣٦٥- أخذ

٣- ظ : م . ن : ١/٨٤ - أخذ

٤- ظ : م . ن : ١/٦٧ - أتى

٥- ظ: م ، ن : ١٤/٣٣٥ - نول

١- ظ : الكشاف / الزمخشري : ١/٣٠٢ ، البحر المحيط / ابو حيان : ٢/٣١٧ ، مجمع البيان / الطبرسي : ١٣/٣٢٩

٢- ظ : فقه الامام جعفر الصادق / محمد جواد مغنيه : ٦/١٧

٣- ظ : مسالك الافهام / الشهيد الثاني : ٩/٣٦٦

٤- ظ : تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ١/٢٧٥

٥- فقه الامام جعفر الصادق / مجمد جواد مغنية : ٦/١٧

٦- ظ : مختلف الشيعة / العلامة الحلي : ٧/٣٩٤

٧- ظ : تفسير القرآن العظيم / ابن قتيبة : ١/٢٧٥

١- فقه الإمام جعفر الصادق / محمد جواد مغنية : ٦/١٧

٢- م . ن

١- ظ : البحر المحيط / ابو حيان : ٢/٣١٨

٢- سورة البقرة / الآية ٢٢٩

٣- سورة البقرة / الآية ٢٣٠

١- الفرائد البهية / ابن معصوم المدني : ٥٧٣

٢- م . ن

١- ظ : الكشاف / الزمخشري : ١/٣٠٣ ، مجمع البيان / الطبرسي : ١ / ٣٠٣

٢ - ظ : الطراز الأول / ابن معصوم المدني : ٥/٨٠ - نكح

٣- ظ : لسان العرب / ابن منظور: ١٤/٢٧٨-٢٩٧ – نكح ، البحر المحيط

/ ابو حيان : ٢/٣٢٠

٤- ظ : البحر المحيط / ابو حيان : ٢/٣٢١

٥- ظ : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني / د. محمد الدوري : ٩٧

٦- ظ : البحر المحيط / ابو حيان : ٢/٣٢٢

٧- ظ : م . ن

١- ظ : البحر المحيط / ابو حيان : ٢/٣٢٢

الطرائق والأساليب الإعلامية في القرآن لإيصال المعلومة إلى الآخرين

(ج٢)

الشيخ ضياء بلاسم المنصوري
قم المقدسة

من عظمة القرآن الكريم أنه تبيان لكل شيء، وأنه بيان للناس، وأنه يجعل العقاب فرعاً لبيان ما لا يعذر به العبد من العقوبة الإلهية، ومن بيانه أنه يضع نظرية إعلامية واضحة المعالم والأسس، والإعلام هو البيان والإخبار للناس، بل القرآن نفسه يُعدّ من أكبر الوسائل الإعلامية التي مارسها رسول الله ' في الدعوة إلى الله سبحانه وإعلام الناس بمضامين الدين الإسلامي ،قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ وينقل القرآن لنا صوراً إعلامية متراكمة شكلت نظرية إعلامية إسلامية تفوق سائر النظريات الإعلامية بمميزاتها وأهدافها وقوة تخطيطها. فهو ينقل لنا صورة إعلامية منذ بدء الخليقة وذلك عندما قتل قابيل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً ، ولم يكن يعرف كيف يواري جسد أخيه القتيل، فبعث الله سبحانه غراباً يعلمه الطريقة التي يجب أن تتخذ تجاه أخيه، قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾(١).

ولا يبعد أن فكرة الحمام الزاجل مستوحاة من هذه الصورة الإعلامية القرآنية .

فإذا كان علم الإعلام اليوم قد طورته أيدي الحاجة الملحة والضرورة البشرية، فإن القرآن قد سبق أصحاب النظريات الإعلامية في تأكيد أهميتها وضرورتهما في عملية الإتصال، والتقدم العلمي والمعرفي والحضاري وإن لم يرد اسم الإعلام في نصوصه إلا أنه ورد ما يدل عليه، فقد أكد القرآن أهمية الكلمة إذْ إن الإعلام يعتمد الكلمة في منطلقاته وبها يخاطب العقول والقلوب، والكلمة هي الوسيلة المعربة عما نريد قوله وإيصاله للتفاهم مع أبناء نوعنا، ومن خلالها يتم الإتصال والتواصل ولولاها لكانت عملية الاتصال بمنتهى الصعوبة والحراجة ولما استطاع الإنسان أن يوغل في التطورات في مجال نقل المعلومات.

وبيان الأساليب والطرق الإعلامية استيحاءً من آيات القرآن الكريم يؤكد اهتمام القرآن بهذا الحقل الحيوي والذي يشكل أحد أهم معالم الحياة المعاصرة،والمقوم لجميع العلوم في نشر مضامينها، وهذا ما يدعونا إلى التأكيد على استثارة النصوص

القرآنية لبيان الأساليب والطرق الإعلامية ليتسنى لرجال الإعلام والمبلغين والدعاة إتباع هذه الأساليب في نشر المعارف الدينية وكل ما يخدم البشرية.

وعطفاً لما سبق بيانه من الأساليب والطرق الإعلامية في القرآن أوردنا جملة منها في هذه الحلقة استكمالاً وإتماماً لها، وهي كمايأتي:

الأسلوب التاسع: السخرية والاستهزاء

السخرية والاستهزاء بمعنى واحد وهو: (ذكر ما يُستحقر ويُستهان به الإنسان بقول أو أشارة أو فعل تقليداً بحيث يضحك منه بالطبع) (٢).

ومن المواجهات الإعلامية التي طالت الأنبياء والرسل السخرية والاستهزاء، إذْ مورست من قبل الكفار ، والمشركين ، والمنافقين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى قولاً وفعلاً وإشارة وفي جميع الحالات، كلما مروا بالنبيﷺ، وكلما رأوه، وكلما رأوا آية، وكلما يأتي رسول، وكلما خلو بشياطينهم.

إن أول نبي نقل لنا القرآن سخرية قومه واستهزاءهم به حقبة طويلة من عمره الشريف هو النبي نوح عليه السلام، فكان يواجه بالاستخفاف من قبل قومه، ولا شك انه أسلوب خبيث ومؤلم للأنبياء والصالحين وتجرأ على ذواتهم الطاهرة وشخصياتهم العظيمة، إلا أنهم كانوا يسلّون أنفسهم بالصبر وبما أعدّ الله لهم يوم القيامة، وما ادخره من العذاب المهين للمستهزئين، قال تعالى:﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٣).

وسخرية نوح عليه السلام منهم ليست كسخريتهم التي اعتمدت على قول الباطل، وإنّما المراد منها سخرية ما يؤول إليه مصيرهم نتيجة الاستهزاء بالمرسلين بدليل الآية التي بعد الآية الآنفة الذكر، قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(٤).

قال تعالى حاكياً حال الأمم وسخريتها من جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٥).

لقد استهزئ بالرسل ﷺ السابقين واستمر خط المواجهة في السخرية حتى وصل إلى النبي الأكرم ، إذْ تعرض لشتى أنواع وصنوف السخرية حتى قال : (ما أوذي نبي مثل ما

أوذيت) (٦).

كما أن ظاهرة السخرية لم تقتصر على الأنبياء والرسل وإنما شملت أتباعهم المؤمنين بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (٧).

فالقرآن الكريم يعرض في الكثير من آياته موقف سخرية الكافرين والمشركين والمنافقين من دعوات الأنبياء والرسل ومن شخصياتهم ومن ربهم، وقد ذكرنا من هذا الكثير، معظمه هنا لتسليط الضوء على هذا الأسلوب الإعلامي للخصم تجاه المصلحين.

الأساليب الإعلامية القرآنية لمواجهة المستهزئين القرآن بما هو كتاب سماوي يعالج المشاكل المستعصية، ويقضي على الظواهر السيئة، ويغرس أصول الخير في الإنسان، وكان للقرآن الحضور القوي في مواجهة الترديات الاجتماعية والقضاء على الأساليب الملتوية التي تصد من انتشار دعوة الأنبياء ، لذا وقف القرآن بشموخ وسجل أروع النتائج في القضاء على

الأساليب الخبيثة التي جوُبه بها أنبياء الله تعالى من خلال بياناته وتعاليمه المتينة التي تحمل المضامين الرصينة والأساليب الإعلامية المؤثرة والمجدية في مسيرة خط الأنبياء في مواجهة التحديات التي هددت أمن حياتهم ومستقبل رسالاتهم عليهم السلام.

ومن الأساليب والمواقف الإعلامية التي مارسها القرآن الكريم أمام الاستهزاء والتي تضفي مشروعية على من عمل ومارس الأساليب والطرق ذاتها في مواجهة المستهزئين، هي:

أ- التبري وعدم موالاة المستهزئين

لقد نهى القرآن الكريم عن اتخاذ المستهزءين أولياء من دون المؤمنين، ويظهر القرآن هذا الموقف الصلب في تعاليمه في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ (٨).

وهذه الآية تعطينا بُعداً إعلامياً قرآنياً وهو: محاصرة المستهزءين اجتماعياً ودينياً وثقافياً والإعراض عنهم حتى يلجأوا إلى احترام الدين وأهله، فان مقاطعتهم يُعدّ ممارسة إعلامية دينية تدعوهم إلى موازنة أعمالهم العدائية وإعادة النظر فيها واتخاذ المواقف المتوازنة تجاه الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم. ولا يراد من مقاطعتهم ترك تقديم النصح لهم وتبليغ تعاليم السماء، قال تعالى: ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (٩)، وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾ (١٠). ب- بيان عاقبة استهزائهم

لقد قابل القرآن الكريم المستهزئين بشدة وصرامة وتوعدهم بالعذاب والانتقام لأنبياء الله تعالى وأتباعهم، وجعل من سننه التي لا تبديل لها تعذيب المستهزئين ونكالهم للحد من تكرار مواقف الاستهزاء والهزل بالشرائع السماوية و بالأمور التي تحدد مصير الإنسان وترسم مستقبل حياته الدنيوية والأخروية، قال تعالى مبيناً سنته في المستهزءين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥ ﴾ (١١).

ج- الاستهزاء بمصيرهم

من الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم هي: مقابلة السخرية بالسخرية والاستهزاء بالاستهزاء حين لا يفقه

المقابل إلا أسلوب الرد بالمثل، أو حين يظهر السكوت موقف الضعف والذل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾(١٢).

بمعنى أن الله يستهزىء منهم يوم القيامة لمصيرهم المخزي جراء استهزائهم بآيات الله تعالى ورسله عليهم السلام. وقال تعالى: ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ ﴾ (١٣).

فالذي يقلل من وزن الدين وقدره يُقابل بان لا يُقام له يوم القيامة وزن، والذي يستخف بآيات القرآن ويجعلها وراء ظهره منسية يُنسى يوم القيامة بما نسي آيات الله واتخذها هزواً.

وفي الوقت الذي يشدد القرآن النكير على المستهزئين ويقابلهم بالاستهزاء ويكثر من الازدراء بهم يحاول أن يمتص غضب وأذى الأنبياء والمؤمنين وأذاهم من الاستهزاء بهم وينتصر وينتقم لهم من أعدائهم، كما أن القرآن تكفل بعملية الاستهزاء بن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم لئلا ينتج من عملية المواجهة بالمثل آثاراً سلبية تجعل الأنبياء عليهم السلام في موقف حرج أو تقطع أواصر المعروف

وطرق الاتصال بهم عليهم السلام، ولكي يستمر الأنبياء عليهم السلام وأنصارهم في تبليغ الشريعة وبيان أوامر الله ونواهيه.

ومن خلال هذا البيان يشرع لكل من يتصدى لأمر المستهزئين بالدين وأهله إتباع هذا الأسلوب الحكيم مع ضرورة حسن استخدامه وجعله في رتبة متأخرة عن سائر الأساليب أو بعد استنفاذها، فإنه في الوقت الذي أباح الله تعالى الاستهزاء من سوء منقلب هؤلاء لا يجيز الاستهزاء بأشخاصهم أو التحقير بهم والانتقاص من شخصياتهم؛ لأن القرآن يترفع عن مثل هذه الأساليب الرخيصة، بالإضافة إلى عدم ملائمتها مع أخلاق الدين الإسلامي.

د – الصبر والصلابة

لقد سلك القرآن أسلوب التثبيت للانبياء عليهم السلام واعتماد الصبر في مواجهة المستهزئين، فان الصبر دواء لنفوس المؤمنين وعذاب للمستهزئين، إذْ يجعل الصبر مساعيهم أدراج الرياح، وكناطح الجبل ليوهنه، ومثل المؤمن في صبره وثباته كالجبل

الأشم لا يُستفلّ بالمعاول، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ (١٤)، ويأمر الله تعالى نبيه الأكرم ‘ بالصبر إزاء المستهزئين المكذبين: ﴿ ٱلرَّجِيمِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾(١٥).

لذا ينبغي على العاملين بالإعلام والصحافة التحلي بالصبر والثبات إزاء ما يلاقون من الاستهزاء بدينهم ومعتقدهم والتضييق عليهم ومحاصرتهم فكرياً، وثقافياً، واقتصادياً وإعلامياً لثنيهم عن ثباتهم والتنازل عن قيمهم.

هـ - تصنيف السخرية من الأخلاق الذميمة

الأخلاق هي قيم إنسانية قبل أن تكون دينية، ويشعر الإنسان بحسنها وقبحها وإن لم يكن مؤمناً ، من هنا استغل القرآن هذه الثوابت الفطرية الكامنة في نفوس جميع البشر لاستخدامها كأسلوب إعلامي مؤثر في ردع المستهزئين والساخرين، إذ نهى عن السخرية بالآخرين، ذلك أن الله أخفى أولياءه بين خلقه، فرب إنسان قد سخر منه وهو أفضل من الساخر، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [16]، وبتركيزه على الجانب الخلقي والإنساني والفطري سد القرآن باب السخرية بين المؤمنين وغيرهم أيضاً.

و – الاحتواء والمبادرة كثيراً ما اعتمد القرآن في أساليبه لمعالجة الظواهر المستعصية على إشاعة ثقافة الاحتواء والمبادرة لإصلاح الأمور، فلو قابل أنبياء الله تعالى أقوامهم المستهزئة بالإعراض عنهم وتركهم لأسرفوا في طغيانهم وتمادوا في غيهم وتوغلوا في الجهل، وهذا ينافي بعثة الأنبياء والرسل ﷺ، إذ بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فليس صحيحاً تركهم وإهمالهم وصرف النظر عنهم مطلقاً لاحتياجهم إلى من يستخلصهم من براثن الظلم ومستنقع الجهل، وان كانت هناك أوامر قرآنية بعدم مجالستهم وعدم توليهم فهي تختص في حالة تلبسهم بالاستهزاء ما داموا عليه، أو هو علاج مؤقت ومرحلي من أجل إبراز موقف الرفض والاستنكار لعملهم؛ لإثارة تأنيب الضمير في نفوسهم واستهجان مواقفهم.

قال تعالى: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ ﴾ [17].

ولذا يلزم القائمين بالإعلام إتباع أسلوب القرآن في احتواء المخالفين ومداراة الجاهلين واستخدام المرونة من أجل إيصال رسائلهم إلى جميع الطوائف المختلفة وأن يصنع من هذا الاختلاف جهة موحدة ويركز على المشتركات العامة والثوابت التي تجمع الأديان مع التعريف بامتيازات الرسالة الإسلامية كما كان رسول

الله‘ يجمع المسلمين تحت كلمة (لا إله إلا الله) على الرغم من علمه بوجود المنافقين والمتربصين به الدوائر فيهم، وذلك من أجل تقوية شوكة الإسلام واستثمار الطاقات لإعلاء كلمة الله وإن كانت بعض الجهود المبذولة غير مخلصة للإسلام إلا أن الرسول ‘كان يحرص على توظيفها لصالح المسلمين والإسلام، فقد روي:(عن زرارة عن احدهما’قال :قال رسول الله‘: لولا أني اكره أن يقال :أن محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم لضربت أعناق قوم كثير)(١٨). وتأسيساً على ما ذكرنا يستدل على مشروعية طريقة السخرية والاستهزاء كما أتي:

أولاً: إن الطريقة المذكورة هي طريقة قرآنية جاء بها القرآن وأمر النبي بإتباعها، ومن الثابت عصمة القرآن فلا يأمر بمرجوح أبداً، لأنه يمثل نظرية السماء ومعصوم من الزلل، فتكون الطريقة المذكورة مشروعة، بل راجحة بدليل القرآن الكريم.

ثانياً: أن سيرة النبي ‘ قامت باستخدام الأساليب القرآنية في مواجهة المستهزئين فقد أعلن ‘ براءته من المستهزئين لأنهم أعداء الدين الإسلامي وبيّن عاقبة أمرهم وسوء منقلبهم من خلال تلاوة الآيات القرآنية النازلة بشأنهم أو الأحاديث النبوية، كما أبدى تجلده وصبره أمام المستهزئين وقام باحتوائهم ونصحهم وإبداء شفقته عليهم وتألمه لما سيلاقونه من العذاب المهين ،وبسيرته يستدل على رجحان هذه الطريقة؛ لأنها ثاني أهم مصادر التشريع الإسلامي.

الأسلوب العاشر: التدريج في عرض المعلومة

من أنجح الطرق التي سلكها القرآن الكريم في إيصال المعلومة هو التدريج في نزول آياته في حقبة زمنية استمرت ثلاثاً وعشرين سنة مزوِّداً خلالها المجتمع الإسلامي بالمضامين والتعاليم الشرعية، والعقائدية، والروحية، والأخلاقية، والتربوية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، وغيرها.

والسر الذي يقف وراء هذا التدريج هو : أن يعقل الناس المعارف القرآنية، ويدركوا مضامين الآيات، وتتمركز في قلوبهم، ليسهل عليهم ممارستها وتطبيقها، لاسيما إذا أخذنا بنظر

الاعتبار بقايا رواسب الجاهلية في نفوس المجتمع فإن عملية التغيير تتطلب وقتاً طويلاً لإزالة هذه الرواسب من مختلف مجالات الحياة.

فالقرآن لاحظ في نزول آياته تدريجياً نفسية المجتمع وسبل التأثير فيه، وهو من أسرار نجاح الإعلامي في كيفية إيصال المعلومة، فلو أمرهم دفعة واحدة بجملة من الأوامر والنواهي لكلفهم بما لا يطيقون، وضرب جميع تقاليد المجتمع وعاداته مما يدفعهم إلى النفرة منه وعدم الاستجابة لتعاليمه، ولألغى بذلك أسباب نزول آياته المعالجة للحوادث وقت حدوثها ولجاء بيانه في غير موضع الحاجة إليه، وهذا يؤدي إلى وجود صِدام وتناقض بين آياته؛ إذ يأمر بالجهاد مثلاً وينهى عنه في آن واحد من دون تغير موضوع الحكم، أو تغير الشرائط والظروف قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ ﴾ (١٩).

فالتنزيل هو إنزاله تدريجياً على مكث من غير استعجال لتتمكّن آياته في القلوب وتستقر تعاليمه في العقول، ليبلغ الناس درجة الوعي والفهم لآياته المباركة، وقد سأل الكافرون النبي ‘ عن سبب عدم نزول القرآن دفعة واحدة ونُزّلت آياته تنزيلاً قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢٠).

وقد أجاب القرآن عن قولهم هذا ببيان كالآتي:

أولاً: أن القرآن الكريم له (ارتباط دقيق بعصره، أي ارتباط بـ (٢٣) سنة، هي عصر نبوة نبي الإسلام بكل ما كانت تتمخض به من حوادث وقضايا، لذا كيف يمكن لكتاب يتحدث عن حوادث (٢٣) سنة متزامناً لها أن ينزل في يوم واحد) (٢١).

ثانياً: أن القرآن كان يسلّي النبي ‘ ويثبّته في كثير من المواقف الحرجة و في ذلك متابعة للأحداث ومعالجتها آنياً، و (النزول التدريجي يعني الارتباط الدائمي للرسول ‘ مع مصدر الوحي، إلا أن النزول الدفعي يتم بمرحلة واحدة لا يتسنى للرسول ‘ الارتباط بمصدر الوحي لأكثر من مرة واحدة) (٢٢).

وبعد هذا البيان لطريقة التدريج تتضح مشروعية هذا العمل في إعلام الرسالة الإعلامية وإيصالها للناس ومراعاة مدركات المتلقين والتدرج في تزويدهم بالمعلومات

لتجد طريقها في الثبات في عقولهم وقلوبهم، والصبر على استجابة الناس للرسالة التي تلقى إليهم، فإن عملية التأثير والاستمالة قد تتطلب وقتاً طويلاً، ولذا على رجل الإعلام ضبط النفس وعدم الانفعال، وأن لا يتفوه بما يضرب المرتكزات العرفية والتقاليد بأسلوب قاسٍ وكلام جارح؛ فإن ذلك من شأنه أن يصنع الأعداء والنفرة منه، ولا يصنع الأصدقاء.

ويستدل على رجحان التدريج في العمل الإعلامي بدليلين:

الأول: القرآن الكريم نفسه إذْ استعمل الأسلوب ذاته بشكل واضح لا يحتمل التأويل كما مر بيانه آنفاً، كما يُستدل أيضاً بسيرة النبي الأكرم، ومن ذلك ما ورد عنه قوله: (إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) (٢٣) .

الثاني: سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذْ دلّ الكثير من الروايات على مراعاتهم قابلية المقابل وسعة إدراكه ومؤهلاته، فلا يلقون الأسرار التي لا يتحملها عامة الناس إلا للخواص، ومن ذلك ما ورد عن الإمام علي عليه السلام :(إن ههنا _وأشار إلى صدره_ لعلماً جماً لو أصبت له حملةً)(٢٤) .

وقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ليونس: (يَا يُونُسُ أَرْفُقْ بِهِمْ فَإِنَّ كَلَامَكَ يَدِقُّ عَلَيْهِمْ قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لِي زِنْدِيقٌ

قَالَ لِي مَا يَضُرُّكَ أَنْ تَكُونَ فِي يَدَيْكَ لُؤْلُؤَةٌ فَيَقُولَ لَكَ النَّاسُ هِيَ حَصَاةٌ وَمَا كَانَ يَنْفَعُكَ إِذَا كَانَ فِي يَدِكَ حَصَاةٌ فَيَقُولُ النَّاسُ هِيَ لُؤْلُؤَةٌ)(٢٥).

وغير ذلك الكثير مما ورد عنهم، وبهذه السيرة الثابتة والمتواترة يبرهن على رجحان طريقة التدريج.

استعملها الحادي عشر: الإعراض

الإعراض من الأساليب الإعلامية التي استخدمها خصوم الرسالات الإلهية لمواجهة أصحابها، ومارسها الأنبياءوأنصار الدين ضد خصومهم بأمر الله تعالى أيضاً.

والإعراض عن الشيء يعني: الضرب والصد عنه كما في صحاح اللغة، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ (٢٦).

وقد وردت لفظة الإعراض بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم اثنتين وخمسين مرة، وهذا يعني أن لأسلوب الإعراض مساحة إعلامية كبيرة في ثقافة القرآن، ودليل على حجم الصراع الذي دار بين الأنبياء وخصومهم.

ثم أنّ الإعراض عن شيء فرع وجود ذلك الشيء ليتحقق الإعراض عنه.

أما الخصوم فقد أعرضوا حسب ما جاء في آيات القرآن الكريم عن عدة أمور هي:

أ- القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢٧).

ب- يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢٨).

ج- الآيات الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢٩)، وتشمل الآيات هنا الآيات الكونية أو الآيات النازلة عن طريق الوحي.

د- حكم الله تعالى ورسوله ‘، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٣٠).

هـ- الحق ومن دعا إليه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ ﴾ (٣١)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٣٢).

كما أن عملية الإعراض مورست من قبل أنبياء الله تعالى بأمر منه سبحانه، وذلك بعد أن يتمّوا تبليغ الرسالة السماوية ويتمّوا الحجة البالغة عليهم، وبعد أن استيأس الرسل من قبولهم الحق والدين، أو يعرضوا كعلاج لمواقفهم من قبيل مقابلة الشيء بالمثل حسب ما يراه الرسول × صالحاً لدعوته، قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ

عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣٣)، وطاعة للأوامر الإلهية، فقد تم إعراض الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم عن أمور ذكرها القرآن الكريم، وهي دليل سيّال في كل عصر على إتباع هذا الأسلوب بمضامينه حسب تقديرات الحاجة ومقتضى الحال، وهي كالآتي:

أ- المشركون: قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (٣٤).

ب- الجاهلون: قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (٣٥).

ج- أهل الدنيا: قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣٦).

د- المنافقون: قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٣٧).

هـ- المخالفون لحرب أعداء الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ (٣٨).

و- الكافرون: قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾

قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣٩).

ز- الجدال في القضاء الإلهي: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾(٤٠).

وكل فئة من هؤلاء يتحدد الإعراض عنهم بحدود معينة، فالإعراض عمن أعرض عن حكم الله يتحدد بعدم معاقبتهم، والإعراض عن الجاهلين أن لا يقابلهم بالسفه صيانة لقدره ‘، وتبقى مساحة الوعظ والإرشاد من الأصناف المذكورة مفتوحة وقائمة، قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾(٤١).

وهكذا ينبغي على رجل الإعلام والصحافة تقدير هذه الأمور والعمل وفق الضوابط الشرعية التي بُيّنت في القرآن الكريم تجاه المعرضين، وهو يعتمد على دراسة الإعلامي للظروف ومعرفته بشرائط زمانه، ليحدد الأسلوب الملائم لمعالجة المشاكل التي تواجهه في إيصال المعلومة إلى الآخرين.

الأساليب الإعلامية في القرآن لمواجهة المعرضين

حاول القرآن أن يعالج مثل هذه الظواهر المستعصية التي أودت بحياة الأمم إلى الهلاك والدمار وأن يضع الحلول الناجعة والعلاج السليم للقضاء على هذه المواجهات الشرسة في عدة أساليب متنوعة أوضحها القرآن كمنهج قويم اختطه لأصحاب الرسالات ومن يقوم بدورهم الرسالي في كل عصر ومصر وتحت أي عنوان وبمختلف حجم المسؤوليات الملقاة على عواتقهم كان من أبرزها:

أ- إبطال التبريرات

قد تكون للمعرضين مجموعة من الأعذار والتبريرات التي يتشبثون بها لإعراضهم عن الحق وعدم الالتحاق بركب المؤمنين بأن يعتذروا بعدم وصول أقوال الأنبياء عليهم السلام إليهم، أو يعرض الشخص منهم بحجة أنه لا يعرف شيئاً عن حياة هذا الرسول ‘ ولا تاريخه. إذ يمكن أن لا يكون يمتلك سمعة جيدة وتاريخاً نظيفاً فالإعراض عنه أولى وأرجح.

أو يبرر إعراضه أن هذا الرسول ‘ شخصية غير متوازنة وغير سليم في تفكيره، إذ يعتريه الجنون، فالإعراض عنه يدعمه العقل والعرف والمنطق السليم.

أو يتحجج بإعراضه عن الرسول بأنه يبتغي أجراً مالياً إزاء تبليغه ودعوته، فيعرض عنه خشية من الضرر المالي والاقتصادي، إلى غير ذلك من الأعذار الواهية والتبريرات غير السليمة.

فالقرآن يواجه هذه الأعذار بالحجج الدامغة ويقطع ظنونهم باليقين على صحة ما يدعيه أنبياء الله تعالى ويدفع عنهم كل هذه الشبهات ويبين لهم خرافة ما يذهبون إليه وبطلان جميع مدعياتهم، كما يظهر ذلك في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٤٢).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٤٣).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (٤٤).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٤٥).

فقد أورد القرآن جميع أعذارهم وأبطلها وأبان كذبها وبيّن حقيقة إعراضهم، قال تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (٤٦).

ب- الإعراض المرحلي عنهم

سبق أن اشرنا إلى إعراض الأنبياء عليهم السلام ونؤكد ذلك هنا كأسلوب اتخذه القرآن الكريم لمواجهة خصوم الأنبياء عليهم السلام في قضية الإعراض، فبعد أن عرض القرآن الكريم صوراً من إعراضهم عن المرسلين عليهم السلام بيّن القرآن يأسه من إيمان المعرضين حين لم تعد تنفع معهم المواعظ والنذر والبلاغ، فاخذ يذكر علاجاً آخر للمعرضين وهو مقابلتهم بالمثل، قال تعالى لنبيه الأكرم ﷺ: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ (٤٧).

ج- بيان عاقبة إعراضهم

من أهم الأساليب التي مارسها القرآن للحد من ظاهرة الإعراض هو تخويف المعرضين من عواقب أعمالهم وسوء منقلبهم ليزرع في نفوسهم واعزاً ورادعاً من أفعالهم، فقد حذر القرآن من الإعراض ببيان نتائجه التالية:

١- المعيشة الضيقة: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (٤٨).

٢- العذاب: قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (٤٩).

٣- الصاعقة: قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

﴾ (٥٠).

٤- السيل العرم: قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ﴾(٥١).

٥- العمى يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٥٢).

ومن هنا يُشرّع للعامل في الإعلام والصحافة القيام بدور التذكير والتحذير، وأن لا يفقد الأمل من تحول المعرضين وتغيير مواقفهم تجاه أتباع الرسالات وأصحابها، يقول تعالى مبيناً هذا الواجب الرسالي: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾(٥٣).

ويمكن الاستدلال على رجحان ومشروعية الإعراض بالمعنى الذي أوضحناه بدليلين:

الأول: القرآن الكريم، فهو قبل كل شي أسلوب قرآني أمر به الأنبياء والمؤمنين تجاه المعرضين ومارسه ضدهم، فلو كان مرجوحاً لما أمر به ومارسه ، إذ القرآن معصوم من الزلل.

ثانياً: فعل وقول النبيؐ، وهو حجة وقد ثبت إعراض النبيؐ عن الطوائف المعرضة أعلاه، ولو لم يثبت هذا لكان النبيؐ عاصياً لله تعالى بما أمره وحاشاهؐ من التقصير والعصيان.

الأسلوب الثاني عشر: التأكيد والتكرار

من الأساليب الأدبية والإعلامية في القرآن الكريم هو أسلوب التأكيد والتكرار، أو التنويع في بيانات الآية المباركة، وأن من أشد ما يلحظ في مجال العمل الإعلامي هو الأساليب البيانية والأدبية والبلاغية، لان الإعلام الإسلامي يهدف إلى استمالة الناس وإقناعهم نحو الاتجاه الديني وربط الناس بخالقهم. والبلاغة والأدب اللغوي هو أداة الإعلام الإسلامي وسلاحه الذي يحقق له أهدافه المنشودة، وهذه الصلة بين البلاغة وبين الإعلام الإسلامي يستدل عليها من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحِيمِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٥٤)، فالذي يبغيه رجل الإعلام هو تغيير واقع مرفوض، أو فكر خطأ، أو تزويد المجتمع بفكرة ما، ونقطة البداية في عملية التغيير هي النفس الإنسانية، وتغيير النفوس يستوجب التعامل مع جميع ملكاتها وأبعادها الفكرية، والوجدانية، وعدم تجاهل هذه الجوانب، والكلام البليغ هو المؤهل للقيام بهذا الدور الكبير، لان الكلام البليغ هو الذي يبلغه المتكلم إلى سامعه بقصد التأثير في عقله ووجدانه.

ولذا يعتمد نجاح رجل الإعلام وفشله على مهارته وخبرته في تلك الأساليب التي يستعملها لإقناع الجماهير بقضية معينة، فعلية مخاطبة العقول وتحريك المشاعر والوصول إلى أعماق النفوس لاستمالتها والتأثير فيها.

من هنا كان القرآن هو معجزة في بلاغته وبيانه وفصاحته، وقد تحدى المجتمع آنذاك الذي عرف بالفصاحة والبلاغة، فكم من آية كانت تتلى على محافل المشركين فتأسر قلوبهم وتخطف أبصارهم وتؤثر في نفوسهم حتى أن أعينهم تفيض من الدمع، وكم من آية أدت إلى إسلام الكثير من الناس لقوة حجتها وبراعة سبكها ومتانة بيانها حتى عرفوا أن هذا ليس بكلام بشر .

وأن من أهم الأساليب البلاغية في الإعلام القرآني الذي يعد من اعجازاته هو أسلوب التأكيد والتكرار (ولا يكون التوكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره بعبارة واحدة ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفوس على أنه حقيقة ثابتة) (٥٥).

ويقول جوستاف ليبون (والأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق (اللاشعور) العميقة، إذْ تنضج عوامل سيرنا، ونحن إذ ننسى مصدر الزعم المكرر بعد انقضاء بعض الزمن، لا نلبث أن نؤمن به، وبهذا تفسر قوة الإعلام العجيبة) (٥٦). يقول تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٥٧).

ومن هنا نجد في القرآن كثيراً من التأكيد بصيغ مختلفة وتكراراً حكيماً له أهدافه في كثير من الآيات كما في سورة القمر جاء تكرار الآية المباركة: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾(٥٨) ، وفي سورة الرحمن:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾(٥٩). ومن خلال هذا البيان نبرهن على ضرورة إتباع الإعلاميين أساليب القرآن وممارستها كطريق لنجاح رسالتهم وكمنهج خطة الإسلام وألزمنا بإتباعه والعمل وفق مضامينه. ويتوسع القرآن الكريم في استعمال أسلوب التأكيد في جميع القضايا التي يذكرها ولا يخصه بقضية معينة، وذلك لسيولة هذا الأسلوب في جميع تعاليمه، ولقوة تأثيره في إقناع الناس، فهو يؤكد صفات الله سبحانه، ويؤكد حين يعد ويتوعد، ويؤكد حين يدعو إلى

الأمور العقدية، ويؤكد حين يدعو إلى العبادات، ويؤكد حين يدعو إلى المعاملات، ويؤكد في محل يكون الخبر موضعاً للشك لينتزع الشك من أصوله، ويؤكد على القضايا المسلّمة حين يغفل عنها الإنسان.

ومن أمثلة التوكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (٦٠).

فالآية ترغّب وتحبّب الإيمان والعمل الصالح إلى الناس، وتعد من يجيب دعوة الحق بالوعد الكريم والعظيم، وقد أكد هذا الوعد الإلهي من أجل زرع روح الثقة بالوعد في النفوس بجملة من التأكيدات:

أ- القسم المحذوف الذي دخلت اللام

على جوابه.
ب- اللام الداخلة على جواب القسم في قوله: (وعد الله) لان وعده سبحانه كالقسم. ج- نون التوكيد الثقيلة في (ليستخلفنهم) و (ليمكنن) و (ليبدلنهم). د- ضمير الفصل، (هم).
هـ- إسناد الوعد إلى الله تعالى تأكيداً على حتمية وقوعه.
و- تعليق الوعد على (ما) الموصولة ليؤكد شمولية الوعد لمن اتصف بالإيمان والعمل الصالح وهذا يبرهن على عدّ الوعد سنة جارية ومطردة في كل زمان ومكان. ز- إضافة الدين لهم في قوله (دينهم) ليبين اعتزاز المسلمين بدينهم الذي أمروا أن يدينوا به، ومن هذا القبيل التوكيد بنون التوكيد الثقيلة وهو كثير في القرآن الكريم (٦١).

أما التوكيد بنون التوكيد الخفيفة لم يرد إلا مرتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ (٦٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٦٣).

إلى غير ذلك طرق التوكيد وأساليبها ومن أراد تفصيلها فليراجعها في مظانها.

وأما التكرار في القرآن الكريم، فإنه من الأساليب المؤثرة في إقناع الجماهير بمضمونها.

والمقصود من التكرار في القرآن هو (عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات، ولكن هذا التكرار حكيم ومقصود ومُضيف، فعندما يكرر القرآن ذلك يكرره لحكمة، يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني، كما أنه مُضيف للقرآن في كل مرة لفظاً أو معنى أو معلومة أو فكرة) (٦٤).

وقد يكون الشيء المكرر هو قصة كقصة آدم، وموسى، ويونس، وإبراهيم، وقد يكون المكرر آية في سورة لحكمة في ذلك، وقد يكون المكرر أمراً أو نهياً أو أرشادا ً أو نصحاً.

أما تكرار القصة ففيها من الفائدة والحكمة ما يقطع إيراد أي شبهة، يقول الشيخ الطوسي : (الوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن، أن رسول الله ‘ كان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنبياء والقصص متكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى آخرين فأراد

الله بلطفه ورحمته، أن تستمر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الافهام) (٦٥).

وهكذا تكرار الأمر والنهي في القرآن إنما كان لغرض وحكمة، وكمثال على ذلك: أن الله أمر رسوله محمداً ‘ بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في ثلاث آيات:

أ- قال تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(٦٦)، إذْ جاء هذا الأمر بتغيير القبلة بعد الحديث في الآية عن رغبة رسول الله ‘ في ذلك فكان الأمر استجابة لرغبته ‘.

ب- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾(٦٧).

جاءت هذه الآية بعد أربع آيات من ذكر الآية الأولى وقد ذكرت أمراً جديداً بعد أن أشارت إلى أن أهل الكتاب يعرفون الحق ويتركونه عناداً، ويعرفون بأن الرسول ‘ حق وينكرونه، فجاءت الآيات لتثبيت الرسول‘، وأن القبلة الجديدة هي الحق من عند الله وهو الدائم والباقي ما بقي الدهر لا يتغير ولا ينسخ ولا يبدل.

ج- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾(٦٨).

جاء الأمر الثالث باستقبال القبلة بهدف جديد وإضافة وهي تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بأنهم على حق، ومن أجل قطع حجة الكافرين فيما أدعوه من أن تبديل القبلة جاء لميل محمد ‘ إلى دين قومه وحباً لبلده، ولو كان حقاً لفعله الأنبياء عليهم السلام من قبله، إلى غير ذلك من ألوان التكرار التي تطلب في محلها ومظانّها.

والذي يهمنا هو فائدة أسلوب التكرار في مجال الإعلام الإسلامي ومشروعية استعمال هذا الأسلوب في المواد الإعلامية ومدى إقناع الجماهير بالقضية المذكورة بأسلوب التكرار، فإن (النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً يركزه

في قلوبهم ويغرسه في صدورهم)[٦٩]، ومن ذلك تبليغ النبي ‘ خلافة علي عليه السلام من بعده مراراً وتكراراً وبلّغ حديث الثقلين (الكتاب والعترة) في أكثر من موقف ومناسبة ليشهد على تبليغه أكبر عدد ممكن من المسلمين صيانة لتعاليم الإسلام من التلاعب والتزوير والنكران. لذا ينبغي على العاملين في الصحافة والإعلام الاستناد في مشروعية أعمالهم إلى القرآن الكريم إذْ تبين بشكل واضح استخدام القرآن لهذا الأسلوب كثيراً وأخذ مساحة كبيرة من آياته المباركة، والاستناد إلى السنة الشريفة أيضاً كما اشرنا آنفا إلى تأكيد النبي وتكراره لبعض القضايا المهمة والأمور المصيرية والوعظية والعقائدية وغيرها، وكذلك نجد الأمر لا يختلف في سيرة أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم.

وبهذا ينتهي بنا المطاف إلى هنا في بيان الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم وطرق إيصال المعلومة التي يراد إيصالها إلى الجماهير ، وهي حلقة من حلقات النظرية الإعلامية في القرآن الكريم، ولعلنا نوفق في فرصة أخرى لبيان بعض جوانب هذه النظرية انطلاقاً من وحي الآيات القرآنية والسنة النبوية والعلوية ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة المائدة: ٣١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ١٨، ٣٢١.

(٣) سورة هود: ٣٨.

(٤) سورة هود: ٣٩.

(٥) سورة يس: ٣٠.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ٣٩، ٥٦، الباب الثالث والسبعون، إن فيه (الإمام علي عليه السلام) خصال الأنبياء عليهم السلام واشتراكه مع نبينا ‘ في جميع الفضائل سوى النبوة.

(٧) سورة البقرة: ٢١٢.

(٨) سورة المائدة: ٥٧.

(٩) سورة المزمل: ١٠.

(١٠) سورة النساء: ٦٣.

(١١) سورة الجاثية: ٢٣- ٣٥.

(١٢) سورة التوبة: ٧٩.

(١٣) سورة البقرة: ١٤- ١٥.

(١٤) سورة الروم: ٦٠.

(١٥) سورة المزمل: ١٠.

(١٦) سورة الحجرات: ١١.

(١٧) سورة الزخرف: ٥- ٨.

(١٧)الكليني.محمدبنيعقوب،الكافي:٨، ٣٤٥،ح ٥٤٤.

(١٩) سورة الإسراء: ١٠٦.
(٢٠) سورة الفرقان: ٣٢.
(٢١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٩، ١٦٨.
(٢٢) المصدر السابق:٩، ١٧١.
(٢٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ١، ٢٣، كتاب العقل والجهل، ح١٥.
(٢٤)الصدوق، محمدبن علي، الخصال:١٨٦.
(٢٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ١٢، ٢١٥ .
(٢٦) سورة النساء: ٦١.
(٢٧) سورة ص: ٦٧- ٦٨.
(٢٨) سورة الاحقاف: ٣.
(٢٩) سورة الأنعام: ٤.
(٣٠) سورة النور: ٤٨.
(٣١) سورة سبأ: ١٥.
(٣٢) سورة التغابن: ٥.
(٣٣) سورة الأعراف: ٧٩.
(٣٤) سورة الأنعام: ١٠٦.
(٣٥) سورة الأعراف: ١٩٩.
(٣٦) سورة النجم: ٢٩.
(٣٧) سورة النساء: ٦٣.
(٣٨) سورة النساء: ٨١.
(٣٩) سورة السجدة:٢٨- ٣٠.
(٤٠) سورة هود: ٧٤- ٧٦.
(٤١) سورة النساء: ٦٣.
(٤٢) سورة المؤمنون: ٦٨.
(٤٣) سورة المؤمنون: ٦٩.
(٤٤) سورة المؤمنون: ٦٩-٧٠.
(٤٥) سورة المؤمنون: ٧٢.
(٤٦) سورة المؤمنون: ٧٠.
(٤٧) سورة القمر: ٦.
(٤٨) سورة طه: ١٢٤.
(٤٩) سورة الجن: ١٧.
(٥٠) سورة فصلت: ١٣.
(٥١) سورة سبأ: ١٦.
(٥٢) سورة طه: ١٢٤.
(٥٣) سورة النساء: ٦٣.
(٥٤) سورة الرعد: ١١.
(٥٥) د. عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا: ٣٤.
(٥٦) جوستاف ليبون، روح الجماعات: ١١٥.
(٥٧) سورة الذاريات: ٥٥.
(٥٨) سورة القمر: ١٧.
(٥٩) سورة الرحمن: ١٣.
(٦٠) سورة النور: ٥٥.
(٦١) انظر:د. عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا:٣٧.
(٦٢) سورة العلق: ١٥.

(٦٣) سورة يوسف: ٣٢.
(٦٤) الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني:٣١٠.
(٦٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان:١، ١٤.
(٦٦) سورة البقرة: ١٤٤.
(٦٧) سورة البقرة: ١٤٩.
(٦٨) سورة البقرة: ١٥٠.
(٦٩) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف: ٣، ٢٩٥.

موقف الذكر الحكيم من رؤية اللّه تعالى ج٢

الشيخ احمد المحمداوي
قم المقدسة

القرآن الكريم

الآية الثانية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]

استدل القائلون بجواز الرؤية بآيات متعددة والمهم فيها هو الآية التالية، أعني قوله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾

وقد كانت معركة للآراء بينهم وبين أهل التنزيه المحض، تجد ذلك مفصلاً في المصادر الكلامية والتفسيرية من الفريقين [2]، خاصة هذه الآية التي كانت مورداً لنقض وإبرام مترامي الأطراف من الفريقين الى الحد الذي يجعل الباحث يتساءل: هل إنّ ألفاظ الآية غامضة بحيث تسمح بظهور معركة فكرية واسعة حولها؟ وهذا السؤال بالذات جعلنا نبحث عن طريق أوضح وأكثر اختصاراً من الطريق الذي سلكه متكلمو الفريقين ومفسروهم، وهو أنّ حجة الأشاعرة من هذه الآيات تتم فيما لو أنها تدل على وقوع الرؤية دلالة حتمية بنحو لا يحتمل وجهاً آخر ودلالة أُخرى، بينما لا يحتاج مخالفوهم في إثبات مطلوبهم الى أكثر من بيان وجه محتمل في هذه الآيات يخالف الرؤية.

وسرّ الفرق بينهما أنّ الأشاعرة يدّعون أمراً مخالفاً للمألوف، وهو تحقق الرؤية بلا كيفية، فيحتاجون الى الإثبات القطعي الذي لا يقبل احتمالاً مخالفاً، فإذا جاء مخالفوهم باحتمال معارض كان ذلك كافياً لاسقاط ادّعاء الرؤية، وبسقوطه يكون مطلوب أهل التنزيه المحض قد تحقق، وهو انتفاء رؤية الله سبحانه وتعالى. فالأصل هو انتفاء رؤية ما لا جسم ولا كيفية له، والبيّنة على من يدّعي خلافه، فإذا أقامها بنحو لا يقبل الشبهة والترديد فهو المطلوب، وإذا أقامها بنحو يقبل الشبهة والترديد فهو كمن لم يقمها، وكأنه أراد الادّعاء بالادّعاء، وقد قيل: إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال، وحينما يبطل الاستدلال نعود الى الأصل وهو انتفاء الرؤية.

وبهذه الطريق يمكننا أن نختصر النقاش بين الطرفين، فإنّ الأشاعرة مهما تمسّكوابهذه الآيات، فإنّهم ليس بوسعهم الادّعاء بأنّ هذه الآيات لا تقبل معنىً آخر غير الرؤية البصرية، وغاية ما يمكنهم الادّعاء به هو أنّ الرؤية

البصرية هي الاحتمال الراجح في هذه الآيات، وهذا بحد ذاته لا يكفي لاثبات الرؤية البصرية ولا يعني أ نّهم قد اقاموا الدليل القرآني عليها لوجود عدّة احتمالات معارضة له. ونحن هنا نعدّها احتمالات، تنزلاً، وإلاّ فإنّ أصحابها من أهل التنزيه المحض يرونها هي المعنى الصحيح والمراد المطلوب من تلك الآيات. ففي الآية الأُولى هناك احتمال أن يكون المراد بـ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ انتظار رحمة الله وفضله وثوابه، وهناك شواهد قرآنية ولغوية كثيرة تؤيد أنّ النظر لا يلازم الرؤية ، فقد يقترن بها ، وقد يفترق عنها، لأنّ النظر هو مدّ الطرف نحو الشيء رآه أو لم يره، وإذا أصرّ الأشاعرة على التلازم بين النظر والرؤية فإنّ التلازم المدّعى لا يدل حتماً على الرؤية البصرية، لاحتمال أن يكون المراد بالرؤية حينئذ الرؤية القلبية التي هي من خواص المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ومن الممكن أن تكون رؤيتهم القلبية لله سبحانه وتعالى في يوم القيامة أشد وأجلى بحيث تكون من أكبر النعم التي سينعمون بها، وقد أحسن الشيخ محمد مهدي النراقي المتوفّى سنة (١٢٠٩ هـ) تصوير هذا المعنى وتقريره في بحث رائع ضمن

كتابه جامع السعادات نقتطف منه ما يناسب المقام ، إذْ كتب قائلاً :

ثم أهل السنّة قالوا : إنّ الرؤية في الآخرة . مع تنزهها عن التخيّل والتصوير والتقدير بالشكل والصورة والتحديد بالجهة والمكان . تكون بالعين دون القلب، وهو عندنا باطل. إذ الرؤية بالعين محال في حقّ الله تعالى، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، فكما لا تجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر، فكذلك لا تجوز في الآخرة، وكما تجوز رؤيته في الآخرة بالعقل والبصيرة لأهل البصائر . أعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث تتأدّى الى المشاهد واللقاء . فكذلك تجوز رؤيته في الدنيا بهذاالمعنى، والحجاب بينه وبين خلقه ليس إلاّ الجهل وقلّة المعرفة دون الجسد، فإنّ العارفين وأولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع أحوالهم ومنصرفاتهم، وإن كان الحاصل في الآخرة أزيد انكشافاً وأشد انجلاء بحسب زيادة صفاء النفوس وزكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية . كما تقدّم مفصلاً . وقد ثبت ذلك من أئمتنا الراشدين العارفين بأسرار النبوّة، روى شيخنا الأقدم محمد بن يعقوب الكليني وشيخنا الصدوق محمد بن علي بن بابويه . رحمهما الله تعالى . باسنادهما الصحيح عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عما يروون من الرؤية ، فقال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جُزءاً من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب. (٣)

وباسنادهما عن أحمد بن اسحاق قال: كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس، فكتب : لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان ذلك التشبيه، لأن الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسببات.

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله . عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم!

وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك! فأُحدّث بهذا عنك؟ فقال: لا ! فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر . وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون. وسُئل أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال: ويلك! ما كنت أعبد ربّاً لم أره. قيل: وكيف رأيته؟ قال: ويلك! لا تدركه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته

القلوب بحقائق الإيمان(٤)

وقال سيد الشهداء عليه السلام: كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل من حبّك نصيباً. وقال عليه السلام: تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال: وأنت الذي تعرفت إليَّ في كل شيء، فرأيتك ظاهراً في كل شيء، وأنت الظاهر لكل شيء (٥) ، وأمثال ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام أكثر من أن تُحصى (٦)

بعدما ذكرنا ان المراد من الاية الشريفة هو انتظار الثواب والكرامة من الله سبحانه وتعالى نأتي لمناقشة اراء المثبتين للرؤية ونعرض بعض اراء المفسرين الذين ذهبوا الى ما ذهبنا اليه ويكون ختام النقاش في هذه

الاية المباركة إن شاء الله تعالى. يقول الشارح القوشجي في شرحه لتجريد الاعتقاد: إن النظر إذا كان بمعنى الانتظار يستعمل بغير صلة ويقال انتظرته، وإذا كان بمعنى التفكر يستعمل بلفظة في، وإذا كان بمعنى الرأفة يستعمل بلفظة اللام، وإذا كان بمعنى الرؤية استعمل بلفظة إلى، فيحمل على الرؤية (٧).وبالامكان الرد على هذا الرأي كما ذكره الشيخ السبحاني وهو: الأول أنه سبحانه كلمة وجوه لا عيون، فقسم الوجوه إلى قسمين: وجوه ناضرة، ووجوه باسرة، ونسب النظر إلى الوجوه لا العيون، فلو كان المراد هو الرؤية

لكان المتعين استخدام العيون بدل الوجوه، والعجب أن المستدل غفل عن هذه النكتة التي تحدد معنى الآية وتخرجها عن الإبهام والتردد بين المعنيين، وأنت لا تجد في الأدب العربي القديم ولا الحديث موردا نسب فيه النظر إلى الوجوه وأريد منه الرؤية بالعيون والأبصار، بل كلما أريد منه الرؤية نسب إليهما. الثاني:

لا نشك أن الناظرة في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بمعنى الرائية، ونحن نوافق المثبتين بأن النظر إذا استعمل مع إلى يكون بمعنى الرؤية، لكن الذي يجب أن نلفت إليه نظر المستدل هو أنه ربما يكون المعنى اللغوي ذريعة لتفهيم معنى كنائي، ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوي، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، فالجملة مستعملة في معناها اللغوي، ولكن كثرة الرماد مراد استعمالي لا جدي، والمراد الجدي هو ما اتخذ المعنى الاستعمالي وسيلة لإفهامه للمخاطب، والمراد هنا هو جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، فإذا قال الرجل: زيد كثير الرماد، فلا نقول: إن القائل أخبرنا عن كثرة الرماد في بيت زيد الذي يعد أوساخا ملوثة لبيته، فيكون قد ذمه دون أن يمدحه، بل يجب علينا أن نقول:بأنه أخبر عن جوده وسخائه، والعبرة في النسبة المراد الجدي لا الاستعمالي، وهذه هي القاعدة الكلية في تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء.

١ —﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾يقابلها ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ ٢ —﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ يقابلها ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ ٣—﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ يقابلها﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾[٨]. ان الذي ينظر بدقة ويرى التقابل الذي وقع بين الآيتين يشخص بأن المراد من الآية الأولى هو الشق الثاني الذي يقابل هذه الآية اي﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٩] فهو صريح في أن أصحاب الوجوه الباسرة ينتظرون العذاب الكاسر لظهرهم، ويظنون نزوله. وهذا الظن لا ينفك عن الانتظار، فكل ظان لنزول العذاب منتظر، فيكون قرينة على أن أصحاب الوجوه المشرقة ينظرون إلى ربهم، أي يرجون رحمته، وهذا ليس تصرفا في الآيات ولا تأويلا لها، وإنما هو رفع الإبهام عن الآية بالآية المقابلة لها، وترى ذلك التقابل والانسجام في آيات أخرى، غير أن الجميع سبيكة واحدة. ١ —﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾

يقابلها ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ ٢ – ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ يقابلها: ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ (١٠) فإن قوله ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ قائم مقام قوله﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فيرفع إبهام الثاني بالأول. ٣ – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ يقابلها ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ (١١)

٤ – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ (١٢) يقابلها: ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ (١٣)

أنظر إلى الانسجام البديع، والتقابل الواضح بينهما، والهدف الواحد، حيث الجميع بصدد تصنيف الوجوه يوم القيامة، إلى ناضر ومسفر، وناعم وإلى باسر، وأسود (غبرة) وخاشع. أما جزاء الصنف الأول فهو الرحمة والغفران، وتحكيه الجمل التالية: إلى ربها ناظرة، ضاحكة مستبشرة، في جنة عالية. وأما جزاء الصنف الثاني فهو العذاب والابتعاد عن الرحمة،وتحكيه الجمل التالية: تظن أن يفعل بها فاقرة، ترهقها قترة، تصلى نارا حامية. أفبعد هذا البيان يبقى شك في أن المراد من ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ هو انتظار الرحمة ! ! والقائل بالرؤية يتمسك بهذه الآية، ويغض النظر عما حولها من الآيات، ومن المعلوم أن هذا من قبيل محاولة إثبات المدعى بالآية، لا محاولة الوقوف على مفادها.

واخر يقول:فلا نشك أن قوله: وجوه ناظرات بمعنى رائيات، ولكن النظر إلى الرحمن هو كناية عن انتظار النصروالفتح.

فلا ريب أن اللفظين في الشعر وإن كانا بمعنى الرؤية، ولكن نظر الفقير إلى الغني ليس بمعنى النظر بالعين، بل الصبر وا لانتظار حتى يعينه.

قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٤) والمراد من قوله: ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾هو طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطفه عليهم، لا عدم مشاهدته إياهم، لأن رؤيته وعدمها ليس أمرا مطلوبا لهم حتى يهددوا بعدم نظره سبحانه

إليهم، بل الذي ينفعهم هو وصول رحمته إليهم، والذي يصح تهديدهم به هو عدم شمول لطفه لهم، فيكون المراد عدم تعطفه إليهم، على أن تفسير قوله [لاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ] ب (لا يراهم) يستلزم الكفر، فإنه سبحانه يرى الجميع ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾

والحاصل: أن النظر إذا أسند إلى العيون يكون المعنى بالمراد الاستعمالي والجدي هو الرؤية على أقسامها، وإذا أسند إلى الشخص كالفقير أو إلى الوجوه فيراد به الرؤية استعمالا والانتظار جدا.

نظرة في بعض تفاسير أهل السنة إلى هذه

الآية أذكر في هذه العجالة تفسيرين يذكران هذه الآية الشريفةوكيف تم تفسيرها بغير الرؤية البصرية وهذا ليس على سبيل الحصر وإنما على سبيل المثال فحسب.

التفسير الأول : تفسير الطبري

اذ جاء فيه:وقوله﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ، يعني يوم القيامة ناضرة: يقول حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نَضُر وجه فلان: إذا حَسُن من النعمة، ونضَّرَ الله وجهه: إذا حسَّنه كذلك.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن إسماعيل البخاري، قال: ثنا آدم، قال: ثنا المبارك، عن الحسن﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: حسنة.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور عن مجاهد﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: نُضرة الوجوه: حُسنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: الناضرة: الناعمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾قال: الوجوه الحسنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: من السرور والنعيم والغبطة.[١٥] حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مجاهد ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: نضرة من النعيم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنتظر رزقه وفضله.[١٦] حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أناس يقولون في حديث: "فيرون ربهم" فقلت لمجاهد: إن ناسا يقولون إنه يرى، قال: يَرى ولا يراه شيء. قال ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنتظر من ربها ما أمر لها. حدثني أبو الخطاب الحساني، قال: ثنا مالك، عن سفيان، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال: تنتظر الثواب.[١٧]

التفسير الثاني الكشاف

قال صاحبه: الوجه: عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾[١٨] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾[١٩]، ﴿ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٢٠]، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢١] ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[٢٢]، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾[٢٣]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه[٢٤] الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل: وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ ملكوا الْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا وسمعت سرويةمستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عين نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، والباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في

الشجاع إذا اشتد كلوحه ﴿ تَظُنُّ ﴾ تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدّته وفظاعته ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير[٢٥].

التفسير المروي عن مجاهد بن جبر

بعدما ذكرنا تلك الاراء نأتي الى تفسير مجاهد بن جبرالذي يعد

اماما التفسيربالنسبة الى مثبتي الرؤية ونُضيفه على ما تقدم من آراء لاجل زيادة الحجة وتوضيحها اكثر

قال ابن تيمية موضحاً هذا المنهج: " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير... [٢٦]

وإذا تتبعنا روايات النافين للرؤية الواردة عن سلف هذه الأمة فإننا نجد الروايات الثابتة عنهم تؤكد أن المعنى الصحيح لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ هو انتظار ثواب الله ورحمته كما فسر ذلك مجاهد بن

جبر الذي عدّه ابن تيمية آية في التفسير. التفسير المروي عن مجاهد بن جبر قال الطبري[٢٧] في تفسيره: " حدثنا أبو كريب[٢٨] قال: ثنا عمر بن عبيد[٢٩]عن منصور[٣٠]عن مجاهد ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣١] قال: تنتظر منه الثواب ". وقال الطبري[٣٢] أيضاً: " قال [يقصد أبا كريب]: ثنا وكيع[٣٣] عنسفيان[٣٤]، عن منصور، عن مجاهد ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٣٥] قال: تنتظر الثو اب من ربها ". وقال الطبري[٣٦] أيضاً: " حدثنا ابن بشار[٣٧] قال: ثنا عبد الرحمن[٣٨] قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنتظر الثواب ". وإن وصف سفيان الثوري بالتدليس فإن متابعة عمر بن عبيد له تكفي لقبول هذه الرواية المنسوبة إلى مجاهد. هذا التفسير الثابت عن مجاهد يبين التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة عند سلف هذه الأمة، وكل الروايات التي خالفت هذه الرواية في المعنى لا قيمة لها لورودها من قبل الضعفاء والمتروكين. فما هي منزلة تفاسير مجاهد بن جبر في علم التفسير؟ يجيب على هذا السؤال ابن تيمية الذي سطر في مواضع عديدة من (الفتاوى الكبرى) منزلة مجاهد في علم التفسير إذْ قال: " وأخص أصحابه يقصد ابن عباس بالتفسير مجاهد، وعلى تفسير مجاهد يعتمدأكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري. قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير، وقول القائل: لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه: أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، إلا أن يكون نظيره في الصحة، ثم معه ما يصدقه، وهو قوله: عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها "[٣٩] وقال ابن تيمية أيضاً: " وأما (التفسير) فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح... "[٤٠] وقال ابن تيمية أيضاً: " وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ‘

وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم..."[٤١] وهذه الأقوال التي قالها ابن تيمية هنا فيها اعتراف مثبتي رؤية الله سبحانه وتعالى بقوة تفسير مجاهد بن جبر لآيات الله البينات، ويظهر منها أن تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بـ" تنتظر الثواب من ربها " هو التفسير الصحيح الذي يوافق معنى آيات الله البينات[٤٢] وما ورد عن الصحابة، وكل التفاسير المخالفة لهذا التفسير باطلة لم تثبت أبداً.

فـ" مجاهد بن جبر... ثقة، إمام في التفسير، وفي العلم [٤٣] وعلى تفسيره " يعتمد أكثرالأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري "[٤٤] ولكن مثبتي رؤية الله سبحانه وتعالى لم يأخذوا بما ثبت عنه من تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾بل ردوا أقواله بروايات الكذابين والضعفاء والمدلسين والمتروكين.

فتفسير مجاهد، الثقة الإمام في التفسير، زهد فيه ورغب عنه مثبتو رؤية الله سبحانه وتعالى واعتمدوا على أقوال الضعفاء كأمثال عطية العوفي وثوير بن أبي فاختة.

قال ابن عبد البر: "... إنا لم ندع الإجماع في هذه المسألة، ولو كانت إجماعاً ما احتجنا فيها إلى قول، ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقاويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل

السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل اثنين، هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا... [٤٥] فقول ابن عبد البر: " قول مجاهد... عند أهل السنة مهجور "، مخالف تمام المخالفةلنصيحة سفيان الثوري الذي

قال: " إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به "[٤٦] فهجران مثبتي رؤية

الله سبحانه وتعالى لتفسير مجاهد وإقبالهم على الروايات الضعيفة سببه عدم تطبيقهم للمنهج العادل في تقييم

الحجج ووزن الأقوال.

قال ابن حجر:"... وبالغ ابن عبد البر في رد الذي نقل عن مجاهد وقال: هو شذوذ[٤٧] فوصف أقوال مجاهد هنا بالشذوذ دليل على عدم تطبيق منهج علم الحديث على أقوال العلماء، فكيف توصف أقوال مجاهد الثابتة عنه بالشذوذ وهو لم يخالف أحداً من الثقات؟ ولكن الضعفاء والكذابين هم الذين أتوا بالأخبار الضعيفة التي تخالف في معناها ما ذهب إليه مجاهد من تفسير.

وابن راهويه أوضح تفسير مجاهد وبين الوقت والمكان الذي تتحدث عنه الآية الكريمة إذْ قال: "... وإنما معنى قول من قال: تنتظر الثواب، ولا يرون

ربهم يوم القيامة قبل دخول الجنة ألا

ترى إلى مجاهد حين فسر الآية فسره على معنى ما وصفنا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾قال: ينظرون الثواب [٤٨] ولم يرد ابن راهويه تفسير مجاهد ولم يصفه بالشذوذ، ولكنه أخذ به في تفسير الآية الكريمة بانتظار ثواب الله تعالى يوم القيامة. وبهذا نستخلص

من ان الآية المباركة لم تصلح دليلا للمثبتين وهي بعيدة جدا عن ما ذهبوا اليه كما قدمنا بالادلة والبراهين القاطعة بأنها بمعنى المنتظرة والمتأملة والراجيةالى عطاء الله وكرمه واحسانه سبحانه وتعالى لا بمعنى الرائية والباصرة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الآية الثالثة :

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾(٤٩). فقد فسرت الحسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، فقد روى مسلم في صحيحه حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ‘ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا

ثمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ(٥٠)﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾(٥١) إن القرآن الكريم كتاب عربي مبين وهو تبيان لكل شيء، كما هو مقتضى قوله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾(٥٢)، وحاشا أن يكون تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه، وسياق الآية يدل على أن المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، فقد جعل سبحانه الجزاء حقا للعامل - لكن بفضله وكرمه - وقال: ﴿ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾(٥٣)، ثم جعل المضاعف منه حقا للعامل أيضا، وهذا أيضا بكرمه وفضله، وقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾(٥٤). وبالنظر إلى هذه الآيات يتجلى مفاد قوله سبحانه ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ استحقاقا للجزاء والمثوبة الحسنى (وَزِيَادَةٌۖ) على قدر الاستحقاق، قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ ﴾(٥٥).

فقد جاء في تفسير التبيان لشيخ الطائفة الطوسي&

قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٥٦)

آية. أخبرالله تعالى بأن للذين يفعلون

الحسن من الطاعات التي أمرهم الله به اجزاءعلى ذلك " الحسنى " وهي الجنةولذاتها.

وقيل:جامعةالمحاسن السروراللذات على أفضل مايكون وهي تأنيث الاحسن.

وقوله " وزيادة " معناه إن لهم زيادةالتفضل على قدرالمستحق على طاعاتهم من الثواب،وهي المضاعفةالمذكورةفيقوله " فله عشرأمثالها.ذهب اليه ابن عباس والحسن ومجاهدوقتادةوعلقمةابن قيس.

وقالابوجعفرعليه السلام"وزيادة"معناهماأعطاه مالله في الدنيالايحاسبهم به في الاخرة.(٥٧) وجاء في تفسير الامثل للشيخ مكارم الشيرازي:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

التّفسير بيض الوجوه وسود الوجوه مرّت الإشارة في الآيات السابقة إلى عالم الآخرة ويوم القيامة، ولهذه المناسبة فإنّ هذه الآيات تبيّن مصير الصالحين وعاقبة المذنبين فتقول في البداية:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٥٨).

ومع أن هناك بحثاً بين المفسّرين في المقصود من الزيادة في هذه الجملة، إلاّ أنّنا إذا علمنا أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، رأينا أنّ المراد هو الإشارة إلى الثواب المضاعف الكثير، الذي يتضاعف أحياناً عشر مرات، وأُخرى آلاف المرات حسب نسبة الإخلاص والطهارة والتقوى وقيمة العمل، فنقرأ في الآية (١٦٠) من سورة الأنعام. ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ ﴾.

وفي الآية (١٢٧) من سورة النساء : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾.

وفي الآيات المرتبطة بالإنفاق في سورة البقرة آية (٢٦١) يدور الحديث أيضاً عن مكافأة الصالحين ومضاعفة عملهم إلى سبعمائة ضعف، أو مضاعفته أضعافاً كثيرة من قبل الله سبحانه.

والنقطة الأُخرى التي ينبغي الإلتفات

إليها هنا، هي أن من الممكن أن تستمر هذه الزيادة والإضافة حتى في عالم الآخرة، أي أنّه في كل يوم سيمنحهم الله سبحانه موهبة ولطفاً جديداً، وهذا يبيّن أن حياة العالم الآخر ليست على وتيرة واحدة، بل تستمر في حركتها نحو التكامل الى ما لانهاية.

والرّوايات التي وردت عن النّبي في تفسير هذه الآية، والتي تبيّن أن المراد من «الزيادة» هو التوجه إلى نور الذات الإلهية المقدسة والإستفادة من هذه الموهبة المعنوية الكبيرة قد تكون إشارة إلى هذه النكتة.

وفي بعض الرّوايات المنقولة عن أهل البيت(عليهم السلام)، فسّرت «الزيادة» بزيادة النعم الدّنيوية التي يتفضل بها الله على الصالحين زيادة على ثواب الآخرة، ولكن لامانع من أن تكون الزيادة في الآية أعلاه إشارة إلى كل هذه المواهب.[٥٩] وفي تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي قال:

قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ " ﴾ إلخ، الحسنى مؤنث أحسن و المراد المثوبة الحسنى، و المراد بالزيادة الزيادة على الاستحقاق بناء على أن الله جعل من فضله للعمل مثلا من الجزاء و الثواب ثم جعله حقا للعامل في مثل قوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٦٠] ثم ضاعفه و جعل المضاعف منه أيضا حقا للعامل كما في قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [٦١] و عند ذلك كان مفاد قوله: "للذين أحسنوا الحسنى" استحقاقهم للجزاء و المثوبة الحسنى، و تكون الزيادة هي الزيادة على مقدار الاستحقاق من المثل أو العشرة أمثال نظير ما يفيده قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [٦٢]. و لو كان المراد بالحسنى في قوله: "للذين أحسنوا الحسنى" العاقبة الحسنى، و ليس فيما يعقل فوق الحسنى شيء كان معنى قوله: "و زيادة" الزيادة على ما يعقله الإنسان من الفضل الإلهي كما يشير إليه قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٦٣] و ما في قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٦٤] فإن من المعلوم أن كل أمر حسن يشاؤه الإنسان فالمزيد على ما يشاؤه أمر فوق ما يدركه فافهم ذلك. و الرهق بفتحتين اللحوق و الغشيان يقال: رهقه الدين أي لحق به و غشيه، و القتر الدخان الأسود أو

الغبار الأسود، و في توصيفهم بقوله: "و لا يرهق وجوههم قتر و لاذلة" محاذاة

لما في الآية الآتية من وصف أهل النار بسواد وجوههم بالقتر و هو سواد صوري و الذلة و هي سواد معنوي. و المعنى: للذين أحسنوا في الدنيا المثوبة الحسنى و زيادة من فضل الله - أو العاقبة الحسنى و زيادة لا تخطر ببالهم - و لا يغشى وجوههم سواد من قتر و لا ذلة، و أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.(٦٥) وبعد هذا البيان وتوضيح الآية بصورة لاتقبل الشك بأنها ليس فيها دلالة على ان الزيادة هي رؤية الله تعالى نأتي الى ماذهب اليه المثبتون ونقلّب تلك الآراء وننظر الى الخلط وعدم الاستناد الى ركن شديد يقيهم الاشكالات والايرادات في أرائهم وما تمسكوا به من عقيدة تمس للاسلام بصلة ابدا.. وانظر الى تفسيره لهذه الاية: رؤية الملك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾(٦٦) القول الثاني: أنه لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية. قالت المعتزلة ويدل على ذلك وجوه:

الأول: أن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله تعالى ممتنعة.

والثاني: أن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه، ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة.

الثالث: أن الخبر الذي تمسكتم به في هذا الباب هو ما روي أن الزيادة، هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا الخبر يوجب التشبيه، لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جهة المرئي. وذلك يقتضي كون المرئي في الجهة، لأن الوجه اسم للعضو المخصوص، وذلك أيضاً يوجب التشبيه. فثبت أن هذا اللفظ لا يمكن حمله على الرؤية، فوجب حمله على شيء آخر، وعند هذا قال الجبائي: الحسنى عبارة عن الثواب المستحق، والزيادة هي مايزيده الله. أما القرآن: فقوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۚ ﴾(٦٧) :. وأما أقوال المفسرين: فنقل عن علي أنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة. وعن ابن عباس: أن الحسنى هي الحسنة، والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن: عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وعن مجاهد: الزيادة مغفرة الله ورضوانه. وعن يزيد بن سمرة: الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة

فتقول: ما تريدون أن أمطركم. فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم.

أجاب أصحابنا عن هذه الوجوه فقالوا: أما قولكم إن الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهذا ممنوع، لأنا بينا في كتب الأصول أن تلك الدلائل في غاية الضعف ونهاية السخافة، وإذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأخبار الصحيحة بإثبات الرؤية، وجب إجراؤها على ظواهرها. أما قوله الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه. فنقول: المزيد عليه، إذا كان مقدراً بمقدار معين، وجب أن تكون الزيادة عليه مخالفة له.

مثال الأول: قول الرجل لغيره: أعطيتك عشرة أمداد من الحنطة وزيادة، فههنا يجب أن تكون تلك الزيادة من الحنطة.

ومثال الثاني: قوله أعطيتك الحنطة وزيادة، فههنا يجب أن تكون تلك الزيادة غير الحنطة، والمذكور في هذه الآية لفظ [الحسنى] وهي الجنة، وهي مطلقة غير مقدرة بقدر معين، فوجب أن تكون تلك الزيادة عليها شيئاً مغايراً لكل ما في الجنة. وأما قوله: الخبر المذكور في هذا الباب، اشتمل على لفظ النظر، وعلى إثبات الوجه لله تعالى، وكلاهما يُوجب التشبيه. فنقول: هذا الخبر أفاد إثبات الرؤية، وأفاد إثبات الجسمية. ثم قام الدليل على أنه ليس بجسم، ولم يقم الدليل على امتناع رؤيته، فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده فقط، وأيضاً فقد بينا أن لفظ هذه الآية يدل على أن الزيادة هي الرؤية من غير حاجة تنافي تقرير ذلك الخبر، والله أعلم.[٦٨]

ومن يلاحظ كلامه يستطيع القول: بأن المسائل العقائدية لا يستدل عليها إلا بالأدلةالقطعية لا بالقراءات الشاذة التي لا يحتج بها على الحكم الشرعي فضلا عن العقيدة، وسياق الآية يدل على أنه هو الملك بضم الميم وسكون اللام وكأنه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنة رأيت نعيما لا يوصف وملكا كبيرا لا يقدر قدره. والآية نظير قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[٦٩] ثم ان الذي ذهب اليه من الأدلة العقلية قد فندت عند الرد على الشبهات التي اوردها والحمد لله رب العالمين.[١]

(١) سورة القيامة(٧٥),الآية: ٢٣.

(٢) ١-مثل : تفسير الفخر الرازي، وشرح المقاصد للتفتازاني، وشرح المواقف ، وشرح الأُصول الخمسة، والمغني وسوف نأتي ببعض المصاديق منها وغيره في البحث إنْ شاء الله

(٣)النراقي محمد مهدي جامع السعادات ج٣ ص١٢٤

(٤) الكليني,محمد بن يعقوب,أُصول الكافي: ج١، باب ابطال الرؤية. الفيض الكاشاني,المولىمحسن,الشيخ محمد بن مرتضى, الوافي: ٦٩/١ باب إبطال الرؤية.

(٥)القمي,الشيخ عباس,مفاتيح الجنان: ٢٧٢ . ٢٧٤ دعاء عرفة.

(٦)النراقي ,جامع السعادات: ١٦٦/٣ . ١٦٨

(٧) القوشجي، الملا علي, شرح التجريد ح١ ص٣٣٤.

(٨) سورةالقيامة(٧٥),الايات: (٢١-٢٥).

(٩) سورة القيامة(٧٥),الآية:٢٥.

(١٠) سورة عبس(٨٠),الايات : (٣٨-٤١).

(١١) سورة الغاشية(٨٨)الايات : (٢-٤).

(١٢) سورة الحاقة(٦٩) ٢٢.

(١٣) سورة الغاشية(٨٨),الايات : (٨-١٠).

(١٤) سورة العمران(٣),الآية : ٧٧.

(١٥)الطبري ابو جعفر محمدبن جريربن يزيدبن كثيربن غالب الآملي,تفسيرالطبري باب٢٠ ج٢٤ ص٧٠ .

(١٦)الطبري ,تفسيرالطبري باب٢٠ ج٢٤ ص٧٢-٧٣ .

(١٧)الطبري ,تفسيرالطبري باب ٢٠ ج٢٤ ص٧٢-٧٣

(١٨) سورة القيامة(٧٥),الآية: ١٢.

(١٩) سورة القيامة(٧٥),الآية:٣٠

(٢٠) سورة الشورى(٤٢),الآية: ٥٣.

(٢١)سورةآل عمران(٣) ,الآية/٢٨.

(٢٢) سورة البقرة(٢),الآية: ٢٤٥.

(٢٣) سورة هود(١١),الآية:٨٨.

(٢٤)الزمخشري، أبوالقاسم,محمودبن عمروبن أحمد، الكشافباب ١٧ ج٧ ص١٩٠ .

(٢٥)المصدر السابقباب ١٧ ج٧ ص١٩٠.

(٢٦)الفتاوى الكبرى، ج١٣ ص٣٦٨

(٢٧)الطبري . تفسير الطبري، ج٢٩ ص١٩٢

(٢٨)أبو كريب هو: محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، حافظ، من العاشرة " (تقريب التهذيب، ت،٦٢٢٤، ج٢ ص ١٢١)

(٢٩)عمر بن عبيد هو، عمر بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي الحنفي الأيادي. قال ابن حجر، " قال أحمد بن حنبل، لم ندرك بالكوفة أحدا أكبر منه ومن المطلب بن زياد، وقال ابن معين، صالح، وقال أبو حاتم، محله الصدق... وقال الدارقطني، عمر ويعلى ومحمد أولاد عبيد كلهم ثقات وأبوهم ثقة وكذا قال أحمد قبله. وقال عثمان الدارمي، سألته يعني ابن معين عن يعلى ومحمد فقال، ثقتان، قلت، فعمر؟ قال، ثقة، قلت، كأنه دونهما؟ قال، نعم، وقال العجلي، عمر أخو يعلى ومحمد وهو أسن منهما وهو دونهما في الحديث وكان صدوقا". (تهذيب التهذيب، ت،٥١٣١، ج٧ ص٤٠٦-٤٠٧)

(٣٠)منصور هو، منصور بن

المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي " ثقة ثبت " (تقريب التهذيب، ت،٦٩٣٣، ج٢ص٢١٥) . سورة القيامة(٧٥), الايات: (٢٢-٢٣).

(٣١)الطبري ,تفسير الطبري، ج٢٩ ص١٩٢.

(٣٢) الطبري ,تفسير الطبري، ج٢٩ ص١٩٢.

(٣٣)وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي " ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة ". (تقريب التهذيب، ت،٧٤٤١، ج٢ صص٢٨٣- ٢٨٤).

(٣٤)سفيان هو، " سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة... وكان ربما دلس ". (تقريب التهذيب، ت،٢٤٥٢، ج١ ص٣٧١).

(٣٥) سورة القيامة(٧٥),الآية: (٢٢-٢٣).

(٣٦)الطبري,تفسير الطبري، ج٢٩ ص١٩٢.

(٣٧)محمد بن بشار بن عثمان العبدي، البصري، أبو بكر، بندار، ثقة من العاشرة ". (تقريب التهذيب، ت، ٥٧٧٢، ج٢ صص٥٨)

(٣٨) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت، حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني، ما رأيت أعلم منه ". (تقريب التهذيب، ت،٤٠٣٢، ج١ ص٥٩٢)

(٣٩)ابن تيمية,احمد بن تيمية,الفتاوى الكبرى، ج١٧ ص٤٠٨- ٤٠٩

(٤٠)المصدر السابق، ج١٣ ص٣٤٧

(٤١)المصدر السابق، ج١٣ ص٣٧١

(٤٢)انظر الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى،]لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ[المصدر السابق، ج١٣ ص٣٧١

(٤٣)العسقلاني,الحافظ احمد بن علي بن حجر,تقريب التهذيب، ت، ٦٥٠١، ج ٢ ص ١٥٩

(٤٤)ابن تيمية,الفتاوى الكبرى، ج١٧ ص٤٠٨

(٤٥)النمري, أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر, التمهيد، ج٣ ص٢٩١ ، وباقي عبارات ابن عبد البر هي: "... والى آخر قوله في قول الله عز وجلّ،]عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مَّحْمُودًا[,حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد]عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا[، قال يوسع له على العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم. فالذي عليه العلماء في تأويل هذه أن المقام المحمود، الشفاعة، والكلام في هذه المسألة من جهةالنظر يطول، وله موضع غير كتابنا هذا، وبالله التوفيق ". هذه الرواية التي ذكرها ابن عبد البر هنا والتي نُسب فيها تفسير المقام المحمود بجلوس الرسول ‘ على العرش إلى مجاهد باطلة ضعيفة لورودها من قبل ليث بن أبي سليم الضعيف، فقد " قال عبد الله بن أحمد عن أبيه، مضطرب الحديث... وقال معاوية بن صالح عن ابن معين، ضعيف إلا أنه يكتب حديثه... ". (انظر تهذيب التهذيب، ت،٥٩١١، ج٨ ص٤٠٥-٤٠٧) ولمزيد من أقوال العلماء الجرح والتعديل في ليث بن أبي سليم.

(٤٦) ابن تيمية,الفتاوى الكبرى، ج١٣ ص ٣٦٩

(٤٧) العسقلاني,فتح الباري، ج١٥ ص ٣٨٦(٤٨) المروزي الحنظلي، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ,مسند إسحاق بن راهويه ، ج٣ ص ٦٧٢-٦٧٣ نص عبارة ابن راهوية هي: وقد مضت السنة من رسول الله ‘- بأن أهل الجنة يرون ربهم وهو من أعظم نعم أهل الجنة وقوله [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ][إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] يقول، يومئذٍ مشرقة إلى الله ناظرة إلى الجنة، وإنما معنى قول من قال تنتظر الثواب ولا يرون ربهم يوم القيامة قبل دخول الجنة ألا ترى إلى مجاهد حين فسر، فسره على معنى ما وصفنا قال [إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]، قال، ينظرون الثواب". وسياق السورة الكريمة يتحدث عن حال المؤمنين في الموقف قبل دخول الجنة، وأما بعد دخول الجنة فلم يأت أي دليل على الرؤية. والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن جميع الروايات التي تتحدث عن الرؤية في الجنة ضعيفة، والميزان الذي ضعفها هو ميزان العدل والانصاف، فما للقوم ينسبون إلى رسول الله ‘ ما رفضته علوم الأمة؟!

(٤٩) سورة يونس (١٠),الآية: ٢٦.

(٥٠)النيسابوري القشيري,ابوالحسين. مسلم بن الحجاج ,صحيحةمسلم ح١باب،إثبات رؤية المؤمنين في الاخرةص٤٢٣.واحمد بن حنبل, مسنداحمدباب حديث صهيب بن سنان

عن النمرج٣٨ ص٣٩٨و٤٠٣وج٤٨ ص٤٥١ باب حيث صهيب

(٥١)سورة يونس (١٠),الآية: ٢٦.

(٥٢)سورة النحل(١٦),الآية: ٨٩.

(٥٣)سورة آل عمران(٣),الآية: ١٩٩.

(٥٤)سورة الأنعام (٦),الآية١٦٠.

(٥٥)سورة النساء(٤),الآية: ١٧٤.

(٥٦)سورة يونس(١٠) ,الآية: ٢٦

(٥٧)الطوسي, شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بنالحسن ,التبيان في تفسير القران ج٥ ص٣٥٩

(٥٨)ينبغي التنبه إلى أن (الحسنى) في هذه الجملة مبتدأ مؤخر، ومعنى الآية هكذا. الحسنى للذين أحسنوا، ولذلك فإنّ (زيادة) المعطوفة عليها مرفوعة، والحسنى صفة للمثوبة المقدّرة، وقد حلّت محلّ الموصوف. الأمثل ج٦ص٣٣٩.

(٥٩)الشيرازي الشيخ ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج٦,ص٣٣٨-

(٦٠) سورة آل عمران(٣),الآية: ١٩٩

(٦١) سورة الانعام(٦) ,الآية:١٦٠

(٦٢)سورة النساء(٤),الآية: ١٧٣

(٦٣)سورة السجدة(٣٢),الآية: ١٧

(٦٤) سورة ق(٥٠),الآية: ٣٥

(٦٥)((الطباطبائي العلاّمة السيد محمد حسين الميزان ج١٠ ص٢١

(٦٦)سورة الإنسان(٧٦),الآية: ٢٠.

(٦٧) سورة فاطر(٣٥),الآية: ٣٠.

(٦٨)الرازي مفاتيح الغيب(تفسير الرازي) باب ٢٦ ج٨ ص٢٦٦

(٦٩) سورة الأحزاب(٣٣),الآية: ٤٧.

وصف القِلّة والكثرة في القرآن الكريم

م . ماهر خضير هاشم

جامعة بابل

يا نور

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أبي القاسم محمد خير الورى وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أودع الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد أسرارا عجيبة فأحكمه في روعة من البيان وسمو في المعاني فهو سرُّ الخلود . إن القرآن الكريم نص خالد كونه نصا قابلا لقراءات متعددة المستجيب للقراءة في عصر واحد أو في عصور مختلفة والذي تتولد منه في آفاق القارئ المعرفية دلالات إضافية بل عوالم من المعرفة ، فهو نص متعدد القراءة . فقد قرئ القرآن قراءات مختلفة ومنوعة منذ نزوله حتى هذا العصر ، فقد قرئ نحويا في كتب إعراب القرآن ، وقرئ لغويا في كتب مجاز القرآن وغريبه ، وقرئ دلاليا في كتب معاني القرآن وتأويله ، وقرئ قراءة شاملة في كتب التفسير على اختلاف مذاهبها وأساليبها ، وقرئ صوتيا في كتب قراءات القرآن ، وقرئ بلاغيا في دراسة أساليبه الفنية[1] . دأب الناس أن يأخذوا برأي الأكثرية إذا أشكل عندهم أمرٌ ؛ غير أن النظام القرآني عكس ذلك فنبّه على أنّ الحقَّ كان مع القلّة في حين اتبعت الكثرة طريق الضلال . أولا :

وصف القِلّة :

فالقلّة لم تكن دليلا على الباطل ، فقد قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((أيُّها النّاس لا تستوحشوا من طريق الهدى لقلة أهله))[2] ، فقد مدح القرآن الكريم القلّة ، وأخبرنا أن الحق مع القِلّة الصفوة من العباد ، وبعث الله سبحانه وتعالى أنبياءه يدعون النّاس إلى الخير فاتّبعهم القِلّة المستضعفون وحاربتهم الكثرة ،فقد بعث نوحا (عليه السلام) رسولا إلى الخلق فكذّبوه ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[3] .التشويه التي يتعرض لها الاسلام والقرآن بالذات لما يتعرض من عملية تشكيك والغاء التهم عليه فموضوع الترجمة يكتسب أهمية كبيرة بسبب حاجة المسلمين لتعريف الناس بمعجزة الرسول١ التي أراد الله سبحانه أن يحفظها على مر العصور والأزمان من أجل أن تبقى شاهدة على عظمة الشارع المقدس، وحتى لايكون الباب الوحيد الذي يتعرف منه الاخرون إلى الاسلام من

طريق المستشرقين وحدهم والذين فيهم الصالح والطالح. ونجد أن هناك تقصيراً كبيراً من قبل المسلمين في بيان الوجه الحقيقي للاسلام ويشير القرآن الكريم إلى القلة الناجين بقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[٤] . ويخبرنا القرآن الكريم أن الله دعا بني إسرائيل إلى عبادته وحده لا شريك له ، وطاعة أوامره فتولّوا إلا قليلا ، فمن هذه الآيات القرآنية : قال تعلى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[٦] ، أيضا قوله : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ ﴾[٧] . وتغلب فئة قليلة صابرة فئة كثيرة بإذن الله : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[٨] ، فيحقق العددً الأقلُّ من المقاتلين المؤمنين الصابرين الغلبة والانتصار على العدد الذي يكثرهم عشرة أضعاف ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٩] ، فالمتأمل في القرآن الكريم يجد أن مفردة القِلّة مقرونة بصفات تبيّن خصائص الصفوة من عباد الله ، ومن هذه الصفات : قليلا ما يشكرون : أغدق الله سبحانه وتعالى على عباده بالنِّعم التي لا يجدونها عند غيره ، فكان شكرهم قليلا ، فقال تعالى﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٠] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[١١] ، وكذلك قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[١٢] .ومحّص الله عباده فابتلاهم ، وهو أعلم بهم ، لكن ليقطع حُجّتهم ، فوجد أقلّهم شاكرين ، فقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[١٣] ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾[١٤] ، أما السابقون المقرّبون عند الله فإنهم ليسوا كثيرين بل هم أقلُّ القليل ، إذ قال في محكم كتابه

العزيز : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[15] . القلّة لا يتبعون الشيطان : أوضح القرآن أن الفئة القليلة لا تتبع الشيطان ، وهذا فضلٌ من الله ورحمته ، فقال تعالى : ((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا))[16] ، كذلك قوله تعالى :

﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[17] .قليلا ما يذكرون : وصف القرآن الكريم المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلا ، وقليل منهم من لم يرتكب جرم الخيانة ، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[18] ، أي إنهم لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكراً قليلاً[19] ، كذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[20] أوضح القرآن الكريم أن قليلا من النّاس ما يتذكّرون نِعَم ربِّهم عليهم التي شملهم بها آناء الليل وأطراف النّهار منذُ نشأتهم حتى آخر مطافهم في الحياة الدنيا ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا

يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ [٢١] ، فـ(قليلاً) حال من (أكْثَرَ النَّاس) في قبل الآية السابقة : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢٢] ، و(ما) في قوله ﴿ مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ مصدرية في محل رفع على الفاعلية . وهذا مؤكد لمعنى قوله :﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ لأن قلة التذكر تؤول إلى عدم العلم ، والقلةُ هنا كناية عن العدم وهو استعمال كثير ، كقوله تعالى : ﴿ فقليلاً ما يؤمنون ﴾ [٢٣] ، ويجوز أن تكون على صريح معناها ، ويكون المراد بالقلة عدم التمام ، أي : لا يعلمون فإذا تذكروا تذكروا تذكراً لا يتممونه فينقطعون في أثنائه عن التعمّق إلى استنباط الدلالة منه فهو كالعدم في عدم ترتب أثره عليه[٢٤] .

ومن نعمه على عباده إرسال الرسل إليهم يدعونهم إلى الهدى ، ومنهم نبيّ الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، والقرآن الكريم الذي أنزله عليه ، فقال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [٢٥] ، فالخطاب موجّه للمشركين ويندرج فيه المسلمون بالأولى ، فبعد أن نوّه الله بالكتاب المنزّل إلى الرّسول صلى الله عليه وآله ، فبيّن أن حكمة إنزاله للإنذار والذّكرى ، أمر النّاس أن يتّبعوا ما أنزل إليهم ، كلٌ يتبع ما هو به أعلق ، والمشركون أنزل إليهم الزّجر عن الشّرك والاحتجاج على ضلالهم ، والمسلمون أنزل إليهم الأمر والنّهي والتّكليف ، فكلٌ مأمور بإتباع ما أنزل إليه ، و أوضح ابن عاشور[٢٦] أنّ الذي يقصد هنا المشركون ت؛ لأجل أنّهم كفروا بنعمة ربّهم ، فوصْفُ (الرب) هنا من غير اسم الجلالة ؛ للتّذكير بوجوب إتباع أمره ؛ لأنّ وصف الربوبيّة يقتضي الامتثال لأوامره ، ونهاهم عن إتباع أوليائهم

الذين جعلوهم آلهة غيره ، والموجه إليهم النّهي هم المشركون بقرينة قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾.

كذلك قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

﴾[27] ، بيّن الزمخشريّ أن مراد قوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، أي إنهم يذكرون تذاكراً قليلاً ، والمعنى : نفي التذكر ، والقلة تستعمل في معنى النفي[28] . قليلا ما يؤمنون : قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ))[29] ، فمراد (قليلا) في قوله تعالى انتفاء ذلك من أصله على طريقة التمليح القريب من التهكم كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[30]، وهو أسلوب عربي ، قال ذو الرمة : أُنيحَتْ وألْقَتْ بَلْدَةً فوق بَلْدةٍ قليل بها الأصواتُ إلاّ بُغَامُها فإن استثناء بُغام راحلته دل على أنه أراد من (قليل) عدم الأصوات . أي إن مراد الآية انتفاء أن يكون قول شاعر ، وأن يكون قول كاهن ، وهذا الانتفاء لا يحصِّل إيمانكم ولا تذكركم ؛ لأنكم أهل عناد[31] .ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) ، إذ قال : ((لا تزيدني كَثرة النّاس حولي عِزّة ، ولا تفرّقهم عنّي وَحشة))[32] . فالكثرة لا تغني شيئا ، فقال تعالى جلّ شأنه : ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[33] ، أيضا قال تعالى :﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[34] . ووصف القرآن الكريم قوما أنّهم أكثروا في البلاد الفساد ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾[35] . وذمّ القرآن الكريم الكثرة ونعت أكثر النّاس أنّهم لا يعقلون ، ولا يسمعون نصحا ، ولا يقبلون هداية ، وعدم السمع مقصود به التوغّل في الجهل ، فقال تعالى مستفهما استفهاما إنكاريا :﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[36] . ووصف القرآن الكريم أكثر الكافرين بالافتراء ، والجهل ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[37] ، ووصف الجهلة الغوغاء أنّ أكثرهم لا يعقلون ولا يسمعون دعوة داعي الهدى ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[38] ، فالإخبار عن أكثرهم بأنهم لا

يعقلون : يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل ، فإنَّ القلة تقع موقع النفي في كلامهم[٣٩] . وقال تعالى : ﴿ فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[٤٠] ، فالذي يلاحظ في هذه الآية أنّ الفاء في قوله :(فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ) ، جاءت لمعنى التفريع على الإعراض ، أي فهم لا يُلقون أسماعهم للقرآن فضلاً عن تدبره ، وهذا إجمال لإعراضهم ، وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي من غير أن يقول : فلا يسمعون لإفادة تقوّية الحكم وتأكيده[٤١] . كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٤٢]، وفي آية أخرى يصفهم أنّهم لا يعلمون : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤٣] ، وعزا ابن عاشور أن سبب اختلاف العبارتين في سورتي العنكبوت ولقمان ؛ لأجل التفنن في المخالفة بين القصتين مع اتحاد المعْنى[٤٤] ، غير أننا نرجح أن أسلوب القرآن أكبر من هذا الشيء فأراد أن يميز (لا يعلمون) من (لا يعقلون) ، هل العقل هو العلم ؟ ، فللإجابة عن هذا السؤال نتتبع سياق السورتين . ووصف القرآن الكريم أكثر الناس أنّهم لا يعلمون ، فقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٤٦] ، كذلك قوله عن موسى (عليه السلام) : ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[٤٧] ، أيضا قال تعالى عن يعقوب (عليه السلام) : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٤٨] .

وقال تعالى عن الوعد الحقّ : ﴿ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٤٩] ، أيضا قال سبحانه وتعالى عن عدم علم الناس : ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[٥٠] ، ويستفهم القرآن الكريم استفهاما إنكاريا : ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٥١] ، يلاحظ هنا إيثار صفة العلم ؛ لكثرة الذين ، والتقيد

بأوامره وترك نواهيه وليضعفوا أثره ويقلصوا ظله وينطبق على هولاء قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣٢] فقد كان وراء هولاء المترجمين بعض رجال الكنيسة الذين يضمرون البغض للدين الاسلامي وللقرآن وللنبي! وقد وصفهم برنارد شو(٣٣) قائلاً: لقد طبع رجال الكنيسة يجعلون مع الله آلها آخر فهم لا ينظرون دقائق هذه مصنوعات الله وخصائصها ، فالذين يتدبرون وينظرون إلى دقة المصنوعات فهم قِلّة . ويستفهم استفهاما تقريريا ، فقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[٥٢] .كثير من النّاس غافلون عن آيات الله : فكثير من الناس في غفلة آيات الله ، معرضون عنها ، إذ قال تعالى : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[٥٣] ، والمراد من هذه الآية : هو دفع توهم النقص عن آيات الله عندما يحرم

كثير من الناس الاهتداء بها ، فهي في ذاتها دلائل هدى سواء انتفع بها بعض الناس أم لم ينتفعوا فالتقصير منهم[٥٤] .فهؤلاء الذين لا يعلمون هم الذين لا يجهلون ؛ غير أنهم درجات في ذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[٥٥] ، فالذي يلاحظ في الأسلوب القرآني تنوع في العبارات فمرة يعبّر بـ(أكثرهم لا يعلمون) ، ومرة يعبّر بـ(أكثرهم يجهلون) . أكثر النّاس لا يؤمنون : وصف القرآن الكريم أكثر الناس أنّهم لا يؤمنون ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥٦] ، كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٥٧] ، فالذي يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل : وعد الله + أكثرهم لا يعلمون ، الساعة أكثرهم لا يؤمنون .وعلى وفق هذا فهناك فرق بين وعد الله والساعة ، فلو كان المعنى واحداً أي إنّ وعد الله هو يوم القيامة ، والساعة يوم القيامة ؛ لقال بأسلوب واحد إما أكثر النّاس لا يؤمنون أو أكثرهم لا يعلمون .كثير من الناس فاسقون : وصف القرآن الكريم كثيرًا من الأمم بالفسق ، فقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥٨] ، كذلك وصف كثيرامن بني إسرائيل بالفسق ، فقال جلّ شأنه عنهم : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٥٩] ، أيضا قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٦٠] . أكثرهم لا يشكرون : صرّح القرآن الكريم أنّ أكثر الناس لا يشكرون نعمة الله عليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٦١] ، كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[٦٢] . أكثرهم للحق كارهون : نستطيع أن نقول مطمئنين إن أكثر النّاس للحقّ كارهون ، هذا ما أكّده القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٦٣] ، كذلك قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ

بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٦٤] .أكثرهم في ضلال : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٦٦] ، كذلك

قوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[٦٧] الكثرة الموغلة في البغي :❖- الباحث.الظلم من شيم النّفوس ، ما لم تجد وازعا ، والقرآن الحكيم يؤكد هذا ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴿٢٤﴾ ﴾[٦٨] . أكثرهم كاذبون : قال تعالى جلّ شأنه : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[٦٩] .الكثرة المسرفة : وصف القرآن الكريم أن بني إسرائيل كثير منهم لمسرفون ، فقال تعالى : ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٧٠] .أكثرهم كافرون : صرّح القرآن الكريم أن الكثرة من أهل الكتاب ، والكثرة من النّاس هم يتصفون بالكفر ، فقال تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٧١] ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٧٢] ، أيضا قوله تعالى : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٧٣] .صوّر القرآن الكريم الكثرة الكافرة المشركة بأنها ستكون غدًا حطب جهنم ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٧٤]

كذلك يظهر جليا وصف الكثرة في البيان القرآني في استعمال اسم الجنس الذي يدل على العموم من غير ذكر لفظ الكثرة ، وهو مبثوث في القرآن الكريم ، ومن ذلك لفظة (الإنسان) : قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا ﴾[٧٥] ، و ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾ ، و ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[٧٦] ، و ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾[٧٧] ، و ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[٧٨] .

وقد يأتي أسلوب التعجب من كفره ، كقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾[٧٩] .و ظاهرة القِلّة والكثرة نجدها في النظام نفسه عند السُّنّة النبويّة المُطهَّرة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) : ((ستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة ناجية ، واثنتان وسبعون في النار))[٨٠] .

فوصف القِلّة والكثرة ظاهرة عجيبة مهمة أشار إليها القرآن الكريم إنها جديرة بالوقوف عندها وقفة تأمل ، نعيد معها قراءة تاريخنا ، ونتأمل أ نقل لنا التاريخ الوقائع التاريخية -كما هي- ؟أم ضللنا فنقل لنا ما أراد الحاكم أن نقرأ وحجب عنا الحقيقة ؟

((المصادر))

القرآن الكريم .

التحرير والتنوير ، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٦ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، د . ت .

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثميّ (٥٨٠٧) ، دار الكتاب العربي - بيروت ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م .

المعجم الصغير ، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ) / دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٢هـ.

نهج البلاغة ، للأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، نشر الدكتور صبحي الصالح ، مؤسسة دار الهجرة ، مطبعة بهمن/ قم ، ط٥ ١٤١٢هـ.

١ . ينظر : في النص القرآني وأساليب تعبيره ، د . زهير غازي زاهد : ١٤ .

٢ . نهج البلاغة : ٣١٩ .

٣ . سورة هود : ٤٠ .

٤ . سورة هود : ١١١.

٥ . سورة البقرة : ٨٣. .

٦ . سورة البقرة : ٢٤٦ .

٧ . سورة البقرة : ٢٤٩ .

٨ . سورة البقرة : ٢٤٩ .

٩ . سورة الأنفال : ٦٥ .

١٠. سورة الأعراف : ١٠ .
١١ . سورة المؤمنون : ٧٨ .
١٢ . سورة السجدة : ٩ .
١٣ . سورة سبأ : ١٣ .
١٤ . سورة ص : ٢٤ .
١٥ . سورة الواقعة : ١٣-١٤ .
١٦ . سورة النساء : ٨٣ .
١٧. سورة الإسراء : ٦٢ .
١٨ . سورة النساء : ١٤٢ .
١٩ . الكشاف للزمخشريّ : ٢/ ٢٩٨
٢٠ . المائدة : ١٣ .
٢١ . سورة غافر : ٥٨ .
٢٢ سورة غافر : ٥٧.
٢٣ . سورة البقرة : ٨٨
٢٤ . ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ١٢/ ٤٦٣ .٢٥ . سورة
٢٦ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٥/ ٢٢٤ .
٢٧. سورة النمل : ٦٢ .
٢٨. ينظر : تفسير الكشاف : ٣/ ٤٥٦
٢٩ . سورة الحاقة : ٤١-٤٢ .
٣٠ . سورة النساء : ٤٦ .
٣١ . ينظر : تفسير التنوير والتحرير : ٦/ ٤٣٢
٣٢ . نهج البلاغة : ٤٠٩ .
٣٣ . سورة الأنفال : ١٩ .
٣٤ سورة التوبة : ٢٥ .
٣٥ . سورة الفجر : ١١-١٢ .
٣٦ . سورة الفرقان : ٤٣-٤٤ .
٣٧ . سورة ال مائدة : ١٠٣ . .
٣٨. سورة الحُجُرات : ٤ .
٣٩ . ينظر : تفسير الكشاف : ٥/ ٤٦٧
٤٠. سورة فصلت : ٤ .
٤١ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ١٢/ ٨٧٩
٤٢ . سورة العنكبوت : ٦٣ .
٤٣ . سورة لقمان : ٢٥ .
٤٤ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٩/ ٢١٣
٤٥ . سورة الأعراف : ١٨٧.
٤٦ . سورة : يوسف : ٢١ .
٤٧ . سورة القصص : ١٣ .
٤٨ . سورة يوسف : ٦٨ .
٤٩ . سورة يونس : ٥٥ .
٥٠ . سورة النحل : ١٠١ .
٥١ . سورة النمل : ٦١ .
٥٢ . سورة القصص : ٥٧ .
٥٣ . سورة يونس : ٩٢ .
٥٤ . ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٣/ ١٤٥
٥٥ . سورة الأنعام : ١١١ .
٥٦ . سورة هود : ١٧ .
٥٧ . سورة غافر : ٥٩ .
٥٨ . سورة الحديد ٢٦ .

٥٩ . سورة المائدة : ٨١ .
٦٠ . سورة المائدة : ٥٩ .
٦١ . سورة النمل : ٧٣ .
٦٢ . سورة يونس : ٦٠ .
٦٣ . سورة الزخرف : ٧٨ .
٦٤ سورة المؤمنين : ٧٠ .
٦٥. سورة ياسين : ٦٢ .
٦٦. سورة البقرة : ٢٦ .
٦٧ . سورة نوح : ٢٤.
٦٨ . سورة ص : ٢٤ .
٦٩ . سورة الشعراء : ٢٢١-٢٢٣ .
٧٠ . سورة المائدة : ٣٢ .
٧١ . سورة المائدة : ٦٨ .
٧٢ . سورة الروم : ٨ .
٧٣ . سورة النحل : ٨٣ .
٧٤ . سورة الروم : ٤٢ .
٧٥ . سورة الإسراء : ٦٧ .
٧٦ . سورة إبراهيم : ٣٤ .
٧٧ . سورة العاديات :٦ .
٧٨ . سورة العصر : ١-٣ .
٧٩ . سورة عبس : ١٧ .
٨٠ . ينظر : مجمع لزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين الهيثميّ : ١/١٨٩ ، والمعجم الصغير للطبرانيّ : ١/٢٥٦

قراءة في رسالة جامعية

اسم المفعول في القرآن الكريم

(البنية والدلالة)

الباحثة افراح عبد علي الخياط

تقديم

أ.م.د احمد صبيح الكعبي

جامعة كربلاء

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوّم ولا تنقضي عجائبه ولا يَخلِقُ من كثرة الرّد))

كان بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن مهّد لي السبيل لأ تناول مشتقا من مشتقات اللغة العربية في كتاب الله الخالد لأتّخذ منه الخطوة الأولى التي أبتدئ بها مسيرة العلم الطويلة فكان موضوع دراستي (اسم المفعول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة)

قسمت الباحثة بحثها على بابين سبقهما تمهيد ؛ تكفل التمهيد بالحديث عن اسم المفعول بالعربية

وفي عرف الصرفيين ، وكيف عدّه بعض الدارسين طارئا على العربية مستدلين على ذلك بأمرين : الأول التعبير عن اسم المفعول بصيغ غير صيغة (مفعول) ومنها : (فعيل) ، و(فعول)، و(وفَعَل) ، و(فِعل) والثاني : إن بعض هذه الصيغ قياسي في التعبير عن المفعول في اللغات السامية مثل(فَعول)في اللغة الحبشية والعبرية، و(فَعِيل) قياسي في السريالية واللغة العربية الجنوبية ، وتطرقت الباحثة في التمهيد إلى معنى قولها في العنوان (البنية والدلالة) وعنت بذلك الدلالتين الوضعية في أصل اللغة ، والدلالة الزمنية ، مفرّقة بين دلالة اللفظ ، ودلالته في الاستعمال، فدلالة اللفظ هي ما ينصرف إليه الذهن عن معنى مدرك أو محسوس ، أما دلالة الاستعمال فهي معنى سياقي يختاره المتكلم أما الباب الأول فقد تناولت فيه الباحثة أبنية اسم المفعول القياسية ودلالاتها ، وقد جاء ذلك في فصلين قام كل منهما على مبحثين وعلى النحو الآتي :

الفصل الأول (المبحث الأول) تناولت فيه الباحثة بناء اسم المفعول من الفعل الثلاثي المجرد ودلالته على زنة المفعول ومن ذلك الفعل الصحيح السالم نحو (مشكور) في قوله تعالى (فأولئك كان سعيهم مشكورا) و(مصروف) في قوله تعالى ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾وغير ذلك ، والمضعّف نحو (مبثوث) في قوله تعالى﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ وغير ذلك ، والمهموز نحو (مأكول) في قوله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ ، والمعتل وفيه أقسام كالأجوف والمثال والناقص واللفيف المقرون أما المبحث الثاني فتضمن دلالة اسم المفعول من الفعل الثلاثي على غير زنة المفعول ومن ذلك دلالته على المصدر ودلالته على الفاعل أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الباحثة اسم المفعول من غير الثلاثي ودلالته ، تضمن الأول منه بناء اسم المفعول من غير الثلاثي المزيد بحرف أو أكثر، والرباعي المجرد ودلالتها على المفعول ، ومن ذلك بناء اسم المفعول على صيغ (أفعل) و(فاعل) و(فعّل) و(افتعل) و(استفعل) ، ومن الرباعي على زنة (تفعلل) و(افعنلل) و(افعلّل) كـ(اقشعرّ) و(اطمأن) وأشارت الباحثة إلى أن ما ورد من هذه الأوزان في القرآن الكريم يتمثّل في وزني (مفعلل) كقوله تعالى﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ والثاني الذي حرفه الثاني نون ، فقد ورد منه لفظ واحد ايضا هو (مقنطر) مؤنثا في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الباحثة دلالة اسم المفعول من غير الثلاثي على غير المفعول مشيرة إلى أن ألفاظ هذا النوع وردت كثيرا في القرآن الكريم مرادا بها المصدر الميمي أو الزمان والمكان ومن ذلك لفظة (المستقر) التي وردت في عشرة مواضع واختلف تأويلها بحسب الموضع الذي وردت فيه ومن ذلك قوله تعالى وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ، والتي ذكر المفسرون أنها بمعنى المصدر أي الاستقرار ، أو بمعنى الاستقرار أو بمفهوم المكان أي موضع الاستقرار ،

ومن ذلك لفظة (المقام)التي وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى ﴿ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ويراد بها موضع الإقامة على رأي من فسر مستقرا بالمكان في سورة الأحزاب الآية /١٣

أما الباب الثاني فقد خصصته الباحثة للحديث عن الأبنية غير القصصية الدالة على اسم المفعول ومن ذلك الأبنية الثلاثية في فصل أول وصيغها (فَعل، وفعلة ، وفَعَل ، وفَعِل ، وفِعل ، وفِعلة ، وفُعل، وفُعلة ، وفُعُل) ، وقد اختلفت هذه الأوزان بحسب ورودها في القرآن الكريم قلّة وكثرة ، فبعضها ورد كثيرا مثل (فَعل ، و فَعَل) وبعضها قليل الورود من ذلك لفظة (فُعْل) ،ومنها مالا يرد إلا في موضعين مثل (فَعِل)٠ثم عرفت الباحثة بكل وزن من هذه الأوزان ، وفي الفصل الثاني تناولت الباحثة الأبنية غير الثلاثية ما كان منها على أربعة أحرف ومؤنثاتها مثل (فاعل ، فاعلة ، فَعَال ، فعال ، فُعال ، فُعالة ، فَعُول ، فَعِيل، فعيلة) ، ومنها ما كان على خمسة أحرف مثل (فعلاء ، فُعلان ، تفعيل) ، وليس لها مؤنثات ، أما (فُعْلل) فقد آثرت الباحثة ذكره آخرا مع انه على أربعة أحرف لان اللفظ الذي ورد عليه رباعي مجرد وليس ثلاثيا ، ثم عرضت الباحثة لكل وزن من هذه الأوزان ومواضع ورودها في آيات القرآن الكريم ثم ختمت الباحثة بحثها بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها يتلوها ملحق إحصائي لألفاظ أبنية اسم المفعول القياسية ، وألفاظ بعض الأبنية الدالة على المفعول مما لم يرد ذكره في أثناء العرض والدراسة

Attitude of the Holy Qur'an towards Seeing Almighty Allah :part two

By: Ahmed Hatem Hussein Al-Muhammedawi

This article deals with one of the most important doctrinal issue (i.e) "seeing Almighty Allah". As it is known that Muslims look at this issue differently. Some of them believe that it is possible to see Almighty Allah directly with eyes at Doomsday depending It is a true fact that anyone ponders on those verses honestly and rationally (away from sectarian fanaticism, standing by the good predecessors' ideas and leaving favoritism aside) will conclude that the Holy Qur'an regards "seeing" as great, overstates and rebukes questions about it. Moreover, the Qur'an considers man unable to get it and that Almighty Allah tortures those who ask about it.

That means thinking over those verses deeply and focusing on their external meaning resulted in the pos Then the article turns to discuss doubts about those verses which several interpreters misinterpret them.

Holy Qur'an because it includes deterring guilty people. As a result it has a direct effect on them in words or actions (i.e) the direct punishment which one of faces. Such warning comes in a way a tale because it has a direct effect on man. Another widely used style in the Holy Qur'an is inquiry because a question needs an answer. In other words it needs meditation A third style is accusing prophets of lying by their enemies, because the enemies adopted such styles to frustrate people and prevent them from following the truth. However, the Holy Qur'an used its media campaigns to face that enormous surge which aimed at misleading people. Among those campaigns was resisting the unbelievers patiently, disobeying them, giving them time and It is not a secret that such styles had a direct impact on people and guiding them to believe in prophets, follow divine orders and stop doing

"Allah has promised to appoint those of you who believe and perform honorable deeds as (His) representatives on earth, just as He made those before them into (such) overloads, and to establish their religion for them which he has approved for them , and to change their faith into confidence . They serve Me (Alone) and do not associate anything else with me. Those who disbelieve later on will be perverse. "(24:55)

الطرق والاساليب الاعلامية في القرآن الكريم لإيصاله المعلومة الى الاخرين

Informative Ways and Styles in the Qur'an to Inform Others:

By: Sheikh DhiaBelasim Al-Mansouri

One of the main pillars of the Islamic informative theory is to give the whole information so as to let the recipient a complete impression about the intended information and not to give a chance for misunderstanding or suspecting that point. To apply this pillar, we are clarifying those Qur'anic informative styles like: frightening and awakening of a desire style.

Such style is widely used in the

التوحيد العبادي في المنظور القرآني

Monotheism (in worshipping) in a Qur'anic vision

By: Ni'ma Al – Najjar

Monotheism is highly effective and fruitful in society, therefore ; it is the reason behind security and safety in the Islamic community .That could be realized from the Holy Qur'an as Al might Allah says :

"الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ."

" It is those who believe in the oneness of Allah and worship non but Him Alone and do not cloak their faith in wrong dong will feel more secure will be (better) guided ." (6:82)

Meanwhile some interpreters explain injustice as polytheism. Monotheism is also the main reason behind making man a strong successor on earth as Almighty Allah says:

" وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون."

topics on the linguistic side of the Holy Qur'an in brief. Though such topics need much efforts and time to study in details, we pray for Almighty Allah to help us complete them.

تفسير الرسول – ص- للنص القرآني

The Messenger's Interpretation of the Qur'aninc Text,

As It should Be and Necessity of Reality

By: Dr. Syrwan Abdul –Zahra Al – Janabi

The article represents a scientific approach to answer the question behind the great Messenger's interpretation of the Qur'anic text. It studies the miraculous texts of Heaven whether they were more pure divine order or they dealt with the logic of the receivers at revelation time.

At the same time, declaration of the Qur'anic text was just a responding to the divine obligatory order or answering the requirements needed according to the understanding of the receivers. Both were important as the divine wisdom required. All such questions are hoped to be answered in this article.

وصف القلّة والكثرة في القرآن الكريم

Description of "Minority " and "Majority" In the Holy Qur'an

By: MahirkhudeirHashim

In the Holy Qur'an, Almighty Allah has put down wonderful secrets through magnificent eloquence and splendid meanings. Those were really the secrets of immortality .

It is a fact that the Holy Qur'an is an immortal text because it could be read or interpreted differently in one age or different ages according to scholars or these who respond to it. Therefore; new additional significances and knowledgeable horizons were presented.

The Holy Qur'an is a multi read text. Since revelation it has been read differently so many times grammatically, semantically and comprehensirely. Many grammatical books were written on its syntax. Others were written on its metaphor, semantics, phonetics and eloquence. Moreover it has been studied comprehensively in the books of exegesis in spite of the different Islamic sects.

used to refer to limiting the meaning rather than criticizing originally. Some verses concerning divorce refer to (khule') as the wife ransoms the *khule' means divorce in return for a monetary compensation to be paid

الحروف المقطعة في القرآن الكريم .. الماهية - والتفسير

Abbreviated Letters in the Holy Qur'an : Essence and Interpretation between Sheikh AL-Tebresi and sayid Tebtebaii:

By: Sheikh Laith Abdul-Hussein AL-'Etabi

Many subjects in the Holy Qur'an are interpreted and understood differently just like those which concern the Islamic heritage. Among such subjects are the abbreviated letters or the beginnings of the Qur'anicsuras .

As different Muslim scholars interor deep meaning of those letters according to their beliefs, interests and tendencies, it is quite normal to find different interpretations. Some interpret them for certain aims, others intended to show them in a way that harmonizes their sects' beliefs, others wanted them to identify with available narrations, while others confessed their weakness to interpret them considering them big problems So, in this article I want to examine 4the most famous

ideas about these letters specially those that deal with the essence of the (abbreviated letters) and their enternal and external meanings focusing on the interpretations of Sheikh Tebrisi and SayidTebtebaii.

الدرس القرآني المقارن عند أمير المؤمنين –ع التوحيد والعقائد نموذجا

The comparative Qur'anic Lesson by Imam Ali (p.b.u.h.)

Monothism and Beliefs as Examples

By:Dr. Husan Adnan Raheem Al – yasiri

The comparative Qur'aninc lesson of the commander of the believers (p.b.u.h.) represents a new topic in Qur'anic sciences presented firstly by him. That jumped through the questions he was asked by the Christian bishops and Jewish rabbis about comparative issues in the Qur'an and I have limited my study to issues of monotheism and beliefs related to oneness of Almighty Allah, beside

words of the Holy Qur'an, besides quoting from it shows sermons and moral lessons.

التوجيه الدلالي لآيات الطلاق -

The Semantic Direction of Divorce Verses :.

An analytic study in legislation of *khul'e (divorce) verse

By.Dr. AdilAbass AL-Nessrawi

In many verses of the Holy Qur'an Almighty Allah has legislated marriage to mean contract. That is because it is a legal fact though it is not mentioned (in the Qur'an)directly as sexual intercourse. It is referred to metaphorically like touching each other, coming near to each other, entering,taking cover and the like.

It is worth saying that the word(nikah) Arabs meant the very meaning of for ancient

sexual intercourse but again it is not mentioned like that in the Qur'an. Arabs used to call (marriage): the permissible cause for sexual intercourse.

Since the word (nikah)has two mean--ings and both

mean to restrict the wife marriage bond, the word (telaq) (i-e) divorce means setting free. Therefore it is

Editor – in- chief

ـ الاقتباس والاستشهاد بألفاظ القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي

Qutation from the Holy Quran in Ib AL _ Mujawir AL_ Baghdadi AL _ Nisabouris (prose speech) Tareekh AL-Mustebssir

By: prof.Muhammed Kareem Ibrahim AL- shimmeri

This article aims at clarifying aunique style of writing in our Islamic Arabic heritage represented in Ibn AL-Mujawir AL-Baghdadi AL-Nisabouri's book (Tareekh AL-Mustebssir) .AL- Nisabouri (died in 626 A.H. 1228AD) presented a unique style mentioning words of the Holy Qur'an in prose speech. That Was quite obvious While reviewing the tales, narrations and stories in his book : SifetBilad AL- Yemen waMakkahwaBa'd AL – Hijaz known as(Tareekh AL – Mustebssir).

It might have been Ibn AL- Mujawir who introduced the Qur'anic words when recording those tales, narrations and stories.Meanwhile he reported them from resources and narrators' mouths. Anyway that style represents a type of prose writing influenced by

Editorial

continuous review to reading the Qur'anic text and study its hidden secrets thoroughly in a way that shows true intention to discover them. It is worth saying that they need a civilized context that leads the Islamic nation to what Almighty Allah wants it to

Here the editorial staff of(Sada Al-Qur'an) call honorable researchers who ponder on the Qur'an to go deeper into it to present a new reading that shows modern understanding specially as they deal with political, economic, social and psychological problems of our Muslim societies. Those problems result from the challenges the nation face at different levels of life in the present .cultural stage

In this issue we present scientific readings for subjects that were dealt with firstly by the Qur'an. It seems that the researchers have done their best to describe the Qur'anic vision towords such subjects. We hope that we are still on our words to provide honorable readers with useful materials which urge them to read, .Finally we pray for Almighty Allah to grant us success

Editor – in- chief

Editorial

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Editorial

Praise be to Allah, Lord of the worlds .O Allah, (please) send blessing to Muhammed and his pure progeny and prosperous companions.

Peace be upon Hussein, Ali bin Hussein, sons of Hussein, companions of Hussein and those who sacrificed their souls for Hussein (p.b.u.h.).. Peace be upon readers of (Sada Al-Qur'an.(

:Almighty Allah says

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾

verily, proofs have come to you from your Lord," so who so ever sees, will do so for (the good of) his own self, and who so ever blinds himself will do so to his own harm, and I (Muhammed) am not a watcher over you "(6:104).

It is guessed that the Holy Qur'an is the clearest truthful discernment which Almighty Allah has put between our hands to urge us to read and scrutinize deeply. We have to do so not to recognize right and falsehood, legal and illegal or good deed and evil only but also to know exactly how to be in front of Allah in this life and the Hereafter. Therefore, researching the Qur'an is a

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.7 Fourth Year

Contents

8 Attitude of the Holy Qur'an towards Seeing Almighty Allah :part two 163

9 Description of "Minority " and "Majority" In the Holy Qur'an 183

Sada Al-Qur'an

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No. 7 Fourth Year

Contents

	Editorial	7
1	Qutation from the Holy Quran in Ib AL _ Mujawir AL_ Baghdadi AL _ Nisabouris(bros speech)Tareek Al_Mustebssir	11
2	The Messenger's Interpretation of the Qur'aninc Text,	41
3	Monotheism (in worshipping) in a Qur'anic vision	57
4	Abbreviated Letters in the Holy Qur'an : Essence and Interpretation between Sheikh AL-Tebresi and sayidTebtebaii:	75
5	The comparative Qur'anic Lesson by Imam Ali (p.b.u.h.) Monothism and Beliefs as Examples	93
6	The Semantic Direction of Divorce Verses	119
7	Informative Ways and Styles in the Qur'an to Inform Others:	131

Sada Al-Qur'an

A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No. 7 Fourth Year

Editorial

General Supervision
His Eminence
The General Secretary of the
Hussaini Holy Shrine Foundation
(Al-Ataba Al-Hussainiya)

Executive Manager
Sheikh Hasan Al-Mansouri
In charge of Darul
Qur'an Al-Kareem in the
Hussaiani Holy Shrine Foundation

Editor in Chief
Adil Natheer Bayri Dr.

Editorial Manager
Ahmad Sabeeh Al-Ka'abi Dr.

Editorial Secretary
Ali Talib Mousa

Advisory Board
Sayid Fadhil Al-Jabiri
Talal Al-Kamali
Abood Judi Al-Hilli Dr.
Zayn Al-Abidin Mosa Jafar Dr.

Editorial Staff
Mohammed Jafar Al-Ardi Dr.
Hayder Abdul Zahra Dr.
Faleh Hussien Al-Asadi Dr.
Intisar Radi Elewi Dr.

Language Correction
Abdul Hasan Al-Abudi Dr.

Translation
Saad Sharif Taher

General Relations
and Coordinations
Ammar Razaq Al-Khuzaii

Design
Mohammed Taher Almosawi

www.dar-alquran.org sadaalquran1@gmail.com